نحمده على نعمه التي أمسي بنابره حفياً ونشكره على ان جعل دولتنا جنة أورث تدبيرها من عباده من كان تقيا ونشهد ان لااله الا الله وحده لاشريك له شهادة نسبح بها بكرة وعشياً ونصلي على سيدنا محمد الذي آتاه الله الكتاب وجعله نبياً صلى الله عليه وعلى آله وصحبه صلاة نتبع بها صراطاً سويا ﴿وبعد﴾ فان أولى ماتنعمت به ألسنة الاقلام بتلاوة سوره وتنعمت أفواه المحابر بالاستمداد لتسطير سيره وتناجت الكرام الكاتبون بمجمله ومفصله وتناشدت الرواة حسن نسيبه وترنمت الحداة بطيب غزله وتهادت الاقاليم تحف معجله ومؤجله وعنت وجوه المهارق لصعود كلمة الطيب ورفع صالح عمله ماكان فيه شكر النعمة تمنها على الدولة سعادة جدودها وحظوظها وافادة مصونها ومحفوظها وارادة مرقومها بحسن الاستبداع وملحوظها وحمد لمنحة آفاتها بركة أحسنت للملكة الشريفة مآلا وقربت لها مثالا وأصلحت لها أحوالا وكاثرت مدد البحر وكلما أجرى ذلك ماء أجرت هي مالا وان ضنت السحب انشأت سحباً وان قبل سح سحها رونق الارض ذهب عوضت عنه ذهبا كم لها فى الوجود من كرم وكرامه وفي الوجوه من وسوم ووسامه كم أحيت مهجاً وكم جعلت للدولة من أمرها مخرجا وكم وسعت أملا وكم تركت صدر الخزائن ضيقا حرجا وكم استخدمت جيش تهجد في بطن الليل وجيش جهاد على ظهور الخيل وكم أنفقت في واقف فى قلب بين الصفوف والحروب وفي واقف في صفوف المساجد من أصحاب القلوب كم سبيل يسرت وسعود كثرت وكم مخاوف أدبرت حين دبرت وكم آثار في البلاد والعباد ابرت وأثرت وكم وافت ووفت وكم كفت وكفت وكم أعفت وعفت وعفت وكم بها موازين للاولياء ثقلت وموازين للاعداء خفت وكم أجرت من وقوف وكم عرفت بمعروف وكم بيوت عبادة صاحب هذه البركات هو محرابها وسماء جودهو سيحانها ومدينة علم هو بابها تثنى الليالي على تغليسه الى المساجد فى الحنادس والايام على تهجيره لعيادة مرضى الفقراء وحضور جنائز وزيارة القبور الدوارس يكنفن تحت جناح عدله الظاعن والمقيم ويشكر يثرب ومكة وزمزم والحطيم كم عمت سنن تفقداته ونوافله وكم مرت صدقاته بالوادى فسح الله فى مدته فأثنت عليه رماله وبالنادى فأثنت ارماله مازار الشام الا أغناه عن مسه المطر ولا صحب سلطانه في سفر الا قال نعم الصاحب في السفر والحضر ولما كان المتفرد بهذه البركات هو واحد الوجود ومن لايشاركه في المزايا شريك وان الليالي بايجاد مثله غير ولود وهو الذى لم نسمه قال سامع هذه المناقب هو الموصوف عند الله وعند خلقه معروف وهذا الممدوح بأكثر من هذه الممادح والمحامد من ربه ممدوح وممنوح والمنعوت بذلك قد نعتته بأكثر من هذه النعوت الملائك وانما نذكر نعوته التلذاذا فلا يعتقد

كاتب ولا خاطب انه وفى جلالته بعض حقها فانه أشرف من هذا واذا كان لابد للمادح انه يحول وللقلم انه يقول فتلك بركات للمجلس العالي الوالدى الصاحبي الوزير السيدى الورعي الزاهدى العابدى الذخري الكفيل الممهدي المشيدى العوني القوامى النظامى الافضلي الاشرفي العاملي العادلي البهائى سيد الوزراء والاصحاب في العالمين كهف العابدين ملجأ الصالحين شرف الاولياء المتقين مدبر الدول سداد الثغور صلاح الممالك قدوة الملوك والسلاطين يمين أمير المؤمنين على بن محمد أدام الله جلاله من تشرف الاقاليم بحياطة قلمه المبارك والتقاليد بتجديد تنفيذه الذي لايساهم فيه ولا يشارك فما جدد منها انما هو بمثابة آيات تزاد فتردد أو بمنزلة اسجال فى كل حين به يحكم وفيه يشهد حتي تتناقل بثبوته الايام والليالي ولا يخلو جيد دولة أن يكون الحالي بماله من مفاخر اللآلي فلذلك خرج الامر العالي لابرح بكسب بهاء الدين المحمدي أتم الانوار ولابرحت مراسمه تزهو من قلم منفذه بذي الفقر وذي الفقار ان يضمن هذا التقليد الشريف بالوزارة التامة العامة الشاملة الكاملة الشريفة الصاحبية البهائية أحسن التضمين وان ينشر منها مايتاقى روايته كل رب سيف وقلم باليمين وان يعلم كافة الناس ومن يضمه طاعة هذه الدولة وملكها من ملك وأمير وكل مدينة ذات منبر وسرير وكل من جمعته الاقاليم من نواب سلطنة وذوى طاعة مذعنة وأصحاب عقد وحل وظعن وحل وذوى جنود وحشود ورافعي اعلام وبنود وكل راع ورعيه وكل من ينظر فى الامور الشرعيه وكل صاحب علم وتدريس وتهليل وتقديس وكل من يدخل في حكم هذه الدولة العالية من شموسها المضيئة وبدورها المنيرة ونجومها المشرقة وشهبها الثاقبة في الممالك المصرية والنوبية والساحلية والكركية والشوبكية والشامية والحلبية وما تداخل بين ذلك من ثغور وحصون وممالك ان القلم المبارك الصاحبى البهائي في جميع هذه الممالك مبسوط وأمر تدبيرها به منوط وعناية شفقته لها تحوط وله النظر في أحوالها وأموالها واليه أمر قوانينها ودواوينها وكتابها وحسابها ومراتبها ورواتبها وتصريفها ومصروفها واليه التولية والصرف واليه تقدمة البدل والنعت والتوكيد والعطف وهو صاحب الرتبة التى لايحلها سواه وسوى من هو مرتضيه من السادة الوزرانية ومن سمينا غيره وغيرهم بالصحوبية فليحذر من يخاطب غيرهم بها أو يسميه فكما كان والدنا الشهيد يخاطبه بالوالد خاطبناه بذلك وخطبناه وما عدلنا عن ذلك بل عدلنا لانه ماظلم من أشبه أباه فمنزلته لاتسامى ولا تسام ومكانته لاترامي ولا ترام فمن قدح في سيادته من حساده أياده الله زناد قدح أحرق بشرر شرره ومن ركب الى جلالته سيح سوء أغرق في بحره ومن فتل لسعادته حبل كيد فانما فتله مبرمه لنحره فلتلزم الالسنة والاقلام والاقدام في خدمته أحسن

الآداب وليقل المترددون حطة اذا دخلوا الباب ولايغرنهم فرط تواضعه لدينه وتقواه فمن تأدب معه تأدب معنا ومن تأدب معنا تأدب مع الله وليتلى هـذا التقليد على رؤس الاشـهاد وتنسخ نسخته حتي تتناقلها الامصار والبـلاد فهو حجتنا على من سميناه خصوصاً ومن يدخل في ذلك بطريق العموم فليعملوا فيـه بالنص والقياس والاستنباط والمفهوم والله يزيد المجلس العالي الصاحبي البهائي من فضـله ويبقيه لغاية هـذه الدولة ويصونه لشبله كما صانه لاسده من قبله ويمتع بنيته الصالحة التى يحسن بها ان شاء الله نماء الفرع كما حسن نمـاء أصله واستمر الصاحب بهاء الدين في الوزارة الى ان مات في ذي القعدة سنة سبع وسبعين وكان الملك السعيد اذ ذاك بدمشق فلما بلغته وفاته أرسل الى برهان الدين الخضر بن الحسن السنجارى باستقراره وزيراً بالديار المصرية فقال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر حين سير اليه تقليدالوزارة بك زال الخلاف واصطلح الخصمان يادولة الملك السعيد فلما قالت الوزارة بالبرهان قال البرهان بالتقليد (وقال السراج الوراق حين خلع عليه)

تهن بخلعـة لبست جمـالا * بوجه منك سمح يجتلوه
وقال الناس حين طلعت فيها * أهذا البدر قلت لهم أخوه

(وقال في خلعة ولده شمس الدين)

أهنى الوزير بن الوزير بخلعـة * محاسنها فتانه العـقل والحس
أضاءت بها الآفاق شرقا ومغـربا * ولم لا من أطواقها مطلع الشمس

(ولما عوجل خلع الملك السعيد قال ناصر الدين بن النقيب)

تطيرت الوزارة من قريب * بصاحبها الجديد ومن بعيد
وقالت كعبه كعب وشؤم * ولا سيما على الملك السعيد

وأقام السنجارى في الوزارة الي ان ولى قلاوون في رجب سنة ثمان وسبعين فعزله واستوزر فخر الدين بن لقمان كاتب السر فأقام الى جمادى الآخرة سنة تسع وسبعين فأعيد السنجارى الى الوزارة ورجع ابن لقمان الى كتابة الانشاء فأقام الي ربيع الاول سنة ثمانين فعزل ووزر نجم الدين حمزة بن محمد بن هبة الله الاصفوني ووزر الامير علم الدين سنجر الشجاعي وهو أول من ولى الوزارة من الامراء وأول وزير ضربت على بابه الطبلخاناه على قاعدة وزراء الخلافة بالعراق ثم عزل ووزر الامير بدر الدين بيدار ثم صرف وأعيد الشجاعي ثم صرف ووزر شمس الدين محمـد بن عثمان المعروف بابن السلعوس فأقام الى ان قتل الاشرف فأخذ وضرب الى ان مات تحت الضرب وكان لما تولي الوزارة كتب اليه بعض أصحابه يحذره من الامير علم الدين سنجر الشجاعى المنصورى

تنبه يا وزير الارض واعلم * بأنك قد وطيت على الافاعى
وكن بالله معتصما فاني * أخاف عليك من نهش الشجاعى

فكان الذى تسبب في اهلاكه الشجاعى وولى الشجاعي الوزارة مكانه فأقام بها أكثر من شهر وحدثته نفسه بالسلطنة فقتل وولى الوزارة بعده تاج الدين ابن فخر الدين بن الصاحب بهاء الدين بن حنا فأقام الى أن تولى العادل كتبغا فعزلى وولى مكانه فخر الدين عثمان بن مجد الدين عبد العزيز بن الخليل فأقام الى ان تولى لاجين فعزل وولى مكانه الامير شمس الدين سنقر الاعسر ثم عزل من عامه وحبس فلما أعيد الملك الناصر الى السلطنة أخرج الاعسر من الحبس وأعاده الى الوزارة ثم عزله في سنة احدى وسبعمائة وولي الامير عز الدين أيبك المنصوري وولى ناصر الدين محمد السنجى ثم عزل فى شوال سنة أربع ووزر سعد الدين محمد بن محمد بن عطاء الله في المحرم سنة ست ووزر التاج أبو الفرج بن سعيد الدولة المسلماني ووزر ضياء الدين النشائي فلما عاد الناصر الى السلطنة المرة الثالثة سنة سبع استوزر فخر الدين الخليلى ثم عزل فى رمضان سنة عشر ووزر الامير سيف الدين بكتمر الحاجب ثم عزل في ربيع الآخر سنة احدى عشرة ووزر أمين الملك أبو سعيد المستوفي ووزر في سنة ثلاث وعشرين أمين الملك ثم الامير علاء الدين مغلطاي الجمالى ثم أبطل الناصر الوزارة ورتب وظيفة ناصر الخواص وولاها كريم الدين عبد الكريم بن هبة الله بن السديد فكان كالوزير وربما قيل له الصاحب واستمرت الوزارة شاغرة الى سنة أربع وأربعين فاستوزر الكامل شعبان نجم الدين محمود بن شروين وكان أصله وزير بغداد في المحرم ووزر الامير ايتمش المحمدي ووزر الامير منجك اليوسفى ثم عزل ثالث ربيع الاول سنة تسع وأربعين ووزر الامير استدمر العمري في رابع عشرة ثم استعفى في خامس عشرين ربيع الآخر فأعفى وأعيد منجك ثم عزل في محرم سنة احدى وخمسين ووزر علم الدين عبد الله بن أحمد بن زنبور القبطى ثم عزل في رمضان سنة ثلاث وخمسين ووزر موفق الدين هبة الله بن سعد الدولة القبطى فأقام الى ان مات في ربيع الآخر سنة خمس وخمسين وشغرت الوزارة بعده الى سنة ثمان وخمسين ووزر الامير قشتمر ثم عزل سنة تسع وخمسين ووزر تاج الدين بن رشية ثم عزل سنة احدى وستين ووزر جمال الدين يوسف بن أبى شاكر ثم وزر الامير الاكزالكتلاوى ثم وزر كريم الدين بن غنام ثم فخر الدين ابن تاج الدين موسى ثم صرف سنة أربع وسبعين ووزر ابن الغنام ثم صرف خمس وسبعين وأعيد منجك اليوسفى الى الوزارة وفوض اليه السلطان كل أمور المملكة وانه أقامه مقام نفسه في كل شئ وانه يخرج الاقطاعات التى عبرتها

سبعمائة دينار فما دونها وانه يعزل من شاء من أرباب الدولة ويخرج الطبلخانات والعشراوات سائر الممالك الشاميه ورسم للوزير ان يجلس قدامه في الدركات ثم مات منجك في سنة سبعين قال ابن الكرامانى في مختصر المسالك وهو جعل للمماليك اللحم السميط فى وزارته ولم يكن يفرق عليهم قبل ذلك الا السليخ ووزر تاج الدين عبد الوهاب الملكى ويعرف بالنشو ثم صرف في رجب سنة ست وسبعين واعيد ابن الغنام ثم صرف من عامه وتعطلت الوزارة الى ربيع الاول سنة سبع وسبعين فأعيد التاج الملكى ثم صرف سنة ثمان وسبعين وأعيد ابن الغنام ثم صرف وأعيد النشو ثم صرف واستقر كريم الدين ابن الرويهب ثم عزل في شوال سنة تسع وسبعين ووزر صلاح الدين خليل بن عرام ثم عزل في صفر سنة ثمانين ووزر كريم الدين بن مكانس ثم عزل في شوال من السنة واعيد النشو ثم عزل في ربيع سنة احدى وثمانين ووزر شمس الدين ابن ابره ثم عزل سنة خمس وثمانين ووزر شمس الدين ابراهيم كاتب اربان فأقام الى ان مات سنة تسع وثمانين ووزر بعده علم الدين ابراهيم القبطى بن كاتب سيدي ثم عزل في رمضان سنة تسع ووزر كريم الدين بن غنام ثم وزر موفق الدين أبو الفرج في صفر سنة اثنتين وتسعين ثم وزر سعد الدين سعد الله البقرى في ربيع الآخر من السنة ثم عزل في رمضان سنة اثنتين وتسعين وأعيد أبو الفرج ثم عزل في صفر ووزر ركن الدين عمر بن قماز ثم عزل في رجب ووزر تاج الدين بن أبي شاكر ثم عزل في المحرم سنة خمس وتسعين وأعيد موفق الدين ثم عزل سنة ست وتسعين ووزر الامير ناصر الدين محمد بن رجب بن كلبك بن الحسام ولقب وزير الوزراء الى أن مات سنة ثمان وتسعين ووزر مبارك شاه ثم صرف في رجب واعيد ابن البقرى ثم عزل في ربيع الاول سنة تسع وتسعين ووزر بدر الدين محمد الطوخي ثم صرف في ربيع الآخر سنة احدى وثمانمائة ووزر تاج الدين عبد الرزاق بن أبي الفرج ثم صرف في ذى القعدة من السنة ووزر الشهاب أحمد بن عمر بن قطنة ثم صرف فى ذي الحجة من السنة ووزر فخر الدين ماجد بن غراب ثم صرف فى ربيع الآخر سنة اثنتين وأعيد بدر الدين الطوخى ثم عزل وأعيد ابن غراب ثم عزل فى رجب سنة ثلاث ووزر علم الدين يحيى بن أسعد المعروف بابوكم ثم صرف في ربيع الآخر سنة أربع ووزر الامير مبارك شاه الحاجب ثم صرف ووزر تاج الدين بن البقري ثم صرف في المحرم ووزر فخر الدين بن غراب ثم عزل سنة خمس ووزر علاء الدين الاخمص ثم عزل فى شوال ووزر مبارك شاه ثم صرف وولي تاج الدين بن البقري ثم توارى في المحرم سنة ست وثمانمائة وأعيد علم الدين أبوكم ثم هرب بعد ثمانية أيام وأعيد ابن البقري ثم هرب في

ربيع الاول وأعيد تاج الدين بن عبد الرزاق ثم هرب أيضاً بعد أيام وأعيد ابن البقرى ثم صرف في ذى الحجة سنة سبع وأعيد بفخر الدين ماجد بن غراب ثم صرف سنة تسع ووزر جمال الدين البيري الاستادار ثم صرف في سنة اثنتي عشرة ووزر سعد الدين ابراهيم بن البشيرى ثم صرف في ربيع الاول سنة ست عشرة ووزر تاج الدين بن الهيصم ثم وزر تقى الدين عبد الوهاب بن أبي شاكر في المحرم سنة تسع عشرة فأقام الى ذى القعدة من السنة ومات فوزر فخر الدين الاستادار في سنة عشرين ووزر أرغون شاه ثم صرف في جمادى الاولى سنة احدى وعشرين ووزر بدر الدين بن محب الدين ثم صرف في ذي القعدة من عامه ووزر بدر الدين بن نصر الله ثم صرف في المحرم سنة أربع وعشرين ووزر تاج الدين كاتب المناخاة ثم صرف في ذى الحجة سنة خمس وعشرين ووزر أرغون شاه ثم صرف في شوال سنة ست وعشرين ووزر كريم الدين ابن كاتب المناخات ثم صرف في رجب سنة سبع وثلاثين ووزر أمين الدين بن الهيصم ثم صرف في سنة ثمان وثلاثين ووزر سعد الدين ابراهيم بن كاتب جكم ثم وزر أخوه جمال الدين يوسف في ربيع الاول من السنة ثم صرف في جمادى الآخرة من السنة ووزر تاج الدين عبد الوهاب بن الخطير ثم صرف في رمضان سنة تسع وثلاثين ووزر الامير خليل بن شاهين نائب الاسكندرية ثم صرف ووزر كريم الدين بن كاتب المناخ في ربيع الاول سنة أربعين ثم في جمادى الآخرة سنة احدى وخمسين ووزر عوضاً عن أمين الدين بن الهيصم ثم صرف ووزر سعد الدين فرج بن النجار ثم صرف في جمادى سنة ثمان وخمسين وأعيد أمين الدين بن الهيصم ثم صرف في ذي القعدة من السنة وأعيد سعد الدين ثم وزر على بن محمد الاهناسى ثم صرف في صفر سنة أربع وستين ووزر فارس المحمدي يوما واحدا ثم صرف ووزر منصور الكاتب ثم صرف ووزر محمد الاهناسى والد على المذكور عشرة أيام ثم وزر منصور الاسلمى ثم صرف في ربيع الآخر وأعيد سعد الدين بن النجار ثم صرف في ربيع الاول سنة خمس وستين وأعيد على بن الاهناسى ثم صرف ووزر شمس الدين بن صنيعة ثم صرف في صفر سنة سبع وستين وأعيد ابن الاهناسى ثم صرف فى شوال ووزر مجد الدين بن البقرى ثم صرف في المحرم سنة ثمان وستين ووزر يونس بن عمر بن جربغا ثم صرف عن قرب وأعيد المجد بن البقرى ثم صرف في ربيع الاول ووزر محمد البياوى الى ان غرق آخر ذى الحجة سنة تسع وستين وأعيد الشرف يحيى بن صنيعة ثم صرف فى جمادي الآخرة ووزر قاسم القرافي ثم صرف ووزر الامير يشبك الدوادار ثم صرف ووزر الامير خشقدم الطواشي ثم صرف ووزر ابن الزرازيري كاشف الصعيد ثم صرف عن قرب

وأعيد قاسم ثم صرف ووزر الامير اقبردى الدوادار ثم ولى بعده الامير كرتباي الاحمر يوم الخميس مستهل ذى الحجة سنة احدى وتسعمائة

ذكر كتاب السر

قال ابن الجوزي في التلقيح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر وعثمان وعلى وأبيّ بن كعب وزيد بن ثابت الانصارى ومعاوية بن أبي سفيان وحنظلة ابن الربيع الاسدى وخالد بن سعيد بن القاضى وابان بن سعيد والعلاء ابن الحضرمى وكان المداوم له على الكتابة زيد ومعاوية وكان كاتب أبى بكر الصديق عثمان بن عفان وكاتب عمر زيد بن ثابت وكاتب عثمان مروان بن الحكم وكاتب على عبد الله بن رافع وسعيد بن أبي نمير وكاتب الحسن كاتب أبيه وكاتب معاوية عبيد الله بن أوس الغسانى وكاتب يزيد عبيد الله بن أوس ثم عمر العذري وكاتب ابنه معاوية زمل بن عمر العذري وكاتب مروان عبيد الله بن أوس وشعبان الاحول وكاتب عبد الملك بن مروان روح ابن زنباع الجذامى وقبيصة بن ذويب وكاتب ابنه الوليد قبيصة بن ذويب وقرة ابن شريك والضحاك بن زمل وكاتب سليمان يزيد بن المهلب وعبد العزيز بن الحرث وكاتب عمر بن عبد العزيز رجاء بن حياة الكندي وليث بن أبي رقية وكاتب يزيد ابن عبد الملك سعيد بن الوليد الابرش ومحمد بن عبد الله بن حارثة الانصاري وكاتب هشام هذان وسالم مولاه وكاتب الوليد العباس بن مسلم وكاتب يزيد بن الوليد ثابت بن سليمان وكاتب ابراهيم بن الوليد ثابت هذا وكاتب مروان الحمار عبد الحميد بن يحيى مولى بنى عامر وقال ابن فضل الله كانت كتابة الانشاء في المشرق في خلافة بني العباس منوطة بالوزراء وربما انفرد بها رجل واستقل بها كتاب لم يبلغوا مبلغ الوزارة فكان يسمى في المشرق كاتب الانشاء ثم لما كثر عددهم سمي رئيسهم رئيس ديوان الانشاء ثم بقى يطلق عليه تارة صاحب ديوان الانشاء وتارة كاتب السر قال وهي عندي أنبه وعند الناس أدل وكانت في دولة السلاجقية وملوك الشرق يسمى ديوان الطغراويه والطغراهي الطرة بالفارسية وأهل المغرب يسمون صاحب ديوان الانشاء صاحب القلم الاعلى انتهى وقال غيره انما حدثت وظيفة كتابة السر في أيام قلاوون وكانت هذه الوظيفة قديماً في ضمن الوزارة والوزير هو المتصرف فى الديوان وتحت يده جماعة من الكتاب وفيهم رجل كبير يسمي صاحب ديوان الانشاء وصاحب ديوان الرسائل فكان الكاتب للسفاح عبد الجبار بن عدي ثم كتب للمنصور وكتب له أيضاً عبد الله بن المقفع المشهور بالبلاغة وأبو أيوب المرزباني وكتب للمهدي وزير معاوية بن عبد الله والربيع بن يونس الحاجب وكتب للهادي عمرو بن يزيع فلما استخلف الرشيد ولى يوسف بن القاسم بن صبيح

كتابة الانشاء فكان هو الذي قام خطيبا بين يديه حتى أخذت له البيعة وكتب للمأمون أحمد بن يوسف القاسم بن صبيح الكاتب وأحمد بن الضحاك الطبري وعمرو بن مسعدة والمعلى ابن أيوب وعمرو بن يعبول وكتب للمعتصم والواثق ابراهيم الموصلي وكتب للمتوكل احمد بن المدبر وابراهيم بن العباس الصولي وكتب للطائع ابن القاسم عيسى بن الوزير علي بن عيسى بن الجراح وكتب للقادر ابراهيم بن هلال الصابئ وكان على دين الصابئة الى أن مات وكتب لجماعة من الخلفاء أبو سعيد العلاء بن الحسن بن وهب بن الموجلايا قال بعضهم كتب في الانشاء للخلفاء خمساً وستين سنة وكان نصرانياً فاسلم على يد المقتدي وكتب للمقتدي سديد الدولة أبو عبد الله محمد بن ابراهيم بن عبد الكريم بن الانباري قال ابن كثير كان كاتب الانشاء ببغداد للخلفاء وانفرد بصناعة الانشاء وكتب للناصر قوام الدين يحيى بن سعيد الواسطي المشهور بابن زيادة صاحب ديوان الانشاء ببغداد ومن انتهت اليه رياسة الترسل وكتب للمستعصم غز الدين عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد المدائني الكاتب ومات ستة خمس وخمسين وستمائة وقتل الخليفة عقب موته فهو آخر كتاب الانشاء للخلفاء ببغداد قلت ومن الاتفاق الغريب ان آخر خلفاء بني أمية كتب له عبد الحميد الكاتب وآخر خلفاء بني العباس ببغداد كتب له من اسمه عبد الحميد وأما مصر فلم يكن بها ديوان انشاء من حين فتحت الى أيام أحمد بن طولون فقوي أمرها وعظم ملكها فكتب عنده أبو جعفر محمد ابن أحمد بن مودود وكتب لولده خمارويه اسحق بن نصر العبادي وتوالت دواوين الانشاء بذلك الى ان ملكها العبيدية فعظم ديوان الانشاء بها ووقع الاعتناء به واختيار بلغاء الكاتب مابين مسلم وذمي فكتب للعزيز بن المعز وزيره بن كلس ثم أبو عبد الله الموصلي ثم أبو المنصور بن حورس النصراني ثم كتب للحاكم ومات في أيامه وكتب للحاكم بعده القاضي أبو الطاهر الهولي ثم كتب لابن الحاكم الظاهر وكتب للمستنصر القاضي ولي الدين بن خيران وولي الدولة موسى بن الحسن بعد انتقاله الى الوزارة وأبو سعيد العبدي وكتب للآمر والحافظ أبو الحسن علي بن أبي اسامة الحلبي الى ان توفي فكتب ولده أبو المكارم الى أن توفي ومعه أمين الدين تاج الرياسة أبو القاسم علي سليمان المعروف بابن الصيرفي والقاضي كاف الكفاة محمود بن الموفق بن قادوس وابن أبي الدم اليهودي ثم كتب بعد ابن أبي المكارم القاضي موفق الدين أبو الحجاج يوسف بن الخلال بقية أيام الحافظ الى آخر أيام العاضد وبه تخرج القاضي الفاضل ثم أشرك العاضد مع ابن الخلال في ديوان الانشاء القاضي جلال الدين محمود الانصاري ثم كتب القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني بين يدي ابن الخلال في وزارة صلاح الدين فلما ملك صلاح الدين

كتب له القاضي الفاضل ثم اضيفت اليه الوزارة ثم كتب بعده لابنه العزيز ثم لولده المنصور ومات وكتب للكامل أمين الدين سليمان المعروف بكاتب الدرج الى أن مات فكتب بعده أمين الدين عبد المحسن بن حمود الحلبي ثم كتب للصالح أيضاً ثم ولي ديوان الانشاء الصاحب بهاء الدين زهير الشاعر المشهور ثم صرف وولى بعده الصاحب فخر الدين ابراهيم بن لقمان الاسعردى فأقام الى انقراض الدولة الايوبية وكتب بعدها للمعز أيبك ثم للمظفر قطب ثم للظاهر بيبرس ثم للمنصور قلاوون ثم نقله قلاوون من ديوان الانشاء للوزارة وولى ديوان الانشاء مكانه فتح الدين بن عبد الظاهر وهو أول من سمي كاتب السر وسبب ذلك ماحكاه الصلاح الصفدى ان الملك الظاهر رفع اليه مرسوم أنكره فطلب محيي الدين بن عبد الظاهر وأنكر عليه فقال ياخوند هكذا قال لى الامير سيف الدين بلبان الدوادار فقال السلطان ينبغي ان يكون للملك كاتب سر يتلقى المرسوم منه شفاها وكان قلاوون حاضرا من جملة الامراء فوقرت هذه الكلمة في صدره فلما تسلطن اتخذ كاتب سر فكان فتح الدين هذا أول من شهر بهذا الاسم وكان هو والوزير لقمان بين يدى السلطان فحضر كتاب فاراد الوزير أن يقرأه فأخذ السلطان الكتاب منه ودفعه الى فتح الدين وامره بقراءته فعظم ذلك على ابن لقمان وكانت العادة اذ ذاك ان لا يقرأ أحد على السلطان كتاباً بحضرة الوزير واستمر فتح الدين في كتابة السر الى أن توفي أيام الاشرف خليل فولى مكانه تاج الدين بن الاثير الى أن توفي وولى شرف الدين عبد الوهاب العمرى ثم نقله الناصر في سنة احدى عشرة وسبعمائة الى كتابة السر بدمشق وولي مكانه علاء الدين بن تاج الدين بن الاثير الى أن أفلج وولى محيي الدين بن فضل الله وولده شهاب الدين معيناً له لكبر سنه ثم صرفا وولى شرف الدين بن الشهاب محمود ثم صرف وأعيد بن فضل الله وولده شهاب الدين ثم صرفا الى الشام وولى علاء الدين بن فضل الله أخو شهاب الدين فاستمر في الوظيفة نيفا وثلاثين سنة الى أن مات سنة تسع وستين وسبعمائة وولي ولده بدر الدين محمد الى أن تسلطن برقوق فصرفه وولى أوحد الدين عبد الواحد بن اسمعيل التركماني الى أن مات في ذى الحجة سنة ست وثمانين وأعيد بدر الدين الى ان تسلطن برقوق الثانية فصرفه وولى علاء الدين على بن عيسى الكركى الى ان مات سنة أربع وتسعين وأعيد بدر الدين الى أن مات في شوال سنة ست وتسعين وولى بدر الدين محمود بن الكلستاني الى أن مات في جمادي الاولى سنة احدى وثمانمائة وولي فتح الدين فتح الله بن مستعصم التبريزى ثم صرفه الناصر فرج بسعد الدين بن غراب مدة يسيرة ثم صرف ابن غراب وأعيد فتح الله ثم صرف وولي فخر الدين بن المزوق ثم صرف وأعيد فتح الله الى أن قبض عليه المؤيد سنة ست عشرة وثمانمائة وولى ناصر الدين محمد

ابن البارزى الى أن مات في سنة ثلاث وعشرين وولى ولده كمال الدين محمد ثم صرف وولى علم الدين داود بن الكويز الى ان مات سنة ست وعشرين وولى جمال الدين يوسف بن الكركي ثم صرف وولى قاضى القضاة شمس الدين الهروي الشافعي ثم صرف وولى نجم الدين عمر بن حجى ثم صرف وولى شمس الدين محمد بن مزهر الى أن مات في جمادي الآخرة سنة اثنتين وثلاثين وولى ولده جلال الدين محمد ثم صرف وولى الشريف شهاب الدين الدمشقي الى ان مات بالطاعون وولى شهاب الدين أحمد بن السفاح الحلبي الى ان مات سنة خمس وثلاثين وولى الوزير كريم الدين عبد الكريم كاتب المناخ مضافاً للوزارة ثم ضرف بعد أشهر واعيد الكمال ابن البارزى ثم صرف في رجب سنة تسع وثلاثين وولى محب الدين بن الاشقر ثم صرف وولى صلاح الدين محمد بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله الى ان مات بالطاعون سنة احدى واربعين وولى مكانه ابوه الصاحب بدر الدين حسن ثم صرف في ربيع الآخر سنة اثنتين واربعين واعيد ابن البارزي الى أن مات في صفر سنة ست وخمسين واعيد ابن الاشقر ثم صرف في ذي القعدة وولى محب الدين بن الشحنة ثم صرف بعد ستة اشهر واعيد ابن الاشقر ثم صرف في جمادى الاولي سنة ثلاث وستين واعيد بن الشحنة ثم صرف في شوال سنة ست وستين وولي القاضى برهان الدين بن الديري ثم صرف بعد نصف شهر وولي القاضي تقى الدين ابو بكر كاتب السر بدر الدين بن مزهر فاستمر الي الآن عامله الله بالطافه وختم لنا وله بخير آمين ثم توفي فى سادس رمضان سنة ثلاث وتسعين وولى ولده القاضي بدر الدين اعزه الله تعالى

ذكر جوامع مصر

اعلم انه من حين فتحت مصر لم يكن بها مسجد تقام فيه الجمعة سوى جامع عمرو بن العاصى الي ان قدم عبد الله بن على بن عبد الله بن عباس من العراق في طلب مروان الحمار سنة ثلاث وثلاثين ومائة فنزل عسكره في شمالى الفسطاط وبنوا هنالك الابنية فسمى ذلك الموضع بالعسكر وأقيم هناك الجمعة فى مسجد فصارت الجمعه تقام بجامع عمرو وبجامع العسكر الي ان بني السلطان أحمد بن طولون جامعه حين بني القطائع فابطلت الخطبة من جامع العسكر وصارت الجمعه تقام بجامع عمرو وبجامع ابن طولون الى أن قدم جوهر القائد واختط القاهرة وبنى الجامع الازهر في سنة ستين وثلاثمائة فصارت الجمعة تقام بثلاثة جوامع ثم ان العزيز بالله بني في ظاهر القاهرة من جهة باب الفتوح الذي يعرف اليوم بجامع الحاكم سنة ثمانين وثلاثمائة وأكمله ابنه الحاكم ثم بني جامع المقس وجامع راشدة فكانت الجمعة تقام في هذه الجوامع الستة الي ان انقضت العبيديين في سنة سبع وستين وخمسمائة فبطلت الجمعه من الجامع

الازهر وبقيت فيما عداه فلما كانت الدولة التركيه أحدثت عدة جوامع فبني في زمن الظاهر بيبرس جامع الحسينية في سنة تسع وستين ثم بنى الناصر بن قلاوون الجامع الجديد بمصر في سنة اثنتي عشرة وسبعمائة وبنى امراؤه وكتابه في أيامه نحو ثلاثين جامعاً وكثرت في هذا القرن وما بعده الى الآن فلعلها الآن في مصر والقاهرة أكثر من مائتي جامع قال هشام ابن عمار حدثنا المغيرة ابن المغيرة حدثنا عثمان بن عطاء الخراساني عن أبيه قال لما افتتح عمر البلدان كتب الى أبي موسى وهو على البصرة يأمره ان يتخذ مسجدا للجماعة ويتخذ للقبائل مساجد فاذا كان يوم الجمعه انضموا الى مسجد الجماعه وكتب الى سعد بن أبي وقاص وهو على الكوفة بمثل ذلك وكتب الى عمرو بن العاصي وهو على مصر بمثل ذلك وكتب الى امراء أجناد الشام ان لا ينبذوا الى القرى وان ينزلوا المدائن وان يتخذوا في كل مدينة مسجدا واحدا ولا تتخذ القبائل مساجد وكان الناس متمسكين بأمر عمر وعهده وقال القضاعي لم تكن الجمعه تقام في زمن عمرو بن العاصي بشيء من أرض مصر الا بجامع الفسطاط قال ابن يونس جاء نفر من غافق الى عمرو بن العاصي فقال انا نكون في الريف فنجتمع في العيدين الفطر والاضحى ويؤمنا رجل منا قال نعم قالوا فالجمعة قال لا ولا يصلى الجمعة بالناس الا من أقام الحدود وأخذ بالذنوب واعطى الحقوق

جامع عمرو

قال ابن المتوج في ايقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل هو الجامع العتيق المشهور بتاج الجوامع قال الليث بن سعد ليس لاهل الراية مسجد غيره وكان الذى حاز موضعه ابن كلثوم التجيبي ويكني أبا عبد الرحمن ونزله في حصارهم الحصن فلما رجعوا من الاسكندرية سأل عمر وقيسبة في منزله هذا تجعله مسجدا فقال قيسبة فاني أتصدق به على المسلمين فسلمه اليهم فبني في سنة احدى وعشرين وكان طوله خمسين ذراعا في عرض ثلاثين ويقال انه وقف على اقامة قبلته ثمانون رجلا من الصحابة منهم الزبير بن العوام والمقداد بن الاسود وعبادة بن الصامت والدرداء وابو ذر وأبو بصرة ومحمية بن جزء الزبيدى ونبيه بن صواب وفضالة بن عبيد وعقبة بن عامر ورافع بن مالك وغيرهم ويقال انها كانت مشرفة جدا وان قرة ابن شريك لما هدم المسجد وبناه في زمن الوليد تيامن قليلا وذكر ان الليث بن سعد وعبد الله بن لهيعة كانا يتيامنان اذا صليا فيه ولم يكن للمسجد الذى بناه عمرو محراب مجوف وانما قرة بن شريك جعل المحراب المجوف وأول من أحدث ذلك عمر بن عبد العزيز وهو يومئذ عامل الوليد على المدينة حين هدم المسجد النبوي وزاد فيه وأول من زاد في جامع عمرو مسلمة بن مخلد وهو أمير مصر سنة ثلاث وخمسين شكي الناس اليه ضيق المسجد فكتب الى معاوية فكتب معاوية اليه

بأمره بالزيادة فيه فزاد فيه من بحريه وجعل له رحبة من البحرى وبيضه وزخرفه ولم يغير البناء القديم ولا أحدث في قبلته ولا غربيه شيأ وكان عمرو قد اتخذ منبرا فكتب اليه عمر بن الخطاب رضى الله عنه يعزم عليه فى كسره اما يحسبك ان تقوم قائماً والمسلمون جلوس تحت عقبيك فكسره وذكر انه زاد من شرقيه حتي ضاق الطريق بينه وبين دار عمرو بن العاصى وفرشه بالحصر وكان مفروشاً بالحصباء وقال في كتاب الجندالعربي ان مسلمة نقض جميع ما كان عمرو بن العاصي بناه وزاد فيه من شرقيه وبنى فيه أربع صوامع في أركانه الاربعة برسم الاذان ثم هدمه عبد العزيز بن مروان أيام أمرته بمصر في سنة تسع وسبعين وزاد فيه من ناحية الغرب وأدخل فيه الرحبة التي كانت بحريه ثم في في سنة تسع وثمانين أمر الوليد نائبه بمصر برفع سقفه وكان مطأطأ ثم هدمه قرة بن شريك بأمر الوليد سنة اثنتين وتسعين وبناه فكانوا يجمعون في قيسارية العسل حتى فرغ من بنائه في رمضان سنة ثلاث وتسعين ونصب فيه المنبر الجديد فى سنة أربع وتسعين وعمل فيه المحراب المجوف وعمل للجامع أربعة أبواب ولم يكن له قبل الابابان وبنى فيه بيت المال بناه اسامة بن زيد التنوخي متولى الخراج بمصر سنة تسعة وتسعين فكان مال المسلمين فيه ثم زاد فيه صالح بن على بن عبد الله ابن عباس وهو يومئذ أمير من قبل السفاح وذلك في سنة ثلاث وثلاثين ومائة فادخل فيه دار الزبير بن العوام وأحدث له بابا خامساً ثم زاد فيه موسى بن عيسي الهاشمي وهو يومئذ أمير مصر من قبل الرشيد فى شعبان سنة خمس وسبعين ومائة ثم زاد فيه عبد الله بن طاهر بن الحسين وهو أمير مصر من قبل المأمون في جمادى الآخرة سنة اثنتي عشرة ومائتين فتكامل ذرع الجامع مائتين وتسعين ذراعا بذراع العمل طولا في مائة وخمسين عرضاً ويقال ان ذرع جامع ابن طولون مثل ذلك سوى الازقة المحيطة بجوانبه الثلاث ونصب عبد الله ابن طاهر اللوح الاخضر فلما احترق الجامع احترق ذلك اللوح فجعل أحمد بن محمد العجيفى هذا اللوح مكانه وهو الباقي الى اليوم ولما تولى الحارث بن مسكين القضاء من قبل المتوكل سنة ثلاث وثلاثين ومائتين أمر ببناء هذه الرحبة لينتفع الناس بها وبلط زيادة بن طاهر وأصلح السقف ثم زاد فيه أبو أيوب احمد بن محمد بن شجاع صاحب الخراج في أيام المستعصم في سنة ثمان وخمسين ومائتين ثم وقع في مؤخر الجامع حريق في ليلة الجمعة لتسع خلون من صفر سنة خمس وسبعين ومائتين فأمر خمارويه ابن أحمد ابن طولون بعمارته على يد العجيفي فأعيد على ما كان وانفق فيه ستة آلاف وأربعمائة دينار وكتب اسم خمارويه في دائرة الرواق الذى عليه اللوح الاخضر وزاد فيه أبو حفص العباسي أيام نظره في قضاء مصر خلافة لاخيه الغرفة التي يؤذن فيها المؤذنون في السطح وذلك في سنة ست

وثلاثين وثلثمائة ثم زاد فيه أبو بكر محمد بن عبدالله بن الخازن رواقا مقداره تسعة أذرع وذلك في رجب سنة سبع وخمسين وثلثمائة ومات قبل اتمامه فأتمه ابنه على وفرغ في رمضان سنة ثمان وخمسين ثم بنى فيه الوزير أبو الفرج يعقوب بن كلس بامر العزيز بالله الفوارة التي تحت قبة بيت المال وهو أول من عمل فيه فوارة وفي سنة سبع وثمانين وثلثمائة بيض المسجد ونقشت الواحه وذهب على يد برجوان الخادم وعمل فيه تنور يوقد كل ليلة جمعة وفي سنة ثلاث وأربعمائة أنزل اليه من القصر بالف ومائتين وتسعين مصحفاً في ربعات فيها ما هو مكتوب بالذهب كله ومكن الناس من القراءة فيها وأنزل اليه تنور من فضة استعمله الحاكم بأمر الله برسم الجامع فيه مائة ألف درهم فضة فاجتمع الناس وعلق بالجامع بعد ان قلعت عتبتا الجامع حتى أدخل به ثم في أيام المستنصر في رمضان سنة ثمان وثلاثين وأربعمائة زيد في المقصورة في شرقيها وغربيها وعملت منطقة فضة في صدر المحراب الكبير أثبت عليها اسم أمير المؤمنين وجعل لعمودي المحراب أطواقا من فضة فلم يزل ذلك الى ان استبد السلطان صلاح الدين بن أيوب فأزاله وفي ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعين وأربعمائة عمل مقصورة خشب ومحراب ساج منقوش بعمودى صندل برسم الخليفة تنصب له في زمن الصيف وتقلع في زمن الشتاء اذا صلى الامام في المقصورة الكبيرة وفي سنة أربع وستين وخمسمائة تمكن الفرنج من ديار مصر وحكموا في القاهرة حكما جائراً فتشعث الجامع فلما استبد السلطان صلاح الدين جدده في سنة ثمان وستين وخمسمائة ورخمه ورسم عليه اسمه وعمر المنظرة التي تحت المأذنة الكبيرة وجعل لها سقاية ولما تولى تاج الدين بن بنت الاعز قضاء الديار المصرية أصلح ما مال منه وهدم ما به من الغرف المحدثة وجمع أرباب الخبرة واتفق الرأى على ابطال جواز الماء الى الفسقية وكان الماء يصل اليها من بحر النيل فامر بابطاله لما كان فيه من الضرر على جدار الجامع وحدث السلطان بيبرس فى عمارة ما تهدم من الجامع فرسم بعمارته وكتب اسم الظاهر بيبرس على اللوح الاخضر وجليت العمد كلها وبيض الجامع باسره وذلك في رجب سنة ست وستين وستمائة ثم جدد في أيام المنصور قلاوون سنة سبع وثمانين وسبعمائة ولما حدثت الزلزلة في سنة اثنتين وسبعمائة تشعث الجامع فجدده سلار نائب السلطنة ثم تشعث فى أيام الظاهر برقوق فعمره الرئيس برهان الدين ابراهيم بن عمر المحلى رئيس التجار وأزال اللوح الاخضر وجدد لوحا آخر بدله وهو الموجود الآن وانتهت عمارته فى سنة أربع وثمانمائة وقال ابن المتوج ذرع هذا الجامع اثنان وأربعون ألف ذراع بذراع البز المصري القديم وهو ذراع الحصر المستعمل الآن وذرعه بذراع العمل ثمانية وعشرون ألف ذراع وعدد أبوابه ثلاثة عشر بابا وممن تولى امامة هذا

الجامع أبو رجب العلاء بن عاصم الخولاني وهو أول من سلم في الصلاة تسليمتين بهذا الجامع بكتاب ورد عليه من المأمون يأمره بذلك وصلى خلفه الامام الشافعي حين قدم مصر فقال هكذا تكون الصلاة ماصليت خلف أحد أتم صلاة من أبي رجب ولا أحسن ولما تولي القصص حسن بن الربيع بن سليمان فى زمن المتوكل سنة أربعين ومائتين أمر بترك قراءة بسم الله الرحمن الرحيم فى الصلاة وأمر أن تصلى التراويح وكانت تصلى قبل ذلك ست تراويح قال القضاعى ولم يكن الناس يصلون بالجامع صلاة العيد حتى كانت سنة ست وثلثمائة صلى فيها رجل يعرف بعلى بن أحمد بن عبد الملك الفهمي صلاة الفطر ويقال انه خطب من دفتر نظرا وحفظ عنه انه قال اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن الا وأنتم مشركون فقال بعض الشعراء

وقام فى العيد لنا خطيباً * فحرض الناس على الكفر

وذكر بعضهم انه كان يوقد في الجامع العتيق كل ليلة ثمانية عشر ألف فتيلة وان المطلق برسمه خاصة لوقود كل ليلة احد عشر قنطاراً زيتاً طيباً وقال المقريزي أخبرني شهاب الدين احمد بن عبد الله الاوحدى اخبرنى المؤرخ ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات اخبرنا العلامة شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ الحنفى انه ادرك بجامع عمرو قبل الوباء الكائن في سنة تسع واربعين وسبعمائة بضعا واربعين حلقة لاقراء العلم لاتكاد تبرح منه

جامع احمد بن طولون

هذا الجامع موضعه يعرف بجبل يشكر قال ابن عبد الظاهر وهو مكان مشهور باجابة الدعاء وقيل ان موسى عليه الصلاة والسلام ناجى ربه عليه بكلمات وابتدأ في بناء هذا الجامع الأمير أبو العباس أحمد بن طولون بعد بنائه القطائع وهى مدينة بناها مابين سفح الجبل حيث القلعة الآن وبين الكبارة وما بين كوم الجارح وقناطر السباع فهذه كانت القطائع وكان ابتداء بنائه فى سنة ثلاث وستين ومائتين وفرغ منه سنة ست وستين وبلغت النفقة عليه فى بنائه مائة ألف دينار وعشرين ألف دينار وقيل انه قال أريد أن ابني بناء ان احترقت مصر بقى وان غرقت بقى فقيل تبني بالجبر والرماد والآجر الاحمر ولا تجعل فيه أساطين رخام فانه لاصبر له على النار فبنى هذا البناء فلما كمل بناؤه أمر أن يعمل دائرة منطقه عنبر معجون ليفوح ريحها على المصلين وأشعر الناس بالصلاة فيه فلم يجتمع فيه أحد وظنوا أنه بناه من مال حرام فخطب فيه وحلف أنه مابني هذا المسجد بشئ من ماله وانما بناه بكنز ظفر به وان العشار الذي نصبه على منارته وجده في الكنز فصلي الناس فيه وسألوه

أن يوسع قبلته فذكر أن المهندسين اختلفوا فى تحرير قبلته فرأى في المنام النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول يا أحمد ابن قبلة هذا الجامع على هـذا الموضع وخط له في الارض صورة مايعمل فلما كان الفجر مضى مسرعا الى ذلك الموضع فوجد صورة القبـلة في الارض مصورة فبنى المحراب عليها ولا يسعه أن يوسع فيه لاجل ذلك فعظم شأن الجامع وسألوه أن يزيد فيه زيادة فزاد فيه قال الخطيب ركب أحمد بن طولون يوما يتصيد بمصر فغاصت قوائم فرسه في الرمل فأمر بكشف ذلك الموضع فظهر له كنز فيه ألف ألف دينار فانفقها في أبواب البر والصدقات وبنى منها الجامع وأنفق عليـه مائة ألف دينـار وعشرين ألف دينار وبنى المارستان وأنفق عليه سـتين ألف دينار وقال صاحب مرآة الزمان قرأت في تاريخ مصر ان بن طولون كان لايعبث قط وانه أخـذ يوما درجا من الكاغد وجعل يعبث به وبقي بعضه في يده فعجب الحاضرون فقال اصنعوا منارة الجامع على هذا المثال وهى قائمة اليوم على ذلك قال ولمـا تم بناء الجامع رأى ابن طولون في منامه كأن الله تجلى للقصور التى حول الجامع ولم يتجـل للجامع فسأل المعـبرين فقالوا يخرب ماحوله ويبقي الجامع قائماً وحده قال ومن أين لكم هذا قالوا من قوله تعـالى فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاء وقوله عليه الصلاة والسـلام اذا تجلى الله لشئ خضع له فكان كما قالوا وفى الخطط للمقريزى بني أحمد بن طولون جامعـه على بناء جامع سامر وكذلك المنارة وبيضه وحلقه وفرشـه بالحصر العبدانى وعلق فيـه القناديل المحكمة بالسلاسل النحاس المفرغة الحسان الطوال وحمل اليه صناديق المصاحف وكان في وسط صحنه قبة مشبكة من جميع جوانبها وهي مذهبـة على عشرة عمد رخام مفروشـة كلها بالرخام وتحت القبة قصعة رخام سعتها أربعة أذرع في وسطها فوارة تفور بالماء وكانت على السطح علامات للزوال والسطح بدرابزين ساج فاحترق هذا كله في ساعة واحدة في ليلة الخميس لعشر خلون من جمادي الاولى سنة تسع وسبعين وثلثمائة فلما كان في محرم سنة خمس وثمانين وثلثمائة أمر العزيز بالله ابن المعز ببناء فوارة عوضاً عن التي أحترقت قال المقريزى ولما كمل بناء جامع بن طولون صلى فيه القاضى بكار اماما وخطب فيه أبو يعقوب البلخي وأملى فيه الحديث الربيع ابن سليمان تلميذ الامام الشافعي ودفع اليـه أحمد بن طولون في ذلك اليوم كيساً فيه ألف دينار وعمل الربيع كتاباً فيما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال من بني لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتاً في الجنة ودس احمد بن طولون عيوناً لسماع مايقوله الناس من العيوب فى الجامع فقال رجـل محرابه صغير وقال آخر مافيه عمود وقال آخر ليس له ميضاة فجمع الناس وقال اما المحراب فاني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد خطه لى وأما العمد فانى بنيت هذا الجامع من مال

حلال وهو الكنز وما كنت لاشوبه بغيره وهذا العمدا ما أن تكون من مسجد أو كنيسة فنزهته عنها وأما الميضاة فها أنا أبنيها خلفه ثم عمل في مؤخره ميضاة وخزانة شراب فيها جميع الاشربة والادوية وعليها خدم وفيها طبيب جالس يوم الجمعة لحادث يحدث من الحاضرين للصلاة وأوقف على الجامع أوقافا كثيرة سوى الرباع ونحوها ولم يتعرض الى شيء من أراضى مصر البته ثم لما وقع الغلاء في زمن المستنصر خرجت القطائع بأسرها وعدم السكن هنالك وصار ماحول الجامع خرابا وتوالت الايام على ذلك فتشعث الجامع وخرب أكثره وصارت المغاربة تنزل فيه بابلها ومتاعها عند ماتقدم الحج وتمادي الامر على ذلك ثم ان لاجين لما قتل الاشرف خليل بن قلاوون هرب فاختفى بمنارة هذا الجامع فنذر ان نجاه الله من هذه الفتنة ليعمرنه فنجاه الله وتسلطن فأمر بتجديده وفوض اموره الى الامير علم الدين سنجر الزيني فعمره ووقف عليه وقفاً ورتب فيه دروس التفسير والحديث والفقه على المذاهب الاربعة والقراآت والطب والميقات حتى جعل من جملة ذلك وقفاً على الديكة تكون في سطح الجامع في مكان مخصوص بها لانها تعين الموقتين وتوقظهم في السحر فلما قرئ كتاب الوقف على السلطان أعجبه كل ما فيه الا أمر الديكة فقال ابطلوا هذا لا تضحكوا الناس علينا فابطل وأول من ولى نظره بعد تجديده الامير علم الدين سنجر العادلى وهو اذ ذاك دوادار السلطان لاجين ثم ولى نظره قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة ثم وليه أمير مجلس في أيام الناصر محمد بن قلاوون فلما مات وليه قاضى القضاة عز الدين بن جماعة ثم ولاه الناصر للقاضى كريم الدين فجدد فيه ماذنتين فلما نكبه السلطان عاد نظره للقاضى الشافعى الى أيام السلطان حسن فتولاه الامير صرغتمش وتوفر في مدة نظره من مال الوقف مائة ألف درهم فضة وقبض عليه وهي حاصلة فباشره قاضى القضاة الى أيام الاشرف شعبان ففوض نظره الى الامير الجاي اليوسفى الى ان غرق فتحدث فيه القاضى الشافعي الى ان فوض الظاهر برقوق نظره الى الامير قطلوبغا الصفوى ثم عاد نظره الى القضاة بعد الصفوي وهو بأيديهم الى اليوم وفي سنة اثنتين وتسعين وسبعمائة جدد الرواق البحري الملاصق للمأذنة البازدار مقدم الدولة عبيد بن محمد بن عبد الهادى وجدد فيه أيضاً ميضاة بجانب الميضاة القديمة

الجامع الازهر

هذا الجامع أول جامع أسس بالقاهرة أنشأه القائد جوهر الكاتب الصقلى مولي المعز لدين الله لما اختط القاهرة وابتدأ بناءه فى يوم السبت لست بقين من جمادى الاولي سنة تسع وخمسين وثلثمائة وكمل بناؤه لسبع خلون من رمضان سنة احدى وستين

وكان به طلسم لا يسكنه عصفور ولا يمام ولا حمام وكذا سائر الطيور ثم جدده الحاكم بأمر الله ووقف عليه أوقافاً وجعل فيه تنورين فضة وسبعة وعشرين قنديلا فضة وكان نضده في محرابه منطقه فضة كما كان في محراب جامع عمرو فقلعت في زمن صلاح الدين يوسف بن أيوب فجاء وزنها خمسة آلاف درهم نقره وقلع أيضاً المناطق من بقية الجوامع ثم ان المستنصر جدد هذا الجامع أيضاً وجدده الحافظ. وأنشأ فيه مقصورة لطيفة بجوار الباب الغربي الذى في مقدم الجامع ثم جدد في أيام الظاهر بيبرس ولما بني الجامع كانت الخطبة تقام فيه حتى بني الجامع الحاكمى فانتقلت الخطبة اليه وكان الخليفة يخطب في جامع عمرو جمعه وفي جامع ابن طولون جمعة وفي الجامع الازهر جمعه ويستريح جمعة فلما بنى الجامع الحاكمي صار الخليفة يخطب فيه ولم تنقطع الجمعة من الجامع الازهر بالكلية فلما ولي السلطان صلاح الدين بن أيوب قلد وظيفة القضاء صدر الدين بن درباس فعمل بمقتضى مذهبه وهو امتناع اقامة خطبتين في بلد واحد كما هو مذهب الشافعى رضي الله عنه فأبطل الخطبة من الجامع الازهر وأقرها بالجامع الحاكمى لكونه أوسع فلم يزل الجامع الازهر معطلا من اقامة الخطبة فيه الى أيام الظاهر بيبرس فتحدث في اعادتها فيه فامتنع قاضى القضاة ابن بنت الاعز وصمم فولى السلطان قاضياً حنفيا فاذن فى اعادتها فاعيدت

جامع الحاكم

أول من أسسه العزيز بالله ابن المعز وخطب فيه وصلى بالناس ثم اكمله الحاكم بأمر الله وكان أولا يعرف بجامع الخطبة ويعرف اليوم بجامع الحاكم ويقال له الجامع الانور وكان تمام عمارته في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة وحبس عليه الحاكم عدة قياسر وأملاك بباب الفتوح وقد هدم في الزلزلة الكائنة في سنة اثنتين وسبعمائة فجدده بيبرس الجاشنكير ورتب فيه دروساً على المذاهب الاربعة ودرس حديث ودرس نحو ودرس قراآت ومن بناء الحاكم أيضاً جامع راشدة بجوار رباط الاثار وعرف بجامع راشدة لانه في خطة راشدة قبيلة من لخم وصلى به الحاكم الجمعة أيضاً ومن بنائها أيضاً الجامع الذي بالمقس على شاطىء النيل ووقف عليه أوقافاً ثم جدده في سنة سبعين وسبعمائة الوزير شمس الدين المقسى ومن الجوامع التي بنيت في خلافة بني عبيد الجامع الاقمر بناه الآمر بأحكام الله والجامع الاقمر وهو الذى يقال له اليوم جامع الفكاهين بناه الخليفه الظافر وجامع الصالح خارج باب زويلة بناه الملك الصالح طلائع ابن رزيك وزير الخليفه الفائز

ذكر أمهات المدارس والخانقاة العظيمة بالديار المصرية

قال أول من بنى المدارس في الاسلام الوزير نظام الملك قوام الدين الحسن بن على الطوسى وكان وزير السلطان البارسلان السلجوقي عشر سنين ثم وزر لولده ملكشاه عشرين سنة وكان يحب الفقهاء والصوفيه ويكرمهم ويؤثرهم بني المدرسه النظاميه ببغداد وشرع فيها فى سنه سبع وخمسين وأربعمائة ونجزت سنة تسع وخمسين وجمع الناس على طبقاتهم فيها يوم السبت عاشر ذى القعدة ليدرس فيها الشيخ أبو اسحق الشيرازى فجاء الشيخ ليحضر الدرس فلقيه صبي في الطريق فقال ياشيخ كيف تدرس في مكان مغصوب فرجع الشيخ واختفى فلما يئسوا من حضوره ذكر الدرس بها أبو نصر بن الصباغ عشرين يوما ثم ان نظام الملك احتال على الشيخ ابي اسحق ولم يزل يرفق به حتى درس بها فحضر يوم السبت مستهل ذى الحجة وألقى الدرس بها الى أن توفي وكان يخرج أوقات الصلاة فيصلى بمسجد خارجها احتياطاً وبنى نظام الملك أيضاً مدرسة بنيسابور تسمى النظامية درس بها امام الحرمين واقتدى الناس به في بناء المدارس وقد أنكر الحافظ الذهبي فى تاريخ الاسلام على من زعم ان نظام الملك أول من بني المدارس وقال قد كانت المدرسة البيهقية بنيسابور قبل ان يولد نظام الملك والمدرسة السعيديه بنيسابور أيضاً بناها الامير نصر بن سبكتين أخو السلطان محمود لما كان والياً بنيسابور ومدرسة ثالثة بنيسابور بناها ابو سعد اسماعيل بن علي بن المثني الاستراباذى الصوفي الواعظ شيخ الخطيب ومدرسة رابعة بنيسابور أيضاً بنيت للاستاذ أبي اسحق قال الحاكم في ترجمة الاستاذ ابي اسحق لم يكن بنيسابور مدرسة قبلها مثلها وهذا صريح في انه بني قبلها غيرها قال القاضى تاج الدين السبكي في طبقاته الكبرى قد أدرت فكرى وغلب على ظني ان نظام الملك أول من رتب فيها المعاليم للطلبة فانه لم يصح لى هل كان للمدارس قبله معاليم أم لا والظاهر انه لم يكن لهم معلوم انتهى وأما مصر فقال ابن خلكان لما ملك السلطان صلاح الدين بن أيوب الديار المصريه لم يكن بها شيء من المدارس فان الدولة العبيديه كان مذهبها مذهب الرافضة والشيعة فلم يكونوا يقولون بهذه الاشياء فبني السلطان صلاح الدين بالقرافه الصغري المدرسة المجاورة للامام الشافعي وبني مدرسة مجاوره للمشهد الحسيني بالقاهرة وجعل دار سعيد السعدا خادم الخلفاء المصريين خانقاه وجعل دار عباس الوزير العبيدى مدرسة للحنفيه وهي المعروفه الآن بالسيوفيه وبنى المدرسه التي بمصر المعروفه بزين التجار للشافعى وتعرف الان بالشريفيه وبني بمصر مدرسه أخرى للمالكيه وهي المعروفه الآن بالقمحيه وقد حكى ان الخليفه المعتضد بالله العباسي لما بني قصره ببغداد استزاد في الذرع فسئل عن ذلك فذكر انه يريده ليبني فيها دورا ومساكن ومقاصير يرتب في كل موضع رؤساء كل صناعه ومذهب

من مذاهب العلوم النظريه والعمليه ويجرى عليهم الارزاق السنيه ليقصد كل من اختار علماً أوصناعه رئيساً فيأخذ عنه وقد ذكر الواقدى ان عبد الله بن أم مكتوم قدم مهاجرا الى المدينه فنزل دار القراء

ذكر المدرسه الصلاحيه

بجوار الامام الشافعى رضى الله عنه وينبغى ان يقال لها تاج المدارس وهى أعظم مدارس الدنيا على الاطلاق لشرفها بجوار الامام الشافعي ولان بانيها أعظم الملوك ليس في ملوك الاسلام مثله لا قبله ولا بعده بناها السلطان صلاح الدين بن أيوب رحمه الله تعالى سنة اثنتين وسبعين وخمسمائه وجعلا التدريس والنظر بها للشيخ نجم الدين الخبوشاني وشرط له من المعلوم في كل شهر أربعين دينارا معاملة صرف كل دينار ثلاثة عشر درهما وثلث درهم عن التدريس وجعل له عن معلوم النظر في أوقاف المدرسة عشرة دنانير ورتب له من الخبز في كل يوم ستين رطلا بالمصري وراويتين من ماء النيل قال المقريزى ولى تدريسها جماعة من الاكابر الاعيان ثم خلت من مدرس ثلاثين سنه واكتفى فيها بالمعيدين وهم عشرة أنفس فلما كان سنة ثمان وسبعين وستمائة ولى تدريسها تقى الدين بن رزين وقرر له نصف المعلوم فلما مات وليها الشيخ تقى الدين ابن دقيق العيد بربع المعلوم فلما ولى الصاحب برهان الدين الخضر السنجاري التدريس قرر له المعلوم الشاهد به كتاب الوقف وقد استمرت بيد الخبوشاني الي ان مات سنة سبع وثمانين وخمسمائة فوليها شيخ الشيوخ صدر الدين أبو الحسن محمد بن حموية الجوينى في حياة الواقف فلما مات الواقف عزل عنها واستمرت عليها أيدى بني السلطان واحدا بعد واحد ثم خلصت بعد ذلك وعاد اليها الفقهاء والمدرسون كذا في تاريخ ابن كثير وذكر المقريزي في الخطط ان صدر الدين بن حمويه ولى تدريس الشافعي وانه وليها ولده كمال الدين أحمد ومات سنة تسع وثلاثين وستمائة ثم وليها قاضى القضاة تاج الدين بن بنت الاعز ثم وليها قاضى القضاة تقى الدين بن رزين ثم وليها قاضي القضاة تقى الدين بن بنت الاعز ثم وليها قاضى القضاء شيخ الاسلام تقى الدين بن دقيق العيد ثم وليها عز الدين محمد بن محمد بن الحرث ابن مسكين ثم وليها في سنة احدى عشرة وسبعمائه ضياء الدين عبد الله بن أحمد بن منصور النسائي ومات سنة ست عشرة وسبعمائة ثم وليها مجد الدين حرمى بن قاسم بن يوسف الفاقوسي الى ان مات سنة أربع وثلاثين وسبعمائة ثم وليها شمس الدين بن القماح ثم ضياء الدين محمد بن ابراهيم المناوي ثم شمس الدين بن اللبان ثم شمس الدين محمد بن أحمد بن خطيب بيروت الدمشقى ثم بهاء الدين بن الشيخ تقى الدين السبكى ثم أخوه تاج الدين لما سافر بهاء الدين عوضه قاضياً بالشام ثم لما عاد تاج الدين الى القضاء عاد

اليها الى التدريس الى ان مات ثم ان عمه قاضي القضاة بهاء الدين أبو البقاء محمد بن عبد البر السبكى ثم ولده بدر الدين محمد ثم البرهان بن جماعة ثم الشيخ سراج الدين البلقينى ثم أعيد البرهان بن جماعة ثم أعيد بدر الدين أبو البقاء السبكى ثم قاضى القضاة عماد الدين أحمد بن عيسى الكركي ثم أعيد البدر بن أبى البقاء ثم وليها بعده ولده جلال الدين محمد الى ان مات فوليها بعده شمس الدين البيرى أخو جمال الدين الاستاذار ثم عزل في سنة اثنتي عشرة وثمانمائة لما نكب أخوه ووليها نور الدين على بن عمر التلواني فأقام بها مدة طويلة الى ان مات في ذي القعدة سنة أربع وأربعين وثمانمائة وهو أطول شيوخها مدة ووليها بعده العلاء القلقشندى ثم ابن حجر ثم الونائى ثم القاياتى ثم السفطي ثم الشرف المناوى ثم السراج الحمصى ثم أعيد المناوى الى ان مات ثم ولده زين العابدين ثم ابنه ثم امام الكاملية ثم الحمصى ثم الشيخ زكريا

خانقاة سعيد السعداء

وقفها السلطان صلاح الدين بن أيوب وكانت دار السعيد السعداء قنبر ويقال عنبر عتيق الخليفة المستنصر فلما استبد الناصر صلاح الدين بالامر وقفها على الصوفية في سنة تسع وستين وخمسمائة ورتب لهم كل يوم طعاما ولحماً وخبزاً وهي أول خانقاة عملت بديار مصر ونعت شيخها بشيخ الشيوخ وما زال ينعت بذلك الى أن بني الناصر محمد بن قلاوون خانقاة سرياقوس فدعي شيخها بشيخ الشيوخ فاستمر ذلك بعدهم الى ان كانت الحوادث والمحن منذ سنة ست وثمانمائة وضاعت الاحوال وتلاشت الرتب تلقب كل شيخ خانقاة بشيخ الشيوخ وكان سكانها من الصوفية يعرفون بالعلم والصلاح وترجي بركتهم وولى مشيختها الاكابر وحيث أطلق في كتب الطبقات في ترجمة أحد انه ولى مشيخة الشيوخ فالمراد مشيختها ولشيخها شيخ الشيوخ هذا هو المراد عند الاطلاق وقد وليها عن الواقف صدر الدين محمد بن حموية الجويني ثم ولده كمال الدين أحمد ثم ولده معين الدين حسن أخو كمال الدين ثم وليها كريم الدين عبد الكريم بن الحسين الاملى ثم وليها قاضى القضاة تاج الدين بن بنت الاعز ثم وليها الشيخ صابر الدين حسن البخارى ثم وليها شمس الدين محمد بن أبي بكر الايلى ثم وليها قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة ثم وليها الاملى ثم وليها العلامه علاء الدين القونوى ثم وليها مجد الدين موسى بن أحمد ابن محمود الاقصرائى ثم وليها شمس الدين محمد بن ابراهيم النقشواني ثم وليها كمال الدين أبو الحسن الجوارى ثم سراج الدين عمر الصدى الى ان مات سنة تسع واربعين وسبعمائة ثم وليها الشيخ بدر الدين حسن بن العلامة علاء الدين القونوى الى ان مات سنة ست وسبعين وسبعمائة ثم جلال الدين جار الله الحنفى الى سنة ثمان وسبعين

وسبعمائة ثم وليها علاء الدين أحمد بن محمد السراى ثم الشيخ برهان الدين الابناسى ثم شمس الدين محمد بن محمود بن عبدالله بن أخى جار الله ثم أعيد البرهان الابناسى ثم شهاب الدين أحمد بن محمد الانصارى ثم أعيد محمد بن أخي جار الله ثم وليها شمس الدين محمد بن على البلالى مدة متطاولة الى أن مات سنة عشرين وثمانمائة ثم وليها شمس الدين البيري أخو جمال الدين الاستاذار ثم وليها الشيخ شهاب الدين بن المحموه ثم جمال الدين يوسف بن أحمد التزمنتى المعروف بابن المجير ثم أعيد ابن المحموه ثم القاياتى ثم الشيخ خالد ثم تقى الدين القلقشندي ثم السراج العبادى ثم الكوراني ثم السنتاوي

المدرسة الكاملية

وهى دار الحديث وليس بمصر دار حديث غيرها وغير دار الحديث التى بالشيخونية قال المقريزي وهى ثاني دار عملت للحديث فان أول من بنى دار حديث على وجه الارض الملك العادل نور الدين محمود بن زنكى بدمشق ثم بنى الكامل هذه الدار بناها الملك الكامل وكملت عمارتها في سنة احدى وعشرين وستمائة وجعل شيخها أبو الخطاب عمر بن دحية ثم وليها بعده أخوه أبو عمر وعثمان بن دحية ثم وليها الحافظ زكي الدين عبد العظيم المنذري ثم وليها شرف الدين بن أبي الخطاب بن دحية ثم وليها بعده المحدث محيي الدين بن سراقة ثم وليها تاج الدين بن القسطلاني المالكى ثم وليها النجيب عبد اللطيف الحراني ثم وليها القطب القسطلاني الشافعي ثم وليها ابن دقيق العيد ثم وليها أبو عمرو بن سيد الناس والد الحافظ فتح الدين فانتزعها منه البدر بن جماعة ثم وليها عماد الدين محمد بن على بن حرمي الدمياطى ومات سنة تسع وأربعين وسبعمائة ثم البدر بن جماعة ثم نزل عنها للجمال ابن التركمانى الى ان مات سنة تسع وستين وسبعمائة ووليها الحافظ زين الدين العراقي ثم لما ان ولى قضاء المدينة سنة ثمان وثمانين وسبعمائة استقر فيها الشيخ سراج الدين بن الملقن

المدرسة الصالحية

بين القصرين هي أربع مدارس للمذاهب الاربعة بناها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل شرع في بنائها سنة تسع وثلاثين قال المقريزى وهذه المدرسة من أجل مدارس القاهرة الا انها قد تقادم عهدها فرثت ولما افتتحت أنشد فيها الاديب أبو الحسين الجزار

الاهكذا يبني المدارس من بني * ومن يتغالى في الثواب وفى البنا

وفي أبيات أخر قال السراج الوراق

مليك له فى العلم حب وأهله * فلله حب ليس فيه ملام

فشيدها للعلم مدرسة غدا * عراق أهلها اذ ينسبون وشام
ولاتذكرن يوما نظامية لها * فليس يضاهي ذا النظام نظام

قال ابن السنبرة الشاعر وقد نظر الى قبر الملك الصالح وقد دفن الى مايختص بالمالكية من مدرسته

بنيت لأرباب العلوم مدارساً * لتنجو بها من هول يوم المهالك
وضاقت عليك الارض لم تلق منزلا * تحل به الا الى جنب مالك

المدرسة الظاهرية القديمة

للملك الظاهر بيبرس البندقداري شرع في بنائها سنة احدى وستين وستمائة وتمت في أول سنة اثنتين وستين ورتب لتدريس الشافعية بها تقي الدين بن رزين والحنفية محب الدين عبد الرحمن بن الكمال عمر بن العديم ولتدريس الحديث الحافظ شرف الدين الدمياطي ولاقراء القراآت بالروايات كمال الدين القرشي ووقف بها خزانة كتب

المدرسة المنصورية

أنشاها هي والبيمارستان الملك المنصور قلاوون وكان على عمارتها الامير علم الدين سنجر الشجاعي فلما تم دخل عليه الشرف البوصيري فمدحه بقصيدة أولها

أنشأت مدرسة ومارستانا * لتصحح الاديان والابدانا

فأعجبه ذلك وأجزل عطاءه ورتب في هذه المدرسة دروس فقه على المذاهب الاربعة ودرس تفسير ودرس حديث ودرس طب

المدرسة الناصريه

ابتدأها العادل كتبغا وأتمها الناصر محمد بن قلاوون فرغ من بنائها سنة ثلاث وسبعمائة ورتب بها دروساً للمذاهب الاربعة قال المقريزي أدركت هذه المدرسة وهي محترمة الى الغاية يجلس بدهليزها عدة من الطواشية ولا يمكن غريب ان يصعد اليها

الخانقاة البيبرسية

بناها الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكيري في سنة سبع وسبعمائة موضع دار الوزارة ومات بعد ان تسلطن فاغلقها الناصر بن قلاوون في سلطنته الثالثة مدة ثم أمر بفتحها قال المقريزي وهي أجل خانقاة بالقاهره بنيانا وأوسعها مقداراً وأتقنها صنعة والشباك الكبير الذي بها هو الشباك الذي كان بدار الخلافة ببغداد وكانت الخلفاء تجلس فيه حمله الامير البساسيري من بغداد لما غلب على الخليفة القائم العباسي وأرسل به الى صاحب مصر

خانقاة قوصون بالقرافه

بنيت فى سنة ست وثلاثين وسبعمائة وأول من ولى مشيختها الشمسى محمود الاصفهانى الامام المشهور صاحب التصانيف المشهورة وكانت من أعظم جهات البر وأعظمها خيرا الى ان حصلت المحن سنة ست وثمانمائة فتلاشى أمرها كما تلاشى غيرها

خانقاة شيخو

بناها الامير الكبير رأس نوبة الامراء الجمدارية سيف الدين شيخو العمرى جالبه خواجا عمر وأستاذه الناصر محمد بن قلاوون ابتدأ عمارتها في المحرم سنة ست وخمسين وسبعمائة وفرغ من عمارتها في سنة سبع وخمسين وسبعمائة ورتب فيها أربع دروس على المذاهب الاربعة ودرس حديث ودرس قرا آت ومشيخة اسماع الصحيحين والشفاء وفي ذلك يقول ابن أبي حجلة

ومدرسة للعلم فيها مواطن * فشيخو بها فرد وايثاره جمع
لئن بات منها في القلوب مهابة * فواقفها ليث وأشياخها سبع

ومات شيخو بعد فراغها بسنة في ذى الحجة سنة ثمان وخمسين وشرط في شيخها الاكبر وهو شيخ حضور التصوف وتدريس الحنفية بالديار المصرية وان يكون عارفا بالتفسير والاصول وأن لايكون قاضيا وهذا الشرط عام في جميع أرباب الوظائف بها وأول من تولى المشيخة بها الشيخ أكمل الدين محمد بن محمود البابرتي وأول من تولى تدريس الشافعية بها الشيخ بهاء الدين بن الشيخ تقى الدين السبكي وأول من تولى تدريس المالكية بها الشيخ خليل صاحب المختصر وأول من تولى تدريس الحنابلة بها قاضى القضاة موفق الدين وأول من تولى تدريس الحديث بها جمال الدين عبدالله بن الزولي وأقام الشيخ أكمل الدين في المشيخة الى أن مات في رمضان سنة ست وثمانين وولى بعده عزالدين يوسف بن محمود الرازي الى أن مات فى المحرم سنة أربع وتسعين وولى بعده جمال الدين محمود بن أحمد القيصرى المعروف بابن العجمى ثم عزل فى سنة خمس وتسعين وولى الشيخ سيف الدين السيرامى مضافا لمشيخة الظاهرية ثم ولى بدر الدين الكلستانى ثم عزل وولى الشيخ زاده ثم ولى بعده جمال الدين بن العديم سنة ثمان وثمانمائة ثم ولده ناصر الدين سنة احدي عشرة وثمانمائة ثم وليها أمين الدين بن الطرابلسى سنة اثنتى عشرة ثم أعيد ابن العديم ثم وليها شرف الدين بن التباني سنة خمس عشرة الى ان مات في صفر سنة سبع وعشرين وولى الشيخ سراج الدين قاري الهداية الى ان مات سنة تسع وعشرين ووليها الشيخ زين الدين التفهني ثم صرف في سنة ثلاث وثلاثين بالقضاء ووليها صدر الدين بن العجمى فمات في رجب من عامه ووليها البدر حسن بن أبي بكر القدسى

ثم وليها الشيخ باكير

مدرسة صرغتمش

ابتدأ بعمارتها في رمضان سنة ست وخمسين وسبعمائة وتمت في جمادي الاولى سنة سبع وخمسين وهي من أبدع المباني وأجلها ورتب فيها درس فقه على مذهب الحنفية قرر فيه القوام الاتقاني ودرس حديث وقال العلامة شمس الدين بن الصائغ

ليهنك ياصرغتمش مابنيته * لاخراك في دنياك من حسن بنيان
به يزدهي الترخيم كالزهر بهجة * فلله من زهر ولله من باني

مدرسة السلطان حسن

ابن الناصر محمد بن قلاوون شرع في بنائها في سنة ثمان وخمسين وسبعمائة وكان في موضعها دور واسطبلات قال المقريزى لايعرف ببلاد الاسلام معبد من معابد المسلمين يحكي هذه المدرسة في كبر قالبها وحسن هندامها وضخامة شكلها أقامت العمارة فيها مدة ثلاث سنين لاتبطل يوما واحدا وأرصد لمصروفها في كل يوم عشرون ألف درهم عنها نحو ألف مثقال ذهباً حتي قال السلطان لولا أن يقال ملك مصر عجز عن اتمام مابناه لترك بنائها من كثرة ماصرف وذرع ايوانها الكبير خمسة وستون ذراعا فى مثلها ويقال انه أكبر من ايوان كسرى بخمسة أذرع وبها أربع مدارس للمذاهب الاربعة قال الحافظ ابن حجر في أنباء الغمر يقال أن السلطان حسن أراد أن يعمل في مدرسته درس فرائض فقال البهاء السبكى هو باب من أبواب الفقه فأعرض عن ذلك فاتفق وقوع قضية في الفرائض مشكلة فسئل عنها السبكى فلم يجب عنها فارسلوا الى الشيخ شمس الدين الكلاى فقال اذا كانت الفرائض بابا من أبواب الفقه فما له لايجيب فشق ذلك على بهاء الدين وندم على ما قال وكان السلطان قد عزم على ان يبني أربع منائر يؤذنون عليها فتمت ثلاث منائر الى ان كان يوم السبت سادس ربيع الآخر سنة اثنتين وستين وسبعمائة سقطت المنارة التي على الباب فهلك تحتها نحو ثلاثمائة نفس من الايتام الذى كانوا قد رتبوا بمكتب السبيل ومن غيرهم فلهج الناس بان ذلك ينذر بزوال الدولة فقال الشيخ بهاء الدين السبكى في ذلك أبياتا

ابشر فسعدك ياسلطان مصر أتي * بشيره بمقال سار كالمثل
ان المنارة لم تسقط لمنقصة * لكن لسر خفي قد تبين لى
من تحتها قرأ القرآن فاستمعت * فالوجد في الحال أداها الى الميل
لو أنزل الله قرآنا على جبل * تصدعت رأسه من شدة الوجل
تلك الحجارة لم تنقض بل هبطت * من خشيه الله لا للضعف والخلل

وغاب سلطانها فاستوحشت فرمت * بنفسها لجوى في القلب مشتعل
فالحمد لله خط العين زال بما * قد كان قدره الرحمن في الازل
لا يعترى البؤس بعد اليوم مدرسة * شيدت بنيانها للعلم والعمل
ودمت حتى ترى الدنيا بها امتلأت * علماً فليس بمصر غير مشتغل

فاتفق قتل السلطان بعد سقوط المأذنة بثلاثة وثلاثين يوما

المدرسة الظاهرية

كان الشروع في عمارتها في رجب سنة ست وثمانين وانتهت في رجب سنة ثمان وثمانين وكان القائم على عمارتها جركس الخليلي أمير أخور وقال الشعراء في ذلك وأكثروا فمن أحسن ما قيل

الظاهر الملك السلطان همته * كادت لرفعته تسمو على زحل
وبعض خدامه طوعا لخدمته * يدعو الجبال فتأتيه على عجل

قال ابن العطار

وقد أنشأ الظاهر السلطان مدرسة * فاقت على أرم مع سرعة العمل
يكفي الخليلي ان جاءت لخدمته * شم الجبال لها تأتي على عجل

قال الحافظ ابن حجر ومن رأى الاعمدة التي بها عرف الاشارة ونزل السلطان اليها في الثاني عشر من رجب ومد سماطاً عظيما وتكلم فيها المدرسون واستقر علاء الدين السيرامي مدرس الحنفية بها وشيخ الصوفية وبالغ السلطان في تعظيمه حتى فرش سجادته بيده واستقر أوحد الدين الرومي مدرس الشافعية وشمس الدين بن مكين مدرس المالكية وصلاح ابن الاعمى مدرس الحنابلة وأحمد زاده العجمي مدرس الحديث وفخر الدين الضرير امام الجامع الازهر مدرس القراآت قال ابن حجر فلم يكن منهم من هو فائق في فنه على غيره من الموجودين غيره ثم بعد مدة قرر فيها الشيخ سراج الدين البلقيني مدرس التفسير وشيخ الميعاد

المدرسة المؤيدية

انتهت عمارتها في سنة تسع عشرة وثمانمائة وبلغت النفقة عليها أربعين ألف دينار واتفق بعد ذلك بسنة ميل المأذنة التي بنيت لها على البرج الشمالي بباب زويلة وكان الناظر على العمارة بهاء الدين بن البرجي فأنشد تقي الدين بن حجة في ذلك أبياتا

على البرج من بابي زويلة أنشئت * منارة بيت الله للعمل المنجي
فأخفى بها البرج اللعين أمالها * ألا صرحوا ياقوم باللعن للبرج

وقال شعبان الاثاري

عتبنا على ميل المنار زويلة * وقلنا تركت الناس بالميل في هرج
فقالت قريني برج نحس امالني * فلا بارك الرحمن في ذلك البرج

قال الحافظ ابن حجر

لجامع مولانا المؤيد رونق * منارته بالحسن تزهو وبالزين
تقولوا وقد مالت عن القصد امهلوا * فليس على جسمي أضر من العين

وقال العيني

منارة كعروس الحسن اذ جليت * وهدمها بقضاء الله والقدر
قالوا أصيبت بعين قلت ذا غلط * ما أوجب الهدم الا خسة الحجر

وقال نجم الدين بن النبيه

يقولون في تلك المنار تواضع * وعين وأقوال وعندي جليها
فلا البرج أخفى والحجارة لم تعب * ولكن عروس أثقلتها حليها

وقال أيضاً

بجامع مولانا المؤيد أنشئت * عروس سمت ماخلت قط مثالها
ومذ علمت ان لا نظير لها اثنت * وأعجبها والعجب عنا أمالها

رباط الآثار

بالقرب من بركة الحبش عمره الصاحب تاج الدين بن الصاحب فخر الدين بن الصاحب بهاء الدين حنا وفيه قطعة خشب وحديد وأشياء أخر من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم اشتراها الصاحب المذكور بمبلغ ستين ألف درهم فضة من بني ابراهيم أهل ينبع ذكروا أنها لم تزل موروثة عندهم من واحد الى واحد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحملها الى هذا الرباط وهي به الى اليوم يتبرك بها ومات الصاحب تاج الدين في جمادى الآخرة سنة سبع وسبعمائة وللاديب جلال الدين بن خطيب داريا في الآثار بيتان

ياعين ان بعد الحبيب وداره * ونأت مرابعه وشط مزاره
فلقد ظفرت من الزمان بطائل * ان لم تريه فهذه آثاره

ذكر الحوادث الغريبة الكائنة بمصر في ملة الاسلام

من غلاء ووباء وزلازل وآيات وغير ذلك في سنة أربع وثلاثين من الهجرة قال سيف ابن عمر ان رجلا يقال له عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأظهر الاسلام وصار الى مصر فأوحى الى طائفة من الناس كلاما اخترعه من عند نفسه مضمونه انه يقول للرجل أليس قد ثبت ان عيسى بن مريم سيعود الى هذه الدنيا فيقول الرجل بلى فيقول له رسول الله صلى الله عليه وسلم أفضل منه فما ينكر ان يعود الى هذه الدنيا وهو أشرف

من عيسى ثم يقول وقد كان أوصى الى على بن أبي طالب فمحمد خاتم الانبياء وعلى خاتم الاوصياء ثم يقول فهو أحق بالامر من عثمان وعثمان معتد في ولايته ماليس له فانكروا عليه فافتتن به بشر كثير من أهل مصر وكان ذلك مبدأ تأليهم على عثمان وفي سنة ست وستين وقع الطاعون بمصر وفي سنة سبعين كان الوباء بمصر قاله الذهبي وفي سنة أربع وثمانين قتل عبد الرحمن بن محمد ابن الاشعث بن قيس الكندى وقطع رأسه فأمر الحجاج فطيف به فى العراق ثم بعث به الى عبد الملك بن مروان فطيف به في الشام ثم بعث به الى عبد العزيز بن مروان وهو بمصر فطيف به فيها ودفن بمصر وجثته بالرخج فقال بعض الشعراء في ذلك

هيهات موضع جثة من رأسها رأس بمصر وجثة بالرخج

وفي سنة خمس وثمانين كان الطاعون بالفسطاط ومات فيه عبد العزيز بن مروان أمير مصر وفي سنة خمس وأربعين ومائة انتثرت الكواكب من أول الليل الى الصباح فخاف الناس ذكره صاحب المرآة وفي سنة ثمانين ومائة كان بمصر زلزلة شديدة سقطت منها رأس منارة الاسكندرية وفي سنة ست عشرة ومائتين وثب رجل يقال له عبدوس الفهرى فى شعبان ببلاد مصر فتغلب على نواب أبي اسحق بن الرشيد وقويت شوكته وأتبعه خلق كثير فركب المأمون من دمشق في ذى الحجة الى الديار المصرية فدخلها في المحرم سنة سبع عشرة وظفر بعبدوس فضرب عنقه ثم كر راجعاً لى الشأم وفي سنة سبع وثلاثين ومائتين ظهر فى السماء شيء مستطيل دقيق الطرفين عريض الوسط من ناحية المغرب الى عشاء الآخرة ثم ظهر خمس ليال وليس بضوء كوكب ولا كوكب له ذنب ثم نقص قاله في المرآة وفى سنة ثمان وثلاثين ومائتين أقبلت الروم في البحر في ثلثمائة مركب وأبهة عظيمة فكبسوا دمياط وسبوا وأحرقوا وأسرعوا الكرة في البحر وسبوا استمائة امرأة وأخذوا من الامتعة والاسلحة شيئاً كثيراً وفر الناس منهم في كل جهة فكان من غرق في بحيرة تنيس أكثر ممن أسر ورجعوا الى بلادهم ولم يعرض لهم أحد وفي سنة اثنتين وأربعين ومائتين زلزلت الارض ورجمت السويداء قرية بناحية مصر من السماء وزن حجر من الحجارة فكان عشرة أرطال وفي سنة أربع وأربعين ومائتين اتفق عيد الاضحى وعيد الفطر لليهود وشعانين النصارى في يوم واحد قال ابن كثير وهذا عجيب غريب وقال في المرآة لم يتفق في الاسلام مثل ذلك وفى سنة خمس وأربعين ومائتين زلزلت مصر وسمع بتنيس ضجة دائمة طويلة مات منها خلق كثير وفي سنة ست وستين ومائتين قتل أهل مصر عاملهم الكرخي وفي سنة ثمان وستين ومائتين قال ابن جرير اتفق ان رمضان كان يوم الاحد وكان الاحد الثاني الشعانين والاحد الثالث الفصيح والاحد الرابع السرور والاحد الخامس

انسلاخ الشهر وفي سنة تسع وستين في المحرم كسفت الشمس وخسف القمر واجتماعهما في شهر نادر قاله في المرآة وفي سنة ثمان وسبعين ومائتين قال ابن الجوزى لليلتين بقيتا من المحرم طلع نجم ذو اجمة ثم صارت الجمة ذؤابة قال وفي هذه السنة وردت الاخبار ان نيل مصر غار فلم يبق منه شئ وهذا شئ لم يعهد مثله ولا بلغنا في الاخبار السابقة فغلت الاسعار بسبب ذلك وفى أيام أحمد بن طولون تساقطت النجوم فراعه ذلك فسأل العلماء والمنجمين عن ذلك فما أجابوا بشئ فدخل عليه الجمل الشاعر وهم في الحديث فأنشد في الحال

قالوا تساقطت النجو * م لحادث فظ عسير * فأجبت عند مقالهم

بجواب محتنك خبير * هذي النجوم الساقطا * ت نجوم أعداء الامير

فتفاءل ابن طولون بذلك ووصله وفي سنة اثنتين وثمانين ومائتين زفت قطر الندى بنت خمارويه بن احمد ابن طولون من مصر الى الخليفة المعتضد ونقل ابوها في جهازها مالم ير مثله وكان من جملته الف تكة بجوهر وعشر صناديق جوهر ومائة هون ذهب ثم بعد كل حساب معها مائة الف دينار لتشتري بها من العراق ماقد تحتاج اليه مما لا يتهيأ مثله بالديار المصرية وقال بعض الشعراء

ياسيد العرب الذي وردت له * باليمن والبركات سيدة العجم

فاسعد بها كسعودها بك انها * ظفرت بما فوق المطالب والهمم

شمس الضحى زفت الى بدر الدجى * فتكشفت بهما عن الدنيا الظلم

وفي سنة اربع وثمانين ومائتين ظهر بمصر ظلمة شديدة وحمرة في الأفق حتى جعل الرجل ينظر الى وجه صاحبه فيراه أحمر اللون جدا وكذلك الجدران فمكثوا كذلك من العصر الي الليل فخرجوا الى الصحراء يدعون الله ويتضرعون اليه حتى كشف عنهم حكاه ابن كثير وفي سنة ثلاث وتسعين ومائتين ظهر رجل بمصر يقال له الخلنجي فخلع الطاعة واستولى على مصر وخارب الجيوش وأرسل اليه الخليفة المكتفى جيشاً فهزمهم ثم أرسل اليه جيشاً آخر عليهم قائد المعتضدى فهزم الخلنجي وهرب ثم ظفر به وأمسك وسير الي بغداد وفي سنة تسع وتسعين ومائتين ظهر ثلاث كواكب مذنبة احدها في رمضان واثنان في ذى القعدة تبقى اياما ثم تضمحل حكاه ابن الجوزى وفيها استخرج من كنز بمصر خمسمائة ألف دينار من غير موانع ووجد في هذا الكنز ضلع انسان طوله أربعة عشر شبراً وعرضه شبر فبعث به الي الخليفة المقتدر وأهدي معه من مصر تيساً له ضرع يحلب لبناً حكى ذلك الصولي وصاحب المرأة ابن كثير وفي سنة احدى وثلاثمائة سار عبد الله المهدي المتغلب على المغرب وفي اربعين الفاً ليأخذ مصر حتى بقى بينه وبين مصر ايام ففجر تكين الخاصة النيل فحال الماء بينهم وبين مصر ثم جرت حروب

فرجع المهدي الى برقة بعد ان ملك الاسكندرية والفيوم وفي سنة اثنتين وثلاثمائة عاد المهدى الى الاسكندرية وتمت وقعة كبيرة ثم رجع الى القيروان وفي سنة ست وثلاثمائة أقبل القائم بن المهدى في جيوشه فأخذ الاسكندرية وأكثر الصعيد ثم رجع وفي سنة سبع كانت الحروب والاراجيف الصعبة بمصر ثم لطف الله وأوقع المرض بالمغاربة ومات جماعة من امرائهم واشتدت علة القائم وفيها انقض كوكب عظيم وتقطع ثلاث قطع وسمع بعد انقضاضه صوت رعد شديد هائل من غير غيم وفي سنة ثمان ملك العبيديون جزيرة الفسطاط فجزت الخلق وشرعوا في الهرب والجفل وفي سنة تسع استرجعت الاسكندرية الى نواب الخليفة ورجع العبيدي الي المغرب وفي سنة عشر وثلثمائة في جمادى الاولى ظهر كوكب له ذنب طوله ذراعان وذلك في برج السنبلة وفي شعبان منها اهدى نائب مصر الى الخليفة المقتدر هدايا من جملتها بغلة معها فلوها يتبعها ويرجع منها وغلام يصل لسانه الي طرف انفه حكاه صاحب المرآة وابن كثير وفى سنة ثلاث عشرة وثلثمائة في آخر المحرم انقض كوكب من ناحية الجنوب الى الشمال قبل مغيب الشمس فأضاءت الدنيا منه وسمع له صوت كصوت الرعد الشديد وفي سنة ثلاث وثلثمائة في المحرم ظهر كوكب بذنب راسه الي المغرب وذنبه الى المشرق وكان عظيما جداً وذنبه منتشر وبقى ثلاثة عشر يوما الى ان اضمحل وفي سنة اربع واربعين زلزلت مصر زلزلة صعبة هدمت البيوت ودامت ثلاث ساعات وفزع الناس الى الله بالدعاء في سنة تسع واربعين رجع حجيج مصر من مكة فنزلوا واديا فجاءهم سيل فأخذهم كلهم فألقاهم في البحر عن آخرهم وفي سنة خمس وخمسين قطعت بنو سليم الطريق على الحجيج من اهل مصر واخذوا منهم عشرين الف بعير بأحمالها وعليها من الاموال والامتعة مالا يقوم كثرة وبقى الحاج في البوادى فهلك اكثرهم وفى ايام كافور الاخشيدى كثرت الزلازل بمصر فأقامت ستة اشهر فأنشد محمد بن القاسم بن عاصم قصيدة منها

مازلزلت مصر من سوء يراد بها * لكنها رقصت من عدله فرحا

كذا رأيته في نسخة عتيقة من كتاب مذهب الطالبين تاريخ كتابتها بعد الستمائة ثم رأيت مايخالف ذلك كما سأذكره وفي سنة تسع وخمسين أنقض كوكب فى ذى الحجة فأضاء الدنيا حتى بقي له شعاع كالشمس ثم سمع له صوت كالرعد وفى سنة ستين وثلثمائة سارت القرامطة في جمع كثير الى الديار المصرية فاقتتلوهم وجنود جوهر القائد قتالا شديدا بعين شمس وحاصروا مصر شهورا ومن شعر أمير القرامطة الحسين بن أحمد بن بهرام

زعمت رجال الغرب أني هبتهم * فدمي اذن ماينهم مطلول

يامصر ان لم أسق أرضك من دم * يروى ثراك فلاسقاني النيل

وفي هذه السنه سار رجل من مصر الى بغداد وله قرنان فقطعهما وكواهما وكان يضربان عليه حكاه صاحب المرآة وفى سنة ثلاث وستين خرج بنو هلال وطائفة من العرب على الحجاج فقتلوا منهم خلقا كثيرا وعطلوا على من بقى منهم الحج في هذا العام ولم يحصل لاحد حج في هذه السنة سوى أهل درب العراق وحدهم وفى سنة سبع وستين كان أمير الحاج المصري الامير باديس بن زيرى فاجتمع اليه اللصوص وسألوا منه ان يضمنهم الموسم هذا العام بما شاء من الاموال فأظهر لهم الاجابة وقال اجتمعوا كلكم حتي أضمنكم كلكم فاجتمع عنده بضع وثلاثون لصا فقال هل بقى منكم أحد فحلفوا انه لم يبق منهم أحد فعند ذلك أمر بقطع أيديهم كلهم ونعما فعل وفى سنة أربع وثمانين انفرد بالحج أهل مصر ولم يحج ركب العراق ولا الشام لخوف طريقهم وكذا في سنة خمس وثمانين والتي بعدها وفي سنة ست وثمانين قدمت مصر أربعة عشر قطعة من الاسطول فقتلت ونهبت وأحرقت أموال التجار وأخذت سرايا العزيز وخطاياه وكان حالا لم ير أعظم منه ذكره ابن المتوج وفي سنة تسعين أمر الحاكم بمصر بقتل الكلاب فقتلت كلها وفي سنة اثنتين وتسعين ليلة الاثنين ثالث ذى القعدة أنقض كوكب أضاء كضوء القمر ليلة التمام ومضى الضياء وبقي جرمه متموج نحو ذراعين في ذراع برأي العين وتشقق بعد ساعة وفي هذه السنة انفرد المصريون بالحج ولم يحج أحد من بغداد وبلاد المشرق لعبث الاعراب بالفساد وكذا في سنة ثلاث وتسعين وفي سنة ثلاث وتسعين أمر الحاكم بقطع جميع الكروم التي بديار مصر والصعيد والاسكندرية ودمياط فلم يبق بها كرم احترازا من عصر الخمر وفي هذه السنة أمر الحاكم الناس بالسجود اذا ذكر اسمه في الخطبة وفي سنة سبع وتسعين انفرد المصريون بالحج ولم يحج أهل العراق لفساد الطريق بالاعراب وكسا الحاكم الكعبة القباطى البيض وفي سنة ثمان وتسعين هدم الحاكم الكنائس التى ببلاده مصر ونادي من لم يسلم والا فليخرج من مملكتي أو يلتزم بما أمر ثم أمر بتعليق صلبان كبار على صدور النصارى وزن الصليب أربعة ارطال بالمصري وبتعليق خشبة على تمثال رأس عجل وزنها ستة أرطال فى عنق اليهود وفي هذه السنة كان سيل عظيم حتي غرق الخندق ذكره ابن المتوج وفي سنة تسع وتسعين انفرد المصريون بالحج وفي سنة أربعمائة بني الحاكم دارا للعلم وفرشها ونقل اليها الكتب العظيمة مما يتعلق بالسنة وأجلس فيها الفقهاء والمحدثين وأطلق قراءة فضائل الصحابة وأطلق صلاة الضحي والتراويح وبطل الاذان بحى على خير العمل فكثر الدعاء له ثم بعد ثلاث سنين هدم الدار وقتل خلقا ممن كان بها من الفقهاء والمحدثين وأهل الخير والديانة ومنع صلاة الضحى والتراويح وفي سنة احدي وأربعمائة انفرد المصريون بالحج وفي سنة

اثنتين وأربعمائة كتب محضر ببغداد في نسب خلفاء مصر الذين يزعمون انهم فاطميون وليسوا كذلك وكتب فيه جماعة من العلماء والقضاة والفقهاء والاشراف والاماثل والمعدلين والصالحين شهدوا جميعاً ان الناجم بمصر وهو منصور بن نزار الملقب بالحاكم حكم الله عليه بالبوار والدمار والخزي والنكال والاستئصال ابن معد بن اسمعيل بن عبد الرحمن بن سعيد لاأسعده الله فانه لما صار الى المغرب تسمي بعبيد الله وتلقب بالمهدي ومن تقدم من سلفه من الارجاس الانجاس عليه وعليهم لعنة الله ولعنة اللاعنين أدعياء خوارج ولا نسب لهم في ولد على بن أبي طالب ولا يتعلقون منه بسبب وانه منزه عن باطلهم وان الذى ادعوه من الانتساب اليه باطل وزور وانهم لايعلمون ان أحدا من أهل بيوت الطالبيين توقف عن اطلاق القول فى هؤلاء الخوارج انهم أدعياء وقد كان هذا الانكار لباطلهم شائعاً فى الحرمين وفى أول أمرهم بالمغرب منتشرا انتشارا يمنع من أن يدلس على أحد كذبهم أو يذهب وهم الى تصديقهم وان هذا الناجم بمصر هو وسلفه كفار وفساق فجار ملحدون زنادقة معطلون وللاسلام جاحدون ولمذهب النبوية والمجوسية معتقدون قد عطلوا الحدود وأباحوا الفروج وأحلوا الخمر وسفكوا الدماء وسبوا الابناء ولعنوا السلف وادعوا الربوبية وكتب في ربيع الآخر سنة اثنتين وأربعمائة وقد كتب خطه فى المحضر خلق كثيرون فمن العلويين المرتضى والرضى وابن الازرق الموسوي وأبو طاهر بن أبي الطيب ومحمد ابن محمد بن عمرو بن أبى يعلى ومن القضاة أبو محمد بن الاكفاني وأبو القاسم الحريرى وأبو العباس بن السيورى ومن الفقهاء أبو حامد الاسفرايني وأبو محمد بن الكشفلى وأبو الحسين القدورى وأبو عبد الله الصيمرى وأبو عبد الله البيضاوى وأبو على بن حمكان ومن الشهود أبو القاسم التنوخى فى كثير وفي سنة ثلاث وأربعمائة قال ابن المتوج رسم الحاكم بان لاتقبل الارض بين يديه ولا يخاطب مولانا ولا بالصلاة عليه وكتب بذلك سجل في رجب قال وفيها حبس النساء ومنعهن من الخروج في الطرقات وأحرق الزيب وقطع الكرم وغرق العسل قال ابن الجوزى وفي رمضان أنقض كوكب من المشرق الى المغرب غاب ضوءه على ضوء القمر وتقطع قطعاً وبقى ساعة طويلة وفى سنة خمس وأربعمائة زاد الحاكم فى منع النساء من الخروج من المنازل ومن دخول الحمامات ومن التطلع من الطاقات والاسطحة ومنع الخفافين من عمل الخفاف لهن وقتل خلقاً من النساء على مخالفته في ذلك وهدم بعض الحمامات عليهن وغرق خلقاً وفي سنة سبع وأربعمائة ورد الخبر بتشعيث الركن اليمانى من المسجد الحرام وبسقوط جدار بين قبر النبي صلى الله عليه وسلم وبسقوط القبة الكبيرة على صخرة بيت المقدس قال ابن كثير فكان ذلك من أغرب الاتفاقات

وأعجبها وفي سنة سبع أيضاً انفرد المصريون بالحج ولم يحج احد من بلاد العراق لفساد الطرقات بالاعراب وكذا في سنة ثمان وفي سنة احدى عشرة وأربعمائة قال ابن المتوج عز القوت ثم هان بعد أراجيف عظيمة وفي ايام الحاكم بن فضل الله في المسالك قال زلزلت مصر حتي رجفت ارجاؤها وضجت الامة لاتعرف كيف جارها فقال محمد بن قاسم بن عاصم شاعر الحاكم

بالحاكم العدل اضحي الدين معتليا * بجل الهدى وسليل السادة الصلحا
مازلزلت مصر من كيد يرادبها * وانما رقصت من عدله فرحا

وكانت ايام الحاكم من سنة ست وثمانين وثلثمائة الي سنة احدى عشرة وأربعمائة وفي سنة ثلاث عشرة وأربعمائة قال ابن كثير جرت كائنة غريبة ومصيبة عظيمة وهي ان رجلا من المصريين من أصحاب الحاكم اتفق مع جماعة من الحجاج المصريين على أمر سوء فلما كان يوم الجمعة وهو يوم النفر الاول طاف هذا الرجل بالبيت فلما انتهى الى الحجر الاسود جاء ليقبله فضربه بدبوس كان معه ثلاث ضربات متواليات وقال الي متي يعبد هذا الحجر ولا محمد ولا على فيمنعني عما افعله فانى اهدم اليوم هذا البيت فاتقاه اكثر الحاضرين وتأخروا عنه وذلك انه كان رجلا طويلا جسيما أحمر أشقر وعلى باب المسجد جماعة من الفرسان وقوف ليمنعوه ممن أراده بسوء فتقدم اليه رجل من أهل اليمن معه خنجر وفاجأه بها وتكاثر عليه الناس فقتلوه وقطعوه قطعاً وتتبعوا أصحابه فقتل منهم جماعة ونهب أهل مكة ركب المصريين وجرت فتنة عظيمة جداً وسكن الحال وأما الحجر الشريف فانه سقط منه ثلاث فلق مثل الاظفار وبدا ماتحتها أسمر يضرب الى صفرة محبباً مثل الخشخاش فأخذ بنو شيبة تلك الفلق فعجنوها بالمسك والالك وحشوا بها تلك الشقوق التي بدت وذلك ظاهر فيه الى الآن وفي سنة سبع عشرة منع الظاهر صاحب مصر من ذبح البقر السليمة من العيوب التي تصلح للحرث وكتب عن لسانه كتاب قرئ على الناس فيه ان الله سابغ نعمته وبالغ حكمته خلق ضروب الانعام وعلم بها منافع الانام فوجب ان يحمي البقر المخصوصة بعمارة الارض المذللة لمصالح الخلق فان ذبحها غاية الفساد واضرار بالعباد والبلاد وفيها انفرد المصريون بالحج ولم يحج اهل العراق والمشرق لفساد الاعراب وكذا في سنة ثمان عشرة وفي سنة تسع عشرة لم يحج احد من اهل المشرق ولا من اهل الديار المصرية ايضاً الا ان قوماً من خراسان ركبوا في البحر من مدينة مكران فاتوها الى جده فحجوا وفى سنة عشرين حج اهل مصر دون غيرهم وفيها في رجب انقضت كواكب كثيرة شديدة الصوت قوية الضوء وفي سنة احدى وعشرين تعطل الحج من العراق ايضاً وقطع على حجاج مصر الطريق

واخذت الروم اكثره وفي سنة ثلاث وعشرين تعطل الحج من العراق ايضاً وفيها قال ابن المتوج استحضر خليفة مصر الظاهر بن الحاكم كل من في القصر من الجوارى وقال لهم تجتمعون لاصنع لكم يوماً حسناً لم ير مثله بمصر وامر كل من كان له جارية فليحضرها ولا تجيء جارية الا وهي مزينة بالحلى والحلل ففعلوا ذلك حتى لم تترك جارية الا احضرت فجلهن فى مجلس ودعا بالبنايين فبني ابواب المجلس عليهن حتي ماتوا عن آخرهن وكان يوم جمعهن يوم الجمعة لست خلون من شوال وعدتهن الفان وستمائة وستون جارية فلما مضى لهن ستة اشهر اضرم النار عليهن فأحرقن بثيابهن وحليهن فلا رحمه الله ولا رحم الذى خلفه وفي سنة خمس وعشرين كثرت الزلازل بمصر وفيها انقض كوكب عظيم وسمع له صوت مثل الرعد وضوء مثل المشاعل ويقال ان السماء انفرجت عند انقضاضه حكاه في المرآة ولم يحج احد سوى اهل مصر وكذا في سنة ست وعشرين وسنة ثمان وعشرين وفي سنة ثمان وعشرين بعث صاحب مصر بمال لينفق على نهر بالكوفة ان اذن الخليفة العباسي في ذلك فجمع القائم بالله الفقهاء وسألهم عن هذا المال فأفتوا بأن هذا فيء للمسلمين يصرف في مصالحهم فاذن في صرفه في مصالح المسلمين وفي سنة ثلاثين واربعمائة تعطل الحج من الاقاليم باسرها فلم يحج احد لا من مصر ولا من الشام ولا من العراق ولا من خراسان وفي سنة احدى وثلاثين والتى تليها تفرد بالحج اهل مصر وكذا في سنة ست وثلاثين وسبع وثلاثين وتسع وثلاثين وثلاث وستين بعدها وفي سنة احدى واربعين في ذي الحجة ارتفعت سحابة سوداء ليلا فزادت على ظلمة الليل وظهر في جوانب السماء كالنار المضيئة فازعج الناس لذلك واخذوا في الدعاء والتضرع فانكشفت بعد ساعة وفي سنة خمس واربعين وثلاث تليها انفرد اهل مصر بالحج وفي سنة ثمان واربعين قال في المرآة عم الوبا والقحط مصر والشام وبغداد والدنيا وانقطع ماء النيل واتفقت غريبة قال ابن الجوزي ورد كتاب من مصر ان ثلاثة من اللصوص نقبوا بعض الدور فوجدوا عند الصباح موتى أحدهم على باب النقب والثانى على رأس الدرجة والثالث على الثياب المكورة وفيها في العشر الثاني من جمادي الآخرة ظهر وقت السحر نجم له ذؤابة بيضاء طولها فى رأي العين نحو عشرة أذرع في نحو ذراع ولبث على هذه الحال الى نصف رجب ثم اضمحل وفى سنة احدى وخمسين وسنتين بعدها انفرد أهل مصر بالحج وفي شوال من هذه السنة لاح فى السماء في الليل ضوء عظيم كالبرق يلمع في موضعين أحدهما أبيض والآخر أحمر الى ثلث الليل وكبر الناس وهللوا حكاه في المرآة وفي سنة ثلاث وخمسين في جمادي الآخرة لليلتين بقيتا منه كسفت الشمس كسوفا عظيما جميع القرص فمكثت أربع ساعات حتي بدت

النجوم وأوت الطيور الى أوكارها لشدة الظلمة وفي سنة خمس وخمسين وقع بمصر وباء شديد كان يخرج منها في كل يوم ألف جنازة وفي سنة ست وخمسين وقعت فتنة عظيمة بين عبيد مصر والترك واقتتلوا وغلب العبيد على الجزيرة التي في وسط النيل بين مصر والجيزة واتصل الحرب بين الفريقين وفي سنة ثمان وخمسين في العشر الاول من جمادى الاولى ظهر كوكب كبير له ذؤابة عرضها نحو ثلاثة أذرع وطولها أذرع كثيرة وبقى الى أواخر الشهر ثم ظهر كوكب آخر عند غروب الشمس قدا ستدار نوره عليه كالقمر فارتاع الناس وانزعجوا فلما أعتم الليل رمى ذؤابة نحو الجنوب وأقام الى أيام في رجب وذهب وفي سنة ستين وأربعمائة كان ابتداء الغلاء العظيم بمصر الذي لم يسمع بمثله في الدهور من عهد يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام واشتد القحط والوباء سبع سنين متوالية بحيث أكلوا الجيف والميتات وأفنيت الدواب وبيع الكلب بخمسة دنانير والهر بثلاثة دنانير ولم يبق لخليفة مصر سوى ثلاثة افراس بعد العدد الكثير ونزل الوزير يوما عن بغلته ففقل الغلام عنها لضعفه من الجوع فأخذها ثلاثة نفر فذبحوها وأكلوها فأخذوا فصلبوا فأصبحوا وقد أكلهم الناس ولم يبق الا عظامهم وظهر على رجل يقتل الصبيان والنساء ويبيع لحومهم ويدفن رؤسهم وأطرافهم فقتل وبيعت البيضة بدينار وبلغ الاردب القمح مائة دينار ثم عدم أصلا حتى حكى صاحب المرآة ان امرأة خرجت من القاهرة ومعها مد جوهر فقالت من يأخذه بمد قمح فلم يلتفت اليها أحد وقال بعضهم يهجو القائم ببغداد

وقد علم المصرى ان جنوده * سنو يوسف هؤلاء وطاعون عمواس
اقامت به حتى استراب بنفسه * وأوجس منها خيفة اى ايجاس

وفي سنة اثنتين وستين زلزلت مصر حتى نفرت احدى زواياجامع عمرو وفيها ضرب صاحب مصر اسم ابنه ولي العهد على الدينار وسمي الآمرى ومنع التعامل بغيره وفى سنة خمس وستين اشتد الغلاء والوباء بمصر حتى ان اهل البيت كانوا يموتون في ليلة وحتى ان امرأة اكلت رغيفاً بألف دينار باعت عروضها قيمته الف دينار واشترت بها جملة قمح وحمله الجمال على ظهره فنهبه الناس فنهبت المرأة مع الناس فصح لها رغيف واحد وكان السودان يقفون في الازقة يصطادون النساء بالكلاليب فيأكلون لحومهن واجتازت امرأة بزقاق القناديل فعلقها السودان بالكلاليب وقطعوا من عجزها قطعة وقعدوا يأكلونها وغفلوا عنها فخرجت من الدار واستغاثت فجاء الوالي وكبس الدار فأخرج منها ألوفا من القتلى وفي سنة ست وثمانين وستين بعدها انفرد المصريون بالحج وفي سنة احدى وتسعين حدثت بمصر ظلمة عظيمة غشيت أبصار الناس حتي لم يبق أحد

يعرف أين يتوجه وفي سنة سبع وتسعين عز القمح بمصر ثم هان وفيها تولى الآمر بمصر فضرب الفضة السوداء المشهورة بالامرية وفي سنة خمس عشرة وخمسمائة هبت ريح سوداء بمصر فاستمرت ثلاثة أيام فاهلكت خلقاً كثيرا من الناس والدواب والانعام قاله ابن كثير وفي سنة سبع عشرة بلغ النيل ستة عشر ذراعا سوا بعد توقف وفي سنة ثمان عشرة أوفى النيل بعد النارز بتسعة أيام وزاد عن الستة عشر ذراعا أحد عشر أصبعا لاغير وعز السعر ثم هان وفي حدود هذه السنين احترق جامع عمرو وفى سنة خمس وستين خاصرت الفرنج دمياط خمسين يوماً بحيث ضيقوا على أهلها وقتلوا منهم فأرسل نور الدين محمود الشهيد اليهم جيشاً عليهم صلاح الدين يوسف بن أيوب فاجلوهم عنها وكان الملك نور الدين شديد الاهتمام بذلك حتي انه قرأ عليه بعض طلبة الحديث جزأ فيه حديث مسلسل بالتبسم فطلب منه ان يتبسم ليتصل التسلسل فامتنع من ذلك وقال أنى لاستحيي من الله ان يرانى متبسما والمسلمون تحاصرهم الفرنج بثغر دمياط وذكر ابو شامة ان بعضهم رأى في تلك الليلة التي اجلى فيها الفرنج عن دمياط رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقول له سلم على نور الدين وبشره بان الفرنج قد رحلوا عن دمياط فقال له الرائي يارسول الله بأى علامة فقال بعلامة لما سجد يوم كذا وقال في سجوده اللهم انصر دينك ومن هو محمود الكلب فأصبح الرائى وبشر نور الدين بذلك واعلمه بالعلامة ففرح ثم جاء الخبر باجلائهم تلك الليلة فرحم الله هذا الملك وامثاله وفي سنة ثلاث وثمانين قال ابن الاثير في الكامل كان اول يوم منها يوم السبت وكان يوم النيروز وذلك اول سنة الفرس واتفق انه اول سنة الروم ايضا وفيه نزلت الشمس برج الحمل وكذلك كان القمر في برج الحمل ايضاً قال وهذا شيء يبعد وقوع مثله وفي سنة ثلاث وتسعين ورد كتاب من الفاضل من مصر الى القاضى محيي الدين ابن الذكى يخبره فيه بان في ليلة الجمعة التاسع من جمادى الآخرة اتى عارض فيه ظلمات متكاثفة وبروق خاطفة ورياح عاصفة فقوى اهويتها واشتد هبوبها فتدافعت لها أعنة مطلقات وارتفعت لها صواعق مصعقات فرجفت لها الجدران واصطفقت وتلاقت على بعدها واعتنقت وثار بين السماء والارض عجاج فقيل لعل هذه على هذه أطبقت ولا نحسب الا ان جهنم قد سال منها واد وعدا منها عاد وزاد عصف الرياح الى ان انطفأت سرج النجوم ومزقت أديم السماء ومحت مافوقه من الرقوم فكنا كما قال الله يجعلون أصابعهم فى آذانهم من الصواعق وكما قلنا ويردون أيديهم على أعينهم من البوارق لاعاصم من الخطف للابصار ولا ملجأ من الخطب الا معاقل الاستغفار وفر الناس نساءً ورجالا وأطفالا ونفروا من دورهم خفافا وثقالا لايستطيعون حيلة ولا

يهتدون سبيلا فاعتصموا بالمساجد الجامعة واذعنوا للنازلة باعناق خاضعة ووجوه عانية ونفوس عن الاهل والمال سالبة ينظرون من طرف خفي ويتوقعون أى خطب جلى قد انقطعت من الحياة علقهم وعمت عن النجاة طرقهم ووقعت الفكرة فيما هم عليه قادمون وقاموا الى صلاتهم وودوا ان لو كانوا من الذين هم عليها دائمون الى ان أذن الله في الركود وأسعف الهاجدين بالهجود وأصبح كل ليسلم على رفيقه ويهنيه بسلامة طريقه ويرى انه قد بعث بعد النفخة وأفاق بعد الصيحة والصرخة وان الله قد رد له الكرة وأدبه بعد ان كان يأخذه على الغرة ووردت الاخبار بانها كسرت المراكب في البحار والاشجار في القفار واتلفت خلقاً كثيرا من السفار ومنهم من فر فلم ينفعه الفرار الى ان قال ولا يحسب المجاس أني أرسلت القلم محرفا والقول مجزفا فالامر أعظم ولكن الله سلم ونرجوا ان الله قد أيقظنا بما وعظنا ونبهنا بما ولهنا فما من عباده من رأى القيامة عيانا ولم يلتمس عليها من بعده برهانا الا أهل بلد يافا اقتص الاولون مثلها في المثلات ولا سبقت لها سابقة فى المعضلات والحمد لله الذى من فضله جعلنا نخبر عنها ولا نخبر عنا ونسأل الله ان يصرف عنا عارض الحرص والغرور اذا عنا وفي سنة ست وتسعين قال الذهبي في العبر كسر النيل من ثلاثة عشر ذراعاً الاثلاثة أصابع فاشتد الغلاء وعدمت الاقوات ووقع البلاء وعظم الخطب الى ان آل بهم الامر الى أكل الادميين الموتي قال ابن كثير في هذه السنة والتي بعدها كان بديار مصر غلاء شديد فهلك الغنى والفقير وعم الجليل والحقير وهرب الناس منها نحو الشام ولم يصل منهم الا القليل من الفأم وتخطفتهم الفرنج من الطرقات وعزوهم في أنفسهم واغتالوا هم بالقليل من الاقوات وكان الامير لؤلؤ أحد الحجاب بالديار المصرية يتصدق في هذا الغلاء فى كل يوم باثنى عشر ألف رغيف على اثني عشر ألف فقير وفي سنة سبع وتسعين قال الذهبي في العبر كان الجوع والموت المفرط بالديار المصرية وجرت أمور تجاوز الوصف ودام ذلك الى نصف العام الآتى فلو قال القائل مات ثلاثة ارباع أهل الاقليم لما أبعد والذى دخل تحت قلم الحصرية في مدة اثنين وعشرين شهراً مائة ألف واحد وعشرون ألفاً بالقاهرة وهذا نزر في جنب ماهلك بمصر والحواضر وفي البيوت والطرقات ولم يدفن وكله نزر في جنب ماهلك بالاقاليم وقيل ان مصر كان فيها تسعمائة منسج للحصر فلم يبق الا خمسة عشر منسجاً فقس على هذا وبلغ الفروج مائة درهم ثم عدم الدجاج بالكلية لولا ماجلب من الشام وأما أكل لحوم الآدميين فشاع وتواتر هذا كلام الذهبي وقال صاحب المرآة في هذه السنة كان هبوط النيل ولم يعهد ذلك في الاسلام الا مرة واحدة في دولة الفاطميين ولم يبق منه الا شئ يسير واشتد الغلاء والوباء بمصر فهرب الناس الى المغرب والحجاز

واليمن والشام وتفرقوا وتمزقوا كل ممزق قال وكان الرجل يذبح ولده وتساعده أمه على طبخه وشيه وأحرق السلطان جماعة فعلوا ذلك ولم ينتهوا وكان الرجل يدعو صديقه وأحب الناس اليه الى منزله ليضيفه فيذبحه ويأكله وفعلوا بالاطباء ذلك وفقدت الميتات والحيف وكانوا يخطفون الصبيان من الشوارع فيأكلونهم وكفن السلطان فى مدة يسيرة مائتي ألف وعشرين ألفاً وامتلأت طرقات المغرب والحجاز والشام برمم الناس وصلى امام جامع اسكندرية في يوم واحد على سبعمائة جنازة قال العماد الكاتب في سنة سبع وتسعين وخمسمائة اشتد الغلاء وامتد الوباء وتحدثت الجاعة وتفرقت الجماعه وهلك القوى فكيف الضعيف ونحف السمين فكيف العجيف وخرج الناس حذر الموت من الديار وتفرقت فرق مصر في الامصار ولقد رأيت الارامل على الرمال والجمال باركة تحت الاحمال ومراكب الفرنج واقفة بساحل البحر على اللقم تسترق الحياع باللقم قال صاحب المرآة وغيره وكان في هذه السنة فى شعبان زلزلة هائلة من الصعيد هدمت بنيان مصر فمات تحت الهدم خلق كثير وفي سنة تسع وتسعين في ليلة السبت سابع المحرم ماجت النجوم في السماء شرقا وغرباً وتطايرت كالجراد المنتشر يميناً وشمالا ودام ذلك الى الفجر وانزعج الخلق وضجوا بالدعاء ولم يعهد مثل ذلك الا فى عام البعث وفي سنة احدى وأربعين ومائتين قاله صاحب المرآة وغيره وفي سنة ستمائة كانت زلزلة عظيمة بديار مصر قاله ابن الاثير فى الكامل وفيها أخذت الفرنج فوه واستباحوها دخلوا من فم رشيد في النيل ذكره الذهبي وفى العبر وفي سنة سبع وستمائة دخلت الفرنج من البحر من غربي دمياط وساروا في البر فأخذوا قرية بورة واستباحوها قتلا وسبياً وردوا في الحال ولم يدركهم الطلب وفي سنة ثمان وستمائة كانت زلزلة شديدة هدمت بمصر والقاهره دورا كثيرة ومات خلق تحت الهدم وفي سنة خمس عشرة وستمائة في جمادى الاولى نزلت الفرنج على دمياط وأخذوا برج السلسلة ثم استحوذوا على دمياط في سنة ست عشرة فاستمرت بأيديهم الي أن استردت منهم في سنة ثمان عشرة قال الذهبي في العبر في سنة ست عشرة وستمائة حاصر الفرنج أهل دمياط ووقع حروب كثيرة يطول شرحها وجدت الفرنج في المحاصرة وعملوا عليهم خندقا كبيرا وثبت أهل البلد ثباتاً لم يسمع بمثله وكثر فيهم القتل والجرح والموت وعدمت الاقوات ثم سلموها بالامان في شعبان وطار عقل الفرنج وتسارعوا اليها من كل فج وشرعوا في تحصينها وأصبحت دار هجرتهم ورجوا بها أخذ ديار مصر وأشرف الاسلام على خطة خسف وأقبل التتار من المشرق والفرنج من المغرب وعزم المصريون على الجلاء فثبتهم الكامل الي أن سار اليه اخوه الاشرف والمعظم وحصل الفتح ولله الحمد وفي سنة ثمان وعشرين وستمائة كان غلاء شديد بديار

مصر قاله ابن كثير وبلغ النيل ستة عشر ذراعا وثلاثة أصابع فقط بعد توقف عظيم ووصل القمح خمس دنانير الاردب فرسم السلطان بفتح الاهراء وشون الامراء وان يباع بثمانين درهما الاردب من غير زيادة فانحط السعر اليه ذكره ابن المتوج وفي سنة تسع وعشرين وصل النيل ثمانية عشر ذراعا وستة اصابع وتأخر نزوله حتي خاف الناس من عدم نزوله فغلا السعر ثم نزل فانحط السعر وفي سنة احدى وثلاثين قدم الى الملك الكامل هدية من الفرنج فيها دب ابيض وشعره مثل شعر السبع ينزل البحر فيصعد بالسمك فيأكله وفي سنة اثنتين وثلاثين كان الوباء العظيم بمصر وفي سنة ثلاث وأربعين كان الغلاء بمصر وقاسي اهلها شدائد وفى سنة سبع واربعين نزلت الفرنج دمياط براً وبحراً وملكوها ثم استنقذت منهم وفي سنة تسع واربعين قال ابن كثير صليت صلاة العيد يوم الفطر بعد العصر قال وهذا اتفاق غريب وفي سنة سبع وخمسين حصلت بديار مصر زلزلة عظيمة جدا وفي سنة احدى وستين جهز الظاهر بيبرس رحمه الله تعالى اخشابا وآلات كثيرة لعمارة المسجد النبوى بعد حريقه فطيف بها بالديار المصرية فرحا بها وتعظيما لشأنها ثم سار وابها الى المدينة وفي سنة اثنتين وستين كان بديار مصر غلاء عظيم وفرق الظاهر الفقراء على الامراء والاغنياء والزمهم باطعامهم وفرق هو قمحا كثيرا ورتب كل يوم للفقراء مائة أردب تخبز وتفرق عليهم وفى هذه السنة ولد بمصر ولد ميت له رأسان واربعة أعين واربعة ايدى واربعة ارجل وفي سنة ثلاث وستين وقع حريق عظيم ببلاد مصر اتهم به النصارى فعاقبهم السلطان عقوبة عظيمة وفيها استجد الظاهر بمصر القضاة الثلاثه من كل مذهب قاض وفى سنة أربع وستين قال ابن المتوج حفر الظاهر بحر مصر بنفسه وعسكره مابين الروضة والمنشاة وفي سنة خمس وستين كبا الفرس بالملك الظاهر فانكسرت فخذه وحصل له عرج وفي سنة ست وستين كانت كائنة الحيش النصراني كان كائنا ثم ترهب واقام بمفازة بجبل حلوان فقيل انه ظفر بكنز للحاكم صاحب مصر فواسى منه الفقراء والمستورين من كل ملة واشتهر أمره وشاع ذكره وانفق في ثلاث سنين أموالا عظيمه فأحضر السلطان وتلطف به فابي عليه ان يعرفه بجلية امره واخذ يراوغه ويغالطه فلما أعياه حنق عليه وبسط عليه العذاب فمات قال الذهبي وقد افتى غير واحد بقتله خوفا على ضعفاء الايمان من المسلمين ان يضلهم ويغويهم وفي سنة سبع وستين رسم السلطان باراقة الخمور وابطال المفسدات والخواطي من الديار المصرية والشامية وحبست الخواطي حتي يتزوجن وكتب الى جميع البلاد بذلك واسقطت الضرائب التي كانت مرتبة عليها وفي هذه السنة حج السلطان فأحسن الى أهل الحرمين وغسل الكعبة بماء الورد بيده وفى أواخر ذى الحجة من هذه السنة هبت ريح شديدة بديار مصر غرقت مائتى مركب في

النيل وهلك فيها خلق كثير ووقع مطر شديد جدا وأصابت الثمار صعقة اهلكتها حكاه ابن كثير وفي سنة تسع وستين شدد السلطان في امر الخمور وهدد من يعصرها بالقتل واسقط الضمان في ذلك وكان ألف دينار كل يوم بالقاهره وحدها وكتب بذلك توقيع قرأ على منبر مصر والقاهرة وسارت البرد بذلك الى الافاق وفي سنة سبعين قال قطب الدين في جمادى الآخرة ولدت زرافة بقلعة الجبل وارضعت من بقرة قال وهذا شئ لم يعهد مثله وفي سادس عشر شوال سنة خمس وسبعين قال ابن كثير طيف بالمحمل وبكسوة الكعبة المشرفه بالقاهره وكان يوما مشهوداً قلت كان هذا مبدأ ذلك واستمر ذلك كل عام الى الآن وفي سنه تسع وسبعين في يوم عرفه وقع ببلاد مصر برد كبار اتلف كثيرا من الغلال ووقعت صاعقة بالاسكندريه واخرى تحت الجبل الاحمر على حجر فأحرقته فأخذ ذلك الحجر وسبك فخرج منه من الحديد اواق بالرطل المصرى وفي سنة ثمان وستمائة تربت جزيرة كبيرة بحر النيل تجاه قرية بولاق واللوق وانقطع بسببها مجرى البحر مابين قلعه المقس وساحل باب البحر واشتد ونشف بالكليه واتصل مابين المقس وجزيرة الفيل بالمشى ولم يعهد فيما تقدم وحصل لاهل القاهرة مشقه من نقل الماء لبعد النيل فأراد السلطان حفره فقالوا انه لايفيد ونشف الى الابد وفى سنة احدى وثمانين في شعبان طافوا بكسوة الكعبه ولعبت مماليك الملك المنصور ايام الكسوة بالرماح والسلاح وهو اول ماوقع ذلك بالديار المصريه واستمر ذلك الى الآن يعمل سنين ويبطل سنين وفي سنه احدي وتسعين في الرابع والعشرين من المحرم وقع حريق عظيم بقلعة الجبل اتلفت شيئاً كثيراً من الذخائر والنفائس والكتب وفي سنة ثلاث وتسعين قال ابن المتوج كثرت الفلوس وردها أرباب المعائش وجعلت بالميزان بربع نقرة كل اوقيه ثم بسدس الاوقية وتحرك السعر بسبب ذلك وكان القمح فى اول السنه بثلاثه عشر درهما الاردب فانتقل الى ستين درهما الاردب وفيها قال ابن المتوج كانت زلزلة بديار مصر وفي سنة اربع وتسعين اوفي النيل في السادس من ايام النسائى وكسر وبلغ مجموع زيادته ستة عشر ذراعا وسبعة عشر أصبعاً وحصل في هذه السنة بديار مصر غلاء شديد واستهلت سنة خمس وتسعين وأهل الديار المصرية في قحط شديد ووباء مفرط حتى أكلوا الجيف ونفدت حواصل السلطان من العليق فأقامت خيول السلطان ثلاثة أيام حتى أحضرت النقاوي المخلد في البلاد وبلغ الاردب القمح مائة وسبعين درهما نقرة وذلك عبارة عن ثمانية مثاقيل ذهب ونصف مثقال والخبز كل رطل وثلث بالمصرى بدرهم نقرة وأكلت الضعفاء الكلاب وطرحت الاموات في الطرقات وكانوا يحفرون الحفائر الكبار فيلقون فيها الجماعة الكثيرة وبيع

الفروج بالاسكندرية بستة وثلاثين درهما نقرة وبالقاهرة بتسعة عشر والبيض كل ثلاثة بدرهم وفنيت الحمر والخيل والبغال والكلاب ولم يبق شئ من هذه الحيوانات يلوح وفى جمادى الآخرة خف الامر وأخذ في الرخص وانحط سعر القمح الى خمسة وثلاثين درهما الاردب وفى سنة ست وتسعين بلغت زيادة النيل الى أول توت خمسة عشر ذراعاً وثمانية عشر أصبعا ثم نقص ولم يوف وفي سنة سبع وتسعين توقف النيل ثم أوفي آخر أيام النسائى وفي سنة ثمان وتسعين في المحرم ظهر كوكب له ذؤابة وفي سنة تسع وتسعين أوفى النيل في ثالث عشر توت وفي شعبان سنة سبعمائة أمر بمصر والشام اليهود بلبس العمائم الصفر والنصارى بلبس الزرق والسامرة بلبس الحمر واستمر ذلك الى الآن وقال الشعراء في ذلك فقال العلاء الوداعي

لقد ألزموا الكفار شاشات ذلة * تزيدهم من لعنة الله تشويشا
فقلت لهم ماألبسوكم عمائما * ولكنهم قد ألبسوكم براطيشا

وقال آخر

تعجبوا للنصارى واليهود معا * والسامريين لما عمموا الخرقا
كأنما بات بالاصباغ منسهلا * نسر السماء فضحى فوقهم فرقا

وفي سنة اثنتين وسبعمائة فى ذى الحجة كانت الزلزلة العظمي بمصر وكان تأثيرها بالاسكندرية أعظم من غيرها وطلع البحر الى نصف البلد وأخذ الحمال والرجال وغرقت المراكب وسقطت بمصر دور لاتحصى وهلك تحت الردم خلق كثير وفي هذه السنة قال البرزالى في تاريخه قرأت في بعض الكتب الواردة من القاهرة انه لما كان بتاريخ يوم الخميس رابع جمادي الآخره ظهرت دابة عجيبة الخلقة من بحر النيل الى أرض المنوفية وصفتها لونها لون الجاموس بلا شعر وآذانها كآذان الجمل وعيناها وفرجها مثل الناقة يغطي فرجها ذنبها طوله شبر ونصف طرفه كذنب السمك ورقبتها مثل غلظ المسند المحشو تبنا وفمها وشفتاها مثل الكربال ولها أربعة أنياب اثنان من فوق واثنان من أسفل طولها دون الشبر وعرض أصبعين وفي فمها ثمانية وأربعون ضرسا وسنا مثل بيارق الشطرنج وطول يديها من باطنها الى الارض شبران ونصف ومن ركبتها الى حافرها مثل بطن الثعبان أصفر مجعد ودور حافرها مثل السكرجة بأربعة أظافير مثل أظافير الجمل وعرض ظهرها مقدار ذراعين ونصف وطولها من فمها الى ذنبها خمسة عشر قدما وفي بطنها ثلاثة كروش ولحمها أحمر وزفرته مثل السمك وطعمه كلحم الجمل وغلظ جلدها أربع أصابع ماتعمل فيه السيوف وحمل جلدها على خمسة أجمال فى مقدار ساعة من ثقله على جمل بعد جمل وأحضروه الى القلعة بين يدي السلطان وحشوه

تبنا وأقاموه بين يديه وفي هـذه السنة أبطل الامير ركن الدين بيبرس الجاشنكير عيد الشهيد بمصر وذلك ان النصارى كان عنـدهم تابوت فيه أصبع يزعمون انه من أصابع بعض شهدائهم وان النيل لايزيد مالم يلق فيـه هـذا التابوت وكان يجتمع النصاري من سائر النواحى الى شـبرا ويقع هناك أمور فظيعة من سكر وغيره فأبطل ذلك الى يومنا هذا ولله الحمد وفي سنة أربع وسبعمائة ظهر في معدن الزمرد قطعة زنتها مائة وخمسة وسبعون مثقالا فأخفاها الضامن ثم حملها الى بعض الملوك فدفع له فيها مائة ألف وعشرين ألف درهم فأبي ان يبيعها بذلك فأخذها الملك منه غصبا وبعث بها الى السلطان فمات الضامن غما وفيها أوفي النيـل رابع توت وكذا فى ستة خمس وفي سنة تسع وسبعمائة توقف النيل واستسقى الناس فـلم يسقوا وانتهت زيادته فى سابع عشري توت الى خمسة عشر ذراعا وسبعة عشر أصبعاً ثم زاد وأوفي سنة عشر ذراعاً فى تاسع عشر بابه وتشأم الناس بسلطنة بيـبرس وغنت العامة في ذلك سلطاننا ركين ونائبنا دقين يجيئنا المـاء من أين يجيبوا لنا الاعـرج يجيء المـاء ويدحرج وفي هذه السنه لمـا عاد ابن قلاوون تكلم الوزير ابن الخليلي في اعادة أهل الذمة الى لبس العمائم البيض بالعلائم وانهم قد التزموا للديوان بسبعمائة ألف فى كل سنة زيادة على الجالية فسكت أهل المجلس وقام الشيخ تقى الدين بن تيمية رحمـه الله وتكلم كلاما عظيما ورد على الوزير مقالتـه وقال للسلطان حاشاك أن تكون ممن ينصر أهـل الذمة فأصغى اليه السلطان واستمر لبسهم للاصفر والازرق ثم عمل ذلك ببغداد أيضا في سنة أربع وثلاثين اقتداء بملك مصر وفي سنة خمس عشرة وسبعمائة وقع الشروع في روك الاقطاعات بمصر وأبطل السلطان مكوسا كثيرة وأفردت الجهات التى بقيت من المكس وأضيفت للوزير وأفـرد لكل راتب من الدولة ولكل فريق جهة من البلاد ولم يكن الوزير يتعلق به جهة مكس قديماً ولذا كان يتولاه العلماء وقضاة القضاة وفى سـنة عشرين وسبعمائة حصـل بالديار المصرية مرض كثير قل ان سلمت منه دار وغلت الادوية والاشربة وبيعت الرمانة الحامضة بثلاثة أرباع نقرة والعناب الرطل المصري بستة دراهم نقرة وكذلك الاجاص والقراصيا والقلب اللوز وتمت مدة عظيمة ولكن كان المرض سليما والموت قليلا ذكره في العبر وفي سـنة إحدى وعشرين كان بالقـاهرة حريق كبير متتابع خارج عن الوصف ودام أياما في أماكن وأحـرق جامع ابن طولون وما حوله بأسره ثم ظفر بفاعليـه وهم جماعة من النصارى يعملون قواوير النفط فقتلوا وأحرقوا وهـدم غالب كنائس النصارى بمصر ونهب الباقي وبقيت القاهرة أياماً لم يظهر فيها أحد من النصارى وبقى لا يظهر نصراني الا ضربه العوام وربما قتلوه وفي هذه السنة قال الذهبي في العبر نقلت من خط بدر الدين العزازى ان كلبـة

ولدت بالقاهرة ثلاثين جروا وأنها أحضرت بين يدي السلطان فعجب منها وسأل المنجمين عن ذلك فلم يكن عندهم علم منه وفي سنة اثنتين وعشرين أبطل السلطان المكس المتعلق بالمأكول بمكة وعوض صاحبها ثلثي بلد دمامين من صعيد مصر وفي سنة أربع وعشرين رسم السلطان بابطال الملاهي بالديار المصريه وحبس جماعة من النساء الزواني وحصل بالديار المصرية موت كثير وفي هذه السنة نودى على الفلوس ان يتعامل بها بالرطل كل رطل بدرهمين ورسم بضرب فلوس زنة الفلس منها درهم وفى سنة خمس وعشرين وقع بالقاهرة مطر كثير قل ان وقع مثله وجاء سيل الى النيل حتي تغير لونه وزاد نحو أربع أصابع وفي هذه السنة حضر السلطان الناصر ابن قلاوون عند قاضى القضاة بدر الدين بن جماعة فسمع عليه عشرين حديثا من تساعياته وخلع عليه خلعة عظيمة وفرق من الذهب والفضة على الفقراء نحو ثلاثين ألف درهم وفي سنة سبع وعشرين رسم بقتل الكلاب بالديار المصرية وفي سنة تسع وعشرين رسم بأن لايباع مملوك تركي لكاتب ولا لعامي وفي سنة أربعين نودى على الذهب كل دينار بخمسة وعشرين درهما وكان بعشرين درهما وان يتعاملوا به ولا يتعاملوا بالفضة فشق ذلك على الناس ثم بطل ذلك وفي سنة أربع وأربعين اشتد آل ملك نائب السلطنة على والي القاهرة في اراقة الخمر ومنع المحرمات وعاقب جماعة كثيرة على ذلك واخرب خزانة النبوذ وكانت دار فسق وفجور وبنى مكانها مسجدا ونادى من أحضر سكرانا أو من معه جرة خمر خلع عليه فقعد العامة لذلك بكل طريق وأتوه بجندي سكران فضربه وقطع خبزه وأخلع على الآتى به وصار له مهابة عظيمة وكف الناس عين أشياء كثيرة حتى أعيان الامراء فقال بعض الشعراء في ذلك

آل ملك الحاج غدا سعده * يملأ ظهر الارض فيما سلك
فالامر آمن دونه سوقة * والملك الظاهر هو آل ملك

وفي سنة سبع وأربعين قل ماء النيل حتي صار مابين المقياس ومصر يخاض وصار من بولاق الي المنشية طريقا يمشى فيه وبلغت رواية الماء درهمين وكانت بنصف درهم وفي سنة تسع وأربعين كان الطاعون العام بمصر وغيرها وفي سنة خمس وخمسين وسبعمائة أمر بان يكون ازار النصرانية أزرق وازار اليهودية أصفر وازار السامرية أحمر وفي سنة سبع وخمسين في ربيع الآخر هبت ريح من جهة المغرب وامتدت من مصر الى الشام في يوم وليلة وغرقت ببولاق نحو ثلثمائة مركب واقتلعت من النخيل والجميز ببلاد مصر وبلبيس شيئاً كثيرا وفي سنة احدى وستين وقع الوباء بالديار المصريه وفي سنة أربع وستين كان الطاعون بديار مصر وفي سنة خمس وستين وقع الفناء في البقر

فهلك منها شيء كثير وفي سنة سبع وستين أخذت الفرنج مدينة اسكندرية وقتلوا وأسروا فخرج السلطان والعسكر لقتالهم ففروا وتركوها وفي سنة تسع وستين وقع الوباء بالديار المصرية وفي سنة ثلاث وسبعين رسم للاشراف بالديار المصرية والشامية ان يسمواعائمهم بعلامة خضراء تميزا لهم عن الناس ففعل ذلك في مصر والشام وغيرهما وفي ذلك يقول أبو عبد الله ابن جابر الاندلسي الاعمى نزيل حلب

جعلوا لابناء الرسول علامة * ان العلامة شأن من لم يشهر
نور النبوة في كريم وجوههم * يغنى الشريف عن الطراز الاخضر

وقال في ذلك جماعة من الشعراء مايطول ذكره ومن أحسنها قول الاديب شمس الدين محمد بن ابراهيم الدمشقي

أطراف تيجان أتت من سندس * خضر بأعلام على الاشراف
والاشرف السلطان خصصهم بها * شرفا ليعرفهم من الاطراف

وفي هذه السنة زاد النيل زيادة مفرطة وثبت الى أيام من هاتور فاجتمع جماعة بالجامع الازهر وجامع عمرو وسألوا الله في هبوطه وعمل ابن أبي حجلة مقامته المشهورة وفي هذه السنة أراد السراج الهندي قاضي الحنفية ان يساوي قاضي الشافعية في لبس الطرحة وتولية القضاة في البلاد وتقرير مودع الايتام فأجيب الى ذلك فاتفق انه توعك عقب ذلك وطال مرضه الى أن مات ولم يتم الذي أراده وفي سنة أربع وسبعين وقعت صاعقة على القلعة فأحرقت منها شيئاً كثيرا واستمر الحريق أياما وفي هذه السنة عقد الجائي مجلسا بالعلماء في اقامة خطبة بالمنصورية فأفتاه البلقيني وابن الصائغ بالجواز وخالف الباقون وصنف البلقيني كتابا في الجواز وصنف العراقي كتابا في المنع وجمع أيضاً القاضي برهان الدين بن جماعة جزأ في المنع وفي سنة خمس وسبعين توقف النيل عن الزيادة وأبطأ الى أن دخل توت واجتمع العلماء والصلحاء بجامع عمرو واستسقوا وكسر الخليج تاسع توت عن نقص أربع أصابع من العادة ثم نودي بصيام ثلاثة أيام وخرجوا الى الصحراء مشاة وحضر غالب الاعيان ومعظم العوام وصبيان المكاتب ونصب المنبر فخطب عليه شهاب الدين القسطلاني خطيب جامع عمرو وصلى صلاة الاستسقاء ودعا وابتهل وكشف رأسه واستغاث وتضرعوا وكان يوما مشهودا وابتدأ الغلاء وزادت الاسعار وفي هذه السنة في أول جمادى الاولى حدثت زلزلة لطيفة فيها ابتدئت قراءة البخاري في رمضان بالقلعة بحضرة السلطان ورتب الحافظ زين الدين العراقي قارئا ثم اشترك معه شهاب الدين العرياني يوما بيوم وأمر السلطان مشايخ العلم أن يحضروا عنده سامعين ليتباحثوا فحضر جماعة من الاكابر وفيها أبطل ضمان المغاني ومكس القراريط التي كان في بيع الدور وقرئ بذلك

مرسوم على المنابر وكان ذلك بتحريك البلقيني واعانه أكمل الدين والبرهان بن جماعة وفي سنة ست وسبعين وقع الفناء بالديار المصرية وبيع كل رمانة بستة عشر درهما وهي قريب من دينار وكل فروج بخمسة وأربعين وكل بطيخة بسبعين وفي هذه السنة أحضروا الى الاشمونين الي الامير منجك بنتاً عمرها خمس عشرة سنة فذكرانها لم تزل بنتاً الى هذه الغاية فاستد الفرج وظهر لها ذكر وانثيان واحتلمت فشاهدوها وسموها محمداً ولهذه القضية نظير ذكرها ابن كثير في تاريخه قال الحافظ ابن حجر ووقع في عصرنا نظير ذلك في سنة اثنتين وأربعين وثمانمائة وفي سنة سبع وسبعين وصلت هدايا اسطنبول من الروم وفي جملة الهدايا صندوق فيه شخوص له حركات كلما مضي ساعة من الليل ضربت تلك الشخوص بأنواع الملاهي وكلما مضت درجة سقطت بندقة وفي سنة ثمان وسبعين في شعبان خسف الشمس والقمر جميعاً فطلع القمر خاسفاً ليلة السبت رابع عشرة وكسفت الشمس بين الظهر والعصر يوم السبت ثامن عشرينه وفي سنة ثمانين كان بمصر حريق عظيم ودام أياما وفي هذه السنة في ذي القعدة عقد برقوق أتابك العساكر مجلساً بالقضاة والعلماء وذكر ان أراضي بيت المال أخذت منه بالحيلة وجعلت أوقافا من بعد الناصر بن قلاوون وضاق بيت المال بسبب ذلك فقال الشيخ سراج الدين البلقيني اماما وقف على خديجة وعويشة وفطيمة فنعم واماما وقف على المدارس والعلماء والطلبة فلا سبيل الى نقضه لان لهم في الخمس أكثر من ذلك فانفصل الامر على مقالة البلقيني وفي هذه السنة ظهر كوكب له ذؤابة وبقي مدة يرى في أول النهار من ناحية الشمال وفي هذه السنة أمر بتبطيل الوكلاء من دور القضاة وفي سنة احدى وثمانين رسم الامير بركة بنفي الكلاب من مصر ورسم بأن يعمل على قنطرة فم الغور سلسلة تمنع المراكب من الدخول والى بركة الرطلي فقال بعض الشعراء في ذلك

أطلقت دمعي على خليج * مذ سلسلوه فراح مفقل
من رام من دهرنا عجيباً * فلينظر المطلق المسلسل

وفي ربيع الآخر من هذه السنة أحدث السلام على النبي صلى الله عليه وسلم عقب أذان العشاء ليلة الاثنين مضافا الى ليلة الجمعة ثم أحدث بعد عشر سنين عقب كل أذان الا المغرب وفي سنة ثلاث وثمانين ابتدأ الطاعون بالقاهرة وفيها أمطرت السماء مطراً عظيما حتى صار باب زويلة خوضاً الى بطون الخيل وخرج سيل عظيم الى جهة طرى فغرق زرعها وأقام الماء أياما ولم يعهد الناس ذلك بالقاهرة وفيها ظهر نجم له ذؤابة قدر رمحين من جهة القبلة وفي سنة أربع وثمانين وقع الغلاء بمصر وفيها شرع جركس الخليلي في عمل جسر بين الروضة ومصر وطوله مائتي قصبة في عرض عشرة عند موردة الحبش وعمل على النيل

طاحونا تدور بالماء وفي هذه السنة قال الحافظ ابن حجر توجه الظاهر برقوق الى بولاق التكرور فاجتاز من الصليبة وقناطر السباع وفم الخور قال وكانت عادة السلاطين قبله من زمن الناصر لايظهرون الافي الاحيان ولا يركبون الا من طريق الجزيرة الوسطى قال ثم تكرر ذلك منه وشق القاهرة مرارا وجرى على ماألف في زمن الامرة وأبطل كثيراً من رسوم السلطنة وأخذ من بعده بطريقته في ذلك الى ان لم يبق من رسمها في زماننا الا اليسير جداً وفى هذه السنة بنى السلطان قناطر بني منجة فاحكم عمارتها وفي سنة خمس وثمانين نزل السلطان الى النيل فخلق المقياس وكسر الخليج بحضرته قال ابن حجر ولم يباشر ذلك السلطان قبله في زمن الظاهر بيبرس وفي سنة سبع وثمانين زلزلت مصر والقاهرة زلزلة لطيفة فى ليلة الثالث عشر من شعبان وفيها أحضرت صغيرة ميتة لها رأسان وصدر واحد ويدان فقط ومن تحت صورة شخصين كاملين كل شخص بفرج انثى فشاهدها الناس ودفنت وفيها وقع الغلاء بمصر وفى سنة ثمان وثمانين فى جمادى الآخر زلزلت الارض زلزلة لطيفة وفي هذه السنة عز الفستق عزة شديدة الى أن بيع الرطل منه بمثقال ذهب ونصف وفي سنة تسع وثمانين ضربت الدراهم الظاهريه وجعل اسم السلطان فى دائرة فتفاءلوا له من ذلك بالحبسين فوقع عن قريب ووقع نظيره لولده الناصر فرج في الدنانير الناصرية وفي سنة تسعين أصاب الحاج في رجوعهم عند ثغرة حامد سيل عظيم أهلك خلقا كثيرا وفي هذه السنة وقع الطاعون بالقاهرة وفي سنة احدى وتسعين في شعبان أمر نجم الدين الطنبدى المحتسب ان يزاد بعد كل آذان الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كما يصنع ذلك ليلة الجمعة بعد العشاء فصنعوا ذلك الافي المغرب لضيق وقتها وفي سنة اثنتين وتسعين عطش الحاج بعجرود حتى بلغت القربة مائة درهم فضة وفى سنة ثلاث وتسعين أمر كتبغا نائب الغيبة ان لاتخرج النساء الى الترب بالقرافة وغيرها ومنع النساء من لبس القمصان الواسعة الاكمام وشدد في ذلك وفي هذه السنة في جمادى الآخرة ظهر كوكب كبير بذؤابة طول رمحين وفي سنة أربع وتسعين وقع الوباء في البقر حتى كاد أقليم مصر ان يفنى منها وفى هذه السنة أمر أصحاب الهاعات والقطعات ان يخرجوا من القاهرة وفيها ضربت بالاسكندرية فلوس ناقصة الوزن عن العادة طمعاً في الربح فآل الامر ان كانت أعظم الاسرار في فساد الاسرار ونقص الاموال وفي سنة تسع وتسعين استأذن كاتب السر بدر الدين الكاستاني السلطان له ولجميع المتعممين ان يلبسوا الصوف الملوّن في المواكب فأذن لهم وكانوا لايلبسون الا الابيض خاصة وفيها ولدت امرأة بظاهر القاهرة أربعة ذكور أحياء وفى سنة ثمانمائة هبت ريح شديدة بالقاهرة حتى اتفق الشيوخ العتق على انهم لم يسمعوا بمثلها وفي سنة احدى وثمانمائة ذكر أهل الهيئة انه يقع في

أول يوم منها زلزلة وشاع ذلك فى الناس فلم يقع شئ من ذلك وفى رجب سنة أربع ظهر كوكب قدر الثريا له ذؤابة ظاهرة النور جداً فاستمر يطلع ويغيب ونوره قوى يرى مع ضوء القمر حتي رؤى بالنهار في أوائل شعبان فاوله بعضهم بظهور ملك الشيخ المحمودي وفي سنة ست وثمانمائة نودى على الفلوس بان يتعامل بها بالميزان وسعرت كل رطل بستة دراهم وكانت فسدت الى الغاية بحيث صار وزن الفلوس ربع درهم بعدان ان كان مثقالا وفي سنة عشر وقع الطاعون بالديار المصرية وفي سنة خمس عشرة ضربت الدراهم الخالصة زنة الواحد نصف درهم والدينار ثلاثين منه وفرح الناس بها وبطلت الدراهم النقرة وكان ضربها قديما في كل درهم عشرة فضة وتسعة أعشاره نحاس وفى سنة ست عشرة فشا الطاعون بمصر وفي سنة سبع عشرة أمر المؤيد بضرب الدراهم المديدية وفى سنة ثمان عشرة كان الطاعون بالقاهرة وفي سنة تسع عشرة كان الطاعون بالقاهرة وكثر الوباء بالصعيد والوجه البحرى وفي هذه السنة أمر الملك المؤيد الخطباء اذا وصلوا الى الدعاء اليه في الخطبة ان يهبطوا من المنبر درجة ليكون اسم الله ورسوله في مكانه أعلا من المكان الذى يذكر فيه السلطان فصنع ذلك الحافظ ابن حجر بالجامع الازهر وابن النقاش بجامع ابن طولون قال ابن حجر وكان مقصد السلطان فى ذلك جميلا وفي سنة عشرين ولدت جاموسة ببلبيس مولودا برأسين وعنقين وأربعة أيدوسلسلتى ظهر واحد ورجلين اثنين لاغير وفرج واحد أنثى والذنب مفروق باثنتين فكانت من بديع صنع الله وفي هذه السنة أمسك نصراني زنا بامرأة مسلمة فاعترفا فحكم برجمهما فرجما خارج باب الشعرية وأحرق النصرانى ودفنت المرأة وفي سنة اثنتين وعشرين فشا الطاعون بالديار المصرية وفي سنة خمس وعشرين زلزلت القاهرة زلزلة لطيفة وفي سنة سبع وعشرين جدد للمشايخ الذين يحضرون سماع الحديث بالقلعة فراجى سنجاب وهو أول مافعل بهم ذلك وفي سنة ثمان وعشرين وقع بدمياط حريق عظيم حتي احترق قدر ثلثها وهلك من الدواب والناس شئ كثير وفي سنة ثلاث وثلاثين كان الطاعون العظيم بالديار المصرية وفي سنة احدى وأربعين كان الطاعون بالديار المصرية

ذكر الطريق المسلوك من مصر الى مكة شرفها الله تعالى

قال ابن فضل الله المحامل السلطانية وجماهير الركبان لاتخرج الا من أربع جهات مصر ودمشق وبغداد وتعز قال فيخرج الركب من مصر بالمحمل السلطاني والسبيل المسبل للفقراء والضعفاء والمنقطعين بالماء والزاد والاشربة والادوية والعقاقير والاطباء والكحالين والمجبرين والادلاء والأئمة والمؤذنين والامراء والجند والقاضي والشهود والدواوين والامناء ومغسل الموتى في أكمل زى وأتم ابهة واذا نزلوا منزلا أورحلوا مرحلا تدق

الكوسات وينفر النفير ليؤذن الناس بالرحيل والنزول فاذا خرج الركب من القاهرة نزل البركة على مرحلة واحدة فيقيم بها ثلاثة أيام أو أربعة ثم يرحل الى السويس فى خمس مراحل ثم الى نخل في خمس مراحل وقد عمل فيها الامير ال ملك الجوكندار المنصورى أحد أمراء المشورة فى الدولة الناصرية بن قلاوون بركا واتخذ لها مصانع ثم يرحل الى ايلة فى خمس مراحل وبها العقبة العظمى فينزل منها الى حجز بحر القلزم ويمشى على حجزه حتى يقطعه من الجانب الشمالي الى الجانب الجنوبي ويقيم به أربعة أيام أو خمسة وبه سوق عظيم فيه أنواع المتاجر ثم يرحل الى حفل مرحلة واحدة ثم الى بر مدين في أربع مراحل وبه مغارة شعيب عليه الصلاة والسلام ويقال ان ماءها هو الذي سقى عليه موسى عليه الصلاة والسلام غنم بنات شعيب ثم يرحل الى عيون القصب في مرحلتين ثم الى المويلحة في ثلاث مراحل ثم الى الازلم في أربع مراحل وماؤه من أقبح المياه وهناك خان بناه الامير ال ملك الجوكندار وعمل هناك بئراً أيضاً ثم الى الوجه في خمس مراحل وماؤه من أعذب المياه ثم الى أكرى فى مرحلتين وماؤه أصعب ماء في هذه الطريق ثم الى الحوراء وهى على ساحل بحر القلزم في أربع مراحل وماؤها شبيه بماء البحر لايكاد يشرب ثم الى نبط في مرحلتين وماؤه عذب ثم الى ينبع فى خمس مراحل ويقيم عليه ثلاثة أيام ثم الى الدهنا في مرحلة ثم الى بدر في ثلاث مراحل وهي مدينة حجازية وبها عيون وجد اول وحدائق وبها الجار فرضة المدينة الشريفة ثم يرحل الى رابغ في خمس مراحل وهي بازاء الجحفة التى هى الميقات ثم يرحل الى خليص في ثلاث مراحل وبها بركة عملها الامير أرغون الناصرى ثم الى بطن مرّ فى ثلاث مراحل وفي طريقه بئر عسفان ثم يرحل من بطن مر الى مكة المشرفة مرحلة واحدة ثم يرجع في منازله الى بدر فيعطف الى المدينة الشريفة فيرحل الى الصفراء فى مرحلة ثم الى ذى الحليفة فى ثلاث مراحل ثم الى المدينة الشريفة في مرحلة ثم يرجع الى الصفراء ويأخذ بين جبلين في فجوة تعرف بنقب على حتى يأتي البنبع في ثلاث مراحل ثم يستقيم على طريقه الى مصر

ذكر قدوم المبشر سابقاً يخبر بسلامة الحاج

كان ذلك فى عهد الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان فمن بعدهم وله حكمة لطيفة قل من يعرفها قال الحافظ عماد الدين بن كثير في تاريخه فى قصة حصر عثمان رضى الله عنه واستمر الحصار بالديار المصرية حتى مضت أيام التشريق ورجع البشير من الحج فأخبر بسلامة الناس وأخبر أولئك بأن أهل الموسم عازمون على الرجوع الى المدينة ليكفنوهم عن أمير المؤمنين وأخرج مالك في الموطأ عن ابن دلان عن أبيه ان رجلا من جهينة كان يشتري الرواحل فيتغالى بها ثم يسرع السفر فيسبق الحاج

فافلس فرفع أمره الى عمر فقال أما بعد أيها الناس ان الاسيقع أسيقع جهينة رضى من دينه وأمانته ان يقال سبق الحاج الاوانه أدان معرضاً فأصبح وقد دين به فهمد فمن كان له عليه دين فليأته بالغداة فقسم ماله بين غرمائه ثم كمل الدين وأخرج الخطيب البغدادى فى تالي التلخيص من طريق عبد الملك بن عمير عن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه قال تخرج الداية من جبل اجياد في أيام التشريق والناس بمني قال فلذلك جاء سابق الحاج يخبر بسلامة الناس

ذكر حمائم الرسائل

قال ابن كثير في تاريخه في سنة سبع وستين وخمسمائة اتخذ السلطان نور الدين الشهيد الحمام الهوادى وذلك لامتداد مملكته واتساعها فانها من حد النوبة الى همدان فلذلك اتخذ قاعة وحبس الحمام التي تسرى الآفاق فى أسرع مدة وأيسر عدة وما أحسن ماقال فيهن القاضى الفاضل الحمام ملائكة الملوك وقد أطنب فى ذلك العماد الكاتب وأظرف وأطرب وأعجب وأغرب وفى سنة احدى وتسعين وخمسمائة اعتنى الخليفة الناصر لدين الله بحمام البطاقة اعتناء زائداً حتى صار يكتب بانساب الطير المحاضر انه من ولد الطير الفلانى وقيل انه بيع بألف دينار وقد ألف القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر فى أمور هذه الحمام كتاباً سماه تمام الحمام وذكر فيه فصلا فيما ينبغي أن يفعله المنطق وما جرت العادة به في ذلك فقال كان الجاري به العادة انها لاتحمل البطاقة الا في جناحها لامور منها حفظها من المطر ولقوة الجناح والواجب انه اذا انطلق من مصر لايطلق الا من أمكنة معلومة فاذا سرحت الي الاسكندرية فلا تسرح الا من منية عقبة بالجيزة والى الشرقية فمن مسجد التين ظاهر القاهرة والى دمياط فمن بيسوس بشط بحر منجى والذى استقرت قواعد الملك عليه ان طائر البطاقة لايلهو الملك عنه ولايغفل ولا يمهل لحظة واحدة فيفوت مهمات لاتستدرك اما من واصل واما من هارب وأما من متجدد في الثغور ولا يقع البطاقة من الحمام الا السلطان بيده من غير واسطة أحد فان كان يأكل لايمهل حتي يفرغ وان كان نائما لايمهل حتى يستيقظ بل ينبه وينبغي أن يكتب البطائق في ورق الطير المعروف بذلك قال ورأيت الاوائل لايكتبون في أوائلها بسملة قال وأنا ما كتبتها قط الا ببسملة للبركة وتؤرخ بالساعة واليوم لا بالسنين وينبغى أن لايكثر في نعوت المخاطب فيها ولا يذكر في البطائق حشو الالفاظ ولا يكتب الالب الكلاء وزبدته ولا بد أن يكتب شرح الطائر ورفيقه ان كانا طائرين قد سرحا حتي ان تأخر الطائر الواحد رقب حضوره أو يطلق لئلا يكون قد وقع في برج من أبراج المدينة ولا يعمل للبطائق هامش ولا يحمدى وجرت العادة بأن

يكتب في آخرها وحسبنا ونعم الوكيل وذلك حفظ لها وممن وصل في وصفها تاج الدين احمد بن سعيد بن الاثير كاتب الانشاء طال ماجادت بها فأضحت مخلفة ورآها تبكي عليها السحب وصدق من سماها أنبياء الطير لانها مرسلة بالكتب وفيها يقول أبو محمد احمد ابن علوى بن أبي عقبال القيرواني الملقب

خضر تفرق الريح في طيرانها * يابعد بين غدوها ورواحها
تأتي بأخبار الغدو عشية * لمسير شهر تحت ريش جناحها
وكأنما الروح الامين بوحيه * نفث الهداية منه فى أرواحها

﴿ وقال غيره ﴾

ياحبذا الطائر الميمون يطرقنا * في الامر بالطائر الميمول تنبيها
فاقت على الهدهد المذكور اذ حملت * كتب الملوك وصانتها أعاليها
تلقى بكل كتاب نحو صاحبه * تصون نظرته صونا وتخفيها
فما تمكن عين الشمس تنظره * ولا تجوز ان تلقيه من فيها
منسوبة لرسالات الملوك فبال * منسوب تسمو ويدعوها تسميها
اكرم بجيش سعيد ما سعادته * مما يشكيك فيها فكر جاليها
حما حمى الغار يوم الغار وقعته * فيالها وقعة عزت مساعيها
وقوفه عند ذاك الباب شرّفه * وللسعادة أوقات تؤاتيها
ويوم فتح رسول الله مكته * عند الدخول اليها من بواديها
صفت تظلل من شمس كتيبته * الخضر أمطره فيها تواليها
فظللته بما كانت تود هوى * لو قاباتها بأشواق فتنيها
فعندما حظينا بالقرب أمنها * فشرفت بعطايا جل مهديها
فما يحل لدي صيد تناولها * ولا ينال المنا بالنار مصليها
ولا تطير بأوراق الفرنج ولا * يسير عنها بما فيه أمانيها
سمت بملك المعاني غير ذي دنس * لاترتضيهم ولو جزت نواصيها
وانظر لها كيف تأتي للخلائق من * آل الرسول بحب كامن فيها
من المقام الى دار السلام فلم * يمض النهار بعزم في دواعيها
وربما ضل عنه الهند ملتقطاً * حبات فلفله وارتد مبطيها
فجاء في يومه في أثر سابقه * حفظاً لحق يد طابت أياديها
مناقب لرسول الله أيسرها * لدى نبوته الغراء تكفيها

ومن انشاء القاضي الفاضل في وصف حمائم الرسائل سرحت لاتزال أجنحتها

محملة من البطائق أجنحة وتجهيز جيوش القاصد والاقلام أسلحه وتحمل من الاخبار ماتحمله الضمائر وتطوي الارض اذا نشرت الجناح الطائر وتزوي بها الارض ماسيبلغه ملك هذه الامة وتقرب من السماء حتى ترى مالا يبلغه ولا همه وتكون مراكب الاعراض والاجنحة قلوعا ويركب البحر بحراً تصفق فيه هبوب الرياح موجا مرفوعا وتعلق الحاجات على اعجازها ولا تفوق الارادات عن انجازها ومن بلاغات البطائق استفادة ماهي مشهورة به من السجع ومن رياض كتبها ألفت الرياض فهي اليها دائمة لرجع وقد سكنت النجوم فهي انجم وأعدت في كنانتها فهي للحاجاب أسهم وكادت تكون ملائكة لانها رسل فاذا نيطت بالرقاع صارت أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع وقد باعد الله بين أسفارها وقربها وجعلها طيف خيال اليقظة الذي صدق العين وما كذبها وقد أخذت عهود الامانة في رقابها أطواقا وصارت خوافي من وراء الخوافي وغطت سرحها المودع بكتمان سحبت عليه ذيول ريشها الصوافي ترغم أنف النوى بتقريب العهود وتكاد العيون بملاحظتها تلاحظ أنجم السعود وهي أنبياء الطير لكثرة ماتأتي به من الانباء وخطباها لانها تقوم على الاغصان مقام الخطبا وقال في وصفها شيخ الكتاب ذو البلاغتين السديد أبو القاسم شيخ القاضي الفاضل وأما حمام الرسائل فهي من آيات الله المستنطقة الالسن بالتسبيح العاجز عن وصفها اعجاز البليغ الفصيح فيما تحمله من البطائق وترد به مسرعة من الاخبار الواضحة الحقائق وتعاليه في الجو محلقاً عند مطاره وتهديه على الطريق التي عليها ليأمن من ادراك فوت الادراك واخطاره ونظره الى المقصد الذى يسرح اليه من على ووصوله الى أقرب الساعات بما يصل به البريد في أبعد الايام من الخبر الجلي ومجيئه معادلا لرؤس السفار مسامتا وايثار بالمتجددات فكانه ناطق وان كان صامتاً وكونه يمضى محمولا على المركوب ويرجع عاملا على ظهره للمكتوب ولا يعرج على تذكار الهدير ولا يسام من الدواب في الخدمة زائداً على التقدير وفي تقدمه البشائر يكون المعني بقولهم أيمن طائر ولا غرو ان فارق رسل أهل الارض وفاتهم وهو مرسل والعنان عنان والجو ميدانه والجناح مركبه والرياح موكبه وابتداء الغاية شرطه والشوق الى أهله شرطه مع أمنه مايحدث لمناب السفار ومخبات القفار من مخاوف الطوارق وطوارق المخاوف ومتلف الغوائل وغوائل المتالف الا مايشد من اعتراض جارح جارح وانقضاض كاسب كاسر فيكفيه سعادة الدولة تأميمه وتصد عنه تصميمه لانه حسنها من الطير اللذين يحدثان فى أعدائها هذا بالانذار الجاعل كيدهم في تضليل وذلك بما ترى رأيتها المنصورة عليها من تضليل وقال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى وعلى ماأنشأه الشيخ السديد رحمه الله تعالى أردت أن أجرب

الخاطر فانشأت وأنا غير مخاطب أحدا بل مخاطر وأين الثرى من الثريا وما الحسن لكل أحد يتهيأ وعلى ان أجيب وما على ان أجيد وما كل والد يدرك شأو الوليد ولا كل كاتب عبد الرحيم ولا عبد الحميد فقلت وأما حمائم الرسائل فكم أغنت البرد عن جوب القفار وكم قدت جيوبها على أسرى أسرار وكم أعادت السهام أجنحة فأحسنت بتلك العادية المطار وكم قال جناحها لطالب النجاح لاجناح وكم سرت فحمدت المساء اذا حمد غيرها من الساريين الصباح وكم سارقت الصبا والجنائب ففاقتهما ولم تحوج سلام المشتاقين الى امتطاء كاهل الرياح كم حسب ملك كل منهما ملك وكم مال سرحتها لمحبته بها قرة عين لى ولك كم أحملت في الهوى تقلباً واذا غنت الحمائم على الغصون صمتت عن الهذيل والهدير تأديا كم دفعت شكا بيقينها ورفعت شكوى بتبيينها وكم أدت أمانة ولم تعلم أجنحتها بما في شمالها ولا شمالها بما في يمينها كم التفت منها الساق بالساق فاحسنت لربها المساق وكم أخذت عهود الامانة فبدت أطواقا في الاعناق ويقال ماتضمنته من البطائق بعض ماتعلق منها في الرياض من الاوراق تسبق اللمح وكم استفتح بها المسير اذا جاء بالفتح تسبق الطرف السابق والطرف الرامي الرامق وما تلت سورة البروج الا وتلت سورة الطارق كم أنسى مطارها عدو السلكة والسليك وكم غنت في خدمة سلطانها عن الغناء وقال كل منهما لرفيقه اليك عن الايك ماأحوج تصديقهما في رسالتهما الى الاعزاز بثالث وكم قيل في كل منهما لمن سام هذا حام فى خدمته أبناء يافث كم سرحا باحسان وكم طارا بأفق فاستحق ان يقال لهما فرسا سحاب اذا قيل لاحدهما فرساً رهان حامله علم لمن هو أعلم به منها يغنى السفار والسفارة فلا تحوجهم الى الاستغناء عنها تغدو وتروح وبالسر لاتبوح فكم عيب باجتماعها يألفها على انها تنوح كم سارت تحت أمر سلطانها على أحسن السير وكم أفهمت ان ملكه سليمان اذ سخر له منها فى مهماته الطير أسرع من السهام المفوقة وكم من البطائق مخلقة وغير مخلقة كم ضللت من كيد وكم بدت في مقصورة تصبح في النساء والنساء دونها مقصورة ابن دريد ومن القضاة الاديب تقى الدين أبو بكر ابن حجة في ذلك سرح كما سرح العيون الا دون رسالته مقبولة وطلب السبق فلم يرض بعرف البرق سرحا ولا أستظل صفحته المصقولة وكم جرى دونه النسيم فقصر وأمست أذياله بعرف السحب مبلولة وأرسل فاقر الناس برسالاته وكتابه المصدق وانقطع كوكب الصبح خلفه فغار عند التقصير كتب يجاب وعلى يدى مخلق يؤدي ماجاء على يده من التوسل فيهيج الاشواق وما برحت الحمام تحسن الآداء في الاوراق وصحبناه على الهدي فقال ماضل صاحبكم وما غوى وما روى عنه حديث الفضل المسند فعن عكرمة فقد روى يطير مع الهوى لفرط صلاحه ولم يبق على السر المصون جناح اذا دخل تحت جناحه

ان برز من مقفصه لم يبق للصرح الممرد قيمه بل ينعزل بتدبيج أطواقه ويعلق عليه من العين تلك التميمه ماسجن الا صبر على السجن وضيقة الاطواق ولهذا حمدت عاقبته على الاطلاق ولا غنا على عود الأسال دموع الندى من حدائق الرياض ولا أطلق من كبد الحق الاكان سهماً مريشاً تبلغ به الاغراض كم علا فصاد بريش القوادم كالاهداب لعين الشمس وأمسى عند الهبوط لعيون الهلال كالطمس فهو الطائر الميمون والغاية السباقة والامين الذي اذا أودع أسرار الملوك حملها بطاقة فهو من الطيور التى خلا لها الجو فنقرت ماشاءت من حبات النجوم والعجماء التي من أخذ عنها شرح المعلقات فقد أعرب عن دقائق المفهوم والمقدمة والنتيجة للكتاب الحجلى فى منطق الطير وهي من حملة الكتاب الذي اذا وصل القارئ منه الى الفتح يتهلل لجنة الخير ان يصدر البازي بغير علم فكم جمعت بين طرفى كتاب وان سألت العقبان على بديع السجع أحجمت عن رد الجواب رعت النسور بقوة جيف الفلا ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف ماقدمت الا وارتنا من شمائلها اللطيفة نعم القادمه وأظهرت لنا من خوافيها ما كانت له خير كاتمه كم أهدت من مخلفها وهى غادية رائحة وكم حنت اليها الجوارح وهى أدام الله اطلاقها عن جارحة وكم أدارت من كؤوس السجع ماهو أرق من قهوة الانشاء والمهج علي زهر المنشور من صبح الاعشاء وكم عامت بحور القضاء ولم تحفل بموج الجبال وكم جاءت ببشارة وخضبت الكف من تلك الانملة قلامة الهلال وكم زاحمت النجوم بالمناكب حتى ظفرت بكل كف خضيب وانحدرت كأنها دمعة سقطت على خد الشقيق لامر مريب وكم لمع في أصيل الشمس خضاب كفها الوضاح فصارت بسموها وفرط البهجة كمشكاة فيها مصباح والله تعالي يديم بافنان أبوابه العالية ألحان السواجع ولا برح تغريدها مطرباً بين البادى والراجع

ذكر عادة المملكة فى الخلع والزي

قال ابن فضل الله وأما القضاة والعلماء فخلعهم من الصوف بغير طراز فلهم الطرحة وأصل الصوف ان يكون أبيض وتحته أخضر وأما زى القضاة والعلماء فداق متسع بغير تفريق فتحته على كتفه وشاش كبير منه ذؤابة بين الكتفين ويميلها الى الكتف الايسر وأما من دون هؤلاء فالفرجية الطويلة الكم بغير تفريج والذؤابة أيضاً ويميلها الى الكتف الايسر ومنهم من يلبس الطيلسان وأما قاضى القضاة الشافعى رضى الله تعالى عنه فرسمه الطرحة وبها يمتاز ومراكبهم البغال ويعمل بدلا من الكنبوش الزنارى وهو من الجوخ بالعباء المجوفة الصدر مستدير من وراء الكفل وألبسة الخطباء داق مدوّر أسود للشعار العباسى وشاش اسود وطرحة سوداء وأمازى الامراء والجند فتقدم عند ذكر السلطان

وأما خلعهم وخلع الوزراء ونحوهم فأسقطتها من كلام ابن فضل الله لانها مابين حرير وذهب وذلك محرم شرعا وقد التزمت ان لاأذكر فى هذا الكتاب شيئاً أسأل عنه في الآخرة ان شاء الله تعالى

ذكر عادة السلطان فى الكتابة على التقاليد

قال ابن فضل الله عادته اذا كتب لأحد من النواب يكتب اسمه فقط فان كان من كبارهم وهو من ذوى السيوف كتب والده فلان وان كان من القضاة والعلماء كتب أخوه فلان

ذكر معاملة مصر

قال ابن فضل الله فى المسالك معاملة مصر الدراهم ثلثاها فضة وثلثها نحاس والدرهم ثمانية عشر خرنوبة والخرنوبة ثلاث قمحات والمثقال أربعة وعشرون خرنوبة والدرهم منها قيمته ثمانية وأربعون فلساً والدينار الحبشي ثلاثة عشر درهما وثلث درهم وأما الكيل فمختلف في مصر الاردب وهو ست ويبات الويبة أربعة أرباع الربع أربعة أقداح القدح مائتان واثنان وثلاثون درهما هذا أردب مصر وفي أريافها يختلف الاردب من هذا المقدار الى انهى ماينتهى ثلاث ويبات والرطل اثنا عشر أوقية الاوقية اثناعشر درهما قال صاحب المرآة في سنة خمس وسبعين من الهجرة ضرب عبد الملك بن مروان على الدنانير والدراهم اسم الله تعالى قال الهيثم وسببه انه وجد دراهم ودنانير تاريخها قبل الاسلام بأربعمائة سنة عليها مكتوب باسم الاب والابن وروح القدس فسبكها ونقش عليها اسم الله تعالى وآيات من القرآن واسم الرسول صلى الله عليه وسلم واختلف في صورة ما كتب فقيل فى وجه لااله الا الله وفى الآخر محمد رسول الله وأرخ وقت ضربها وقيل جعل في وجه قل هو الله أحد وفي الآخر محمد رسول الله وقال القضاعى كتب على أحد الوجهين الله أحد من غير قل ولما وصلت الى العراق أمر الحجاج فزيد فيها في الجانب الذي فيه محمد رسول الله في جوانب الدرهم أرسله بالهدى ودين الحق الآية واستمر نقشها كذلك الى زمن الرشيد فأراد تغييرها فقيل له هذا أمر قد استقر وألفه الناس فأبقاها على ماهي عليه اليوم ونقش عليها اسمه وقيل أول من غير نقشها المنصور وكتب عليها اسمه وأما الوزن فما تعرض أحد لتغييره انتهى كلام صاحب المرآة

ذكر كوكب الذنب

قال صاحب المرآة ان أهل النجوم يذكرون ان كوكب الذنب طلع في وقت قتل قابيل هابيل وفى وقت الطوفان وفي وقت نار ابراهيم الخليل وعند هلاك قوم عاد وثمود

وقوم صالح وعند ظهور موسى وهلاك فرعون وفي غزوة بدر وعند قتل عثمان رضى الله تعالى عنه وعند قتل جماعة من الخلفاء منهم الرضى والمعتز والمهتدي والمقتدر قال وأدني الاحداث عند ظهور هذا الكوكب الزلازل والاهوال قلت يدل لذلك ماأخرجه الحاكم في المستدرك وصححه من طريق ابن أبي مليكة قال غدوت على ابن عباس فقال مانمت البارحة قلت لم قال قالوا طاح الكوكب ذو الذنب فخشيت ان يكون الدجال قد طرق

ذكر بقية لطائف مصر

قال الكندي ذكر يحيى بن عثمان عن أحمد بن الكريم قال رحلت للدنيا ورأيت آثار الانبياء والملوك والحكماء ورأيت آثار سليمان بن داود عليهما السلام ببيت المقدس وتدمر والاردن وما بنته الشياطين فلم أر مثل برابي مصر وأعلى حكما ولا مثل الآثار التي بها والابنية التي لملوكها وحكمائها ومصر ثمانون كورة ليس منها كورة الا وفيها ظرائف وعجائب من أصناف الابنية والطعام والشراب والفاكهة والنبات وجميع ماينتفع به الناس ويدخره الملوك وصعيدها أرض حجازية حرها كحر الحجاز تنبت النخل والاراك والقرط والدوم والعسر وأسفل أراضى مصر شامية تمطر مطر الشام وتنبت نبات الشام من الكرم والتين والموز وسائر الفاكهة والبقول والرياحين ويقع به الثلج ومنها لوبية ومراقية برابي وجبال وغياض وزيتون وكروم برية بحرية جبلية بلاد أبل وماشيه ونتاج وعسل ولبن وكل كورة من مصر مدينة قال تعالى وابعث فى المدائن حاشرين وفي كل مدينة منها آثار عجيبة من الابنية والصخور والرخام والبرابي وتلك المدن كلها تؤتي في الماء من السفن تحمل المتاع والآلة الى الفسطاط تحمل السفينة الواحدة مايحمله خمسمائة بعير قال الكندي وليس فى الدنيا بلد ياكل أهله صيد البحر طريا غير أهل مصر قال وذكر بعض أهل العلم انه ليس في الدنيا شجرة الا وهي بمصر عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ويوجد بمصر في كل وقت من الزمان من المأكول والمأدوم والمشموم وسائر البقول والخضر وجميع ذلك في الصيف والشتاء لاينقطع منها شيء لبرد ولا لحر وذكر ان بختنصر قال لابنه بلسطان ماأسكنتك مصر الا لهذه الخصال وبلسطان هو الذي بني قصر الشمع وقال بعض من سكن مصر لولا ماء طوبة وخروف أمشير ولبن برمهات وورد برموده ونبق بشنس وتين بؤونة وعسل أبيب وعنب مسرى ورطب توت ورمان بابه وموز هاتور وسمك كيهك ماأقمت بمصر وأخرج ابن عساكر من طريق الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعي رضى الله تعالى عنه يقول ثلاثة أشياء دواء للداء الذي لادواء له الذى أعيا الاطبا ان يداووه العنب ولبن اللقاح وقصب السكر ولولا قصب السكر ماأقمت بمصر وقال بعضهم يجتمع بمصر في وقت واحد مالايجتمع بمدينة

وذلك البنفسج والورد والسوسن والنثور والنرجس وشقائق النعمان والبهار والياسمين والنسرين واللينوفر والنمام والمرزنجوش والريحان والنارنج والليمون والتفاح الشامى والاترج والباقلى الاخضر والعنب والتين والموز واللوز الاخضر والسفرجل والكمثرى والرمان والنبق والقثاء والخيار والطلع والبلح والبسر الرطب واللفت والقنبيط والاسفاناخ والقرع والجزر والباذنجان كل ذلك يجتمع في وقت واحد من السنة وقال بعض من صنف في فضائل مصر بمصر الحمير المرسية والبقر الحسينية والنجب النجارية والغنم النوبية والدجاج الحبشية والمراكب الحربية والسفن الزيبقية والمناسب الحملية والستور البهنساوية والغلائل القصبية والحرم السمطاوية والنعال السندية والسلال الوهبانية والمضارب السلطانية ويحمل الى العراق وغيرها من مصر زيت الفجل والعسل النحل ويفتخر به على اعسال الدنيا ويروى ان النبي صلى الله عليه وسلم بارك فيه لما أهداه المقوقس وبمصر يزرع البلسان ودهنه يستعمل في أكثر العلاج والنفط وهو من آلة الحرب التي بها قهر الاعداء ودهن الخروع وزيت البزر والدهن الصيني وزيت الخردل وزيت الخس ودهن القرطم وزيت السلجم وخشب البلح وهو أصلح من الابنوس اليوناني وفي صعيد مصر خشب الابنوس الابلق وسائر العقاقير التى تدخل في الطب والعلاج وكلما زرع فى أرض مصر ينبت وفيها من نبات الهند والسند مثل الاهليلج والخيارشنبر والتمرهندى وغيره مما لايوجد في بلد من البلاد الاسلامية وبها الشب الواحى وهو أبلغ من اليماني والافيون والشاهترج والصفر والزجاج والجزع الملوّن والصوان وهو حجر لايعمل فيه الحديد وكانت الاوائل تعمده وتقطعه باسوان ومنه العمد الجافية التي لاتكون بسائر الدنيا وكل حمامات مصر بالرخام لكثرته عندهم وكذلك صحون دارهم وبها الحجارة المسماة بالكدان يبلط بها الدور ويعقد بها الدرج وبها من الحصر العبداني ومن سائر أصناف الحصر مالايوجد في غيرها ويجلب من مصر البز الابيض من الدبيقى وغيره الذى يعمل بدمياط وتنيس وبالاسكندرية يعمل الوشى الذي يقوم مقام وشى الكوفة وبالصعيد يعمل من الجلود الانطاع وبالبهنسا الستور التى هي أحسن ستور الارض والبسط واجلة الدواب والبراقع وستور النسوان في المضار والاكسية والطيالسة وكان يعمل باخميم الفرش التي تسمى نطوع الخز وبمصر من أصناف الرقيق ماليس ببلد من البلدان وأصناف الطير الحسن الصورة في صعيدها مثل القمرى والنوبي والنواح والديسى الاحمر والابلق والكروان الذى ليس مثله في بلد ومنها يحمل الطير الى البلدان في الشرق والغرب والاسجع المتخذة من الشهد وعسل الاسطروس واليندة المعمولة من القمح والقند والاباليج والطبرزد وماء طوبة الذى لايعدله شيء ولا يتغير على ممر الايام والسمك الذى هو ملك

الاسماك والبورى الطرى والمملوح والبلاطي الذى كأنه دروع من الفضة وطير الماء وطير الحوصل يعمل من جلده الخفاف الناعمة والفرا الابيض الذي يقوم مقام الفنك في لينه ورقته وبها الكتان ومنها يحمل الي سائر الارض والقراطيس وبها من العلم القديم ماليس ببلد كعلم الطب اليوناني والمساحة والنجوم والحساب القبطى واللحون والشعر الرومى وفيها من سائر الثمار والاشجار والمشمومات والعقاقير والنبات والحشائش مالايحصى والعصفور يفرخ بمصر في كانون وليس ذلك في بلد الابها وقال الكندى بمصر معدن الزمرد وليس في الدنيا زمرد الا معدن بمصر ومنها يحمل الى سائر الدنيا قال وبها معدن الذهب يفوق على كل معدن قال وفيها القراطيس وليس شيء في الدنيا الا بمصر وقال غيره من خصائص مصر القراطيس وهى الطوامير وهي أحسن ما كتب فيه وهو من حشيش أرض مصر ويعمل طوله ثلاثون ذراعا واكثر في عرض شبر وقيل ان يوسف عليه السلام أول من اتخذ القراطيس وكتب فيها قال الكندى وبها من الطرز والقضب التنيسي والشرب والديبقى ماليس بغيرها وبها الثياب الصوف والاكسية المرعز وليس هى في الدنيا الا بمصر ويحكى ان معاوية لما كبر كان لايدفأ فاتفقوا انه لايدفئه الا اكسية تعمل في مصر من صوفها المرعز العسلى غير مصبوغ فعمل له منها عدد فما احتاج منها الا الي واحد وبها طراز البهنسا من الستور والمضارب مايفوق ستور الارض وبها من النتاج العجيب من الخيل والبغال والحمير مايفوق نتاج أهل الدنيا وليس في الدنيا فرس في نهاية الصورة في العنق غير الفرس المصرى وليس في الدنيا فرس لابردف غير المصرى وسبب ذلك قصر ساقيه وبلاغة صدره وقصر ظهره ويحكي ان الوليد عزم على اجراء الحلبة فكتب الى الامصار أن يوجه اليه بخيار خيل كل بلد فلما اجتمعت عرضت عليه فمرت عليه المصرية فلما رآها دقيقة العصب لينة المفاصل والاعطاف قال هذه خيل ما عندها طائل فقال له عمر بن عبد العزيز وأين الخير كله الا لهذه فقال له ماتترك تعصبك لمصر ياأبا حفص فلما أجريت الخيل جاءت المصرية كلها سابقة ماخالطها غيرها قال وبها زيت الفجل ودهن البلسان والافيون والابرميس وشراب العسل والبسر البرني الاحمر واللنج والخس والكبريت والشمع والعسل وخل الخمر والترمس والجلبان والذرة والنيدة والاترج الابلق والفراريج الزبلية وذكر ان مريم عليها السلام شكت الى ربها قلة لبن عيسى فألهمها ان غلت النيدة فأطعمته اياها وذكر بعضهم ان رهبان الشام لايكادون يرون الاعمشاً من اكل العدس ورهبان مصر سالمون من ذلك لاكلهم الجلبان والبقر الذى بمصر أحسن البقر صورة وليس في الدنيا بقر أعظم خلقاً منها حتي ان العضو منها يساوى أكبر ثور من غيرها وبها الحطب الصنط والابنوس الابلق والقرط الذي تعلفه الدواب وذكر انه

يوقد بالحطب الصنط عشرين سنة في الكانون أو التنور فلا يوجد له رماد طول هذه
المدة وحيزتها في وقت الربيع من أحسن مناظر الدنيا وقال صاحب مباهج الفكر يقال ان Burck ii, 54
بمصر سبعمائة وخمسين معدنا توجد بجبل المقطم الذهب والفضة والحمامات والياقوت الا انه
لطيف جدا يستعمل في الاكحال والادوية وفي اسوان يغاص على السنباوج ومعدن التبر
ومعدن الزمرد وليس في الدنيا غيره وبجبال القلزم المتصلة بجبل المقطم حجر المغناطيس ومن
خصائص مصر بركة النطرون وينبت في أرض مصر سائر ماينبت في الارض انتهى وقال
صاحب غرائب العجائب بمصر بئر البلسم بالمطرية يسقى بها شجر البلسان ودهنه عزيز H. H. iv, 306
والخاصية في البئر فان المسيح عليه السلام اغتسل فيها وليس في الدنيا موضع ينبت فيه
البلسان الا هذا الموضع وقد استأذن الملك الكامل أباه العادل أن يزرعه فأذن له
ففعل ولم ينجح ولم يخلص منه دهن فسأل أباه ان يجري له ساقية من المطرية اليه ففعل فلم
ينجح قال وبأرض مصر حجر التقيء اذا أخذه الانسان بيده غلب عليه الغشيان حتى
يتقيأ جميع مافي بطنه فان لم يلقه من يده خيف عليه التلف وقال الكندي جعل الله مصر
متوسطة الدنيا وهي في الاقليم الثالث والرابع فسلمت من حر الاقليم الاول والثاني
ومن برد الاقليم الخامس والسادس فطاب هواها وبقي حرها وضعف حرها وخف
بردها فسلم أهلها من مشاتي الجبال ومصائف عمان وصواعق تهامة ودماميل الجزيرة
وجرب اليمن وطواعين الشام وغلا العراق وعقارب عسكر مكرم وظلب البحرين وحمى
خيبر وأمنوا من غارات الترك وجيوش الروم وطوائف العرب ومكابرة الديلم وسرايا
القرامطة وبثوق الانهار وقحط الامطار وقد اكتنفها معادن رزقها وقرب تصرفها فكثر
خصبها ورغد عيشها ورخص سعرها وقال الجاحظ في مصر ان أهلها يستغنون عن
كل بلد حتى لو ضرب بينهما وبين بلاد الدنيا سور لغني أهلها بما فيها عن سائر
بلاد الدنيا وفيها ماليس بغيرها وهو حيوان السقنقور والنمس ولولاه لأكلت الثعابين
أهلها وهو لها كقنافذ سجستان لافاعيها والسمك الرعاد والحطب الصنط الذي
لو وقد منه يوما أجمع ماوجد من رماده ملء كف صلب العود سريع الوقود بطيء
الخمود ويقال انه الابنوس لكن البقعة قصرت عن الكيان فجاء أحمر شديد الحمرة ودهن
البلسان والافيون وهو عصارة الخشخاش واللنج وهو ثمر في قدر اللوز الاخضر
الا ان المأكول منه الظاهر والاترج الابلق والزمرد وأهلها يأكلون صيد بحر الروم وبحر
فارس طريا وفي كل شهر من شهورها القبطية صنف من المأكول والمشروب والمشموم
يوجد فيه دون غيره فيقال رطب توت ورمان بابه وموز هتور وسمك كيهك وماء طوبة
وخروف امشير ولبن برمهات وورد برموده ونبق بشنس وتين بؤنه وعسل أبيب

وعنب مسرى وان صيفها خريف وشتاها ربيع ومايقطعه الحر في سائر البلاد من الفواكه يوجد فيها في الحر والبرد اذ هي في الاقليم الثالث والاقليم الرابع فسلمت من حر الاول والثاني وبرد الخامس والسادس ويقال لو لم يكن من فضل مصر الا انها تغنى في الصيف عن الخيس والثلج وبطون الارض وفي الشتاء عن الوقود والفراء لكفاها ومما وصفت به ان صعيدها حجازى كحر الحجاز ينبت النخل والدوم وهو شجر المقل والعشر والقرظ والاهليلج والفلفل والخيار شنبر وأسفل أرضها شامى يمطر مطر الشام ويقع فيه الثلوج وينبت التين والزيتون والعنب والجوز واللوز والفستق وسائر الفواكه والبقول الرياحين وهي مابين أربع صفات فضه بيضاء أو مسكة سوداء أو زبرجدة خضراء أو ذهبة صفراء وذلك ان نيلها يطبقها فتصير كأنها فضة بيضاء ثم ينضب عنها فتصير مسكة سوداء ثم تزرع فتصير زبرجدة خضراء ثم تستحصد فتصير ذهبة صفراء وحكى ابن ذولاق في كتابه ان أمير مصر موسى ابن عيسى كان واقفاً بالميدان عند بركة الحبش فالتفت يميناً وشمالا وقال لمن معه من جنده أترون ماأري قالوا لا قالوا وما يرى الامير قال أري عجباً مافى شئ من الدنيا مثله فقالوا يقول الامير فقال ارى ميدان أزهار وحيطان نخل وبستان شجر ومنازل سكني وجباية أموات ونهرا عجاجا وأرض زرع ومراعي ماشية ومرابط خيل وساحل بحر وقانص وحش وصايد سمك وملاح سفينة وحادى ابل ومغاير ورملا وسهلا وجبلا فهذه سبعة عشر مسيرها في أقل من ميل في ميل ولهذا قال أبو الصلت أمية بن عبد العزيز الاندلسي يصف الرصد الذي بظاهر مصر

يانزهة الرصد التى لقد نزهت * عن كل شئ خلا فى جانب الوادى
فذا غدير وذا روض وذا جبل * فالضب والنون والملاح والحادى

وقال ابن فضل الله في المسالك مملكة مصر من أجل ممالك الارض لما حوت من الجهات المعظمة والارض المقدسة والمساجد الثلاثة التي تشد اليها الرحال وقبور الانبياء والطور والنيل والفرات وهما من الجنة وبها معدن الزمرد ولا نظير له في أقطار الارض وحسب مصر فخرا ماتفردت به من هذا المعدن واستمداد ملوك الافاق له منها وبينه وبين قوص ثمانية أيام بالسير المعتدل والبحارة تنزل حوله لاجل القيام بحفره وهو في الجبل الآخذ على شرقي النيل في منقطع من البر لاعمارة عنده ولا قريبا منه والماء عنه مسيرة نصف يوم وهذا المعدن فى صدر مغارة طويلة في حجر أبيض منه يضرب فيستخرج منه الزمرد وهو كالعروق فيه قال وأكثر محاسن مصر مجلوبة اليها حتى بالغ بعضهم فقال ان العناصر الاربعة مجلوبة اليها الماء وهو النيل مجلوب من الجنوب والتراب مجلوب من

حمل الماء والا فهي رمل محض لاينبت والنار لاتوجدبها شجرتها وهو الصوان الا اذا جلب اليها والهواء لايهب اليها الا من أحد البحرين اما الرومي واما الخارج من القلزم اليهاوهى كثيرة الحبوب من القمح والشعير والفول والحمص والعدس والبسلة واللوبيا والدخن والارز وبها الرياحين الكثيرة كالحبق والآس والوردوغيرها وبها الاترج والنارنج والليمون والحماض والكباد والموز الكثير وقصب السكر الكثير والرطب والعنب والتين والرمان والتوت والفرصاد والخوخ واللوز والجميز والنبق والبرقوق والقراصيا والتفاح وأما السفرجل والكمثرا فقليل وكذلك الزيتون مجلوب الا قليلا في الفيوم وبها البطيخ الاصفر أنواع والاخضر والخيار والقثاء على أنواع والقلقاس واللفت والجزر والقنبيط والفجل والبقول المنوعة وبها أنواع الدواب من الخيل والبغال والحمير والبقر والجواميس والغنم والمعز ومما يوصف من دوابها بالجودة الحمر لفراهتها والبقر والغنم لعظمها وبها الاوز والدجاج والحمام ومن الوحش الغزلان والنعام والارنب وأما من أنواع الطير فكثير كالكركي وغيره وأوسط الاسعار في غالب أوقاتها الاردب القمح بخمسة عشر درهما والشعير بعشرة وبقية الحبوب على هذا الانموذج وأما الارز فيبلغ أكثر من ذلك وأما اللحم فأقل سعره الرطل بنصف درهم ويعمل بمصر معامل كالتنانير ويعمل بها البيض بضعة ويوقد بنار يحاكى بها نار الطبيعة في حضانة الدجاجة البيض ويخرج في تلك المعامل الفراريج وهي معظم دجاجهم وبها مايستطاب من الالبان والاجبان وبها العسل بمقدار متوسط بين الكثرة والقلة وأما السكر فكثير جدا وقيمته المعهودة على الغالب من السعر الرطل بدرهم ونصف ومنها يجلب السكر الى كثير من البلاد وقد نسى بها ما كان يذكر من سكر الاهواز وبها الكتان المعدوم المثل المنقول منه ومما يعمل من قماشه الى أقطار الارض ومبانيها بالحجر وأكثرها بالطوب وأفلاق النخل والجريد وخشب الصنوبر مجلوب اليهم من بلاد الروم في البحر ويسمى عندهم النقى وبها المدارس والخوانق والربط والزوايا والعمائر الجليلة الفائقة المعدومة المثيل المفروشة بالرخام المسقوفة بالاخشاب المدهونة الملمعة بالذهب واللازورد قال وحاضرة مصر تشتمل على ثلاث مدن عظام الفسطاط وهو بناء عمرو بن العاصى وهي المسماة عند العامة بمصر العتيقة والقاهرة بناها جوهر القائد لمولاه الخليفة المعز وقلعة الجبل بناها قراقوش للملك الناصر صلاح الدين أبي المظفر يوسف بن أيوب وأول من سكنها أخوه العادل وقد اتصل بعض هذه الثلاثة ببعض بسور بناه قراقوش بها الا انه قد تقطع الآن في بعض الاماكن وهذا السور هو الذى ذكره القاضى الفاضل في كتاب كتبه الى السلطان صلاح الدين فقال والله يحيي الموتى حتي يستدير بالبلدين نطاقه ويمتد عليهما رواقه فهما عقيلة ما كان معصمهما بغير سوار

ولا حضرها ليجلى بلا منطقه تصار قال وبها المارستان المنصورى المعدوم النظير لعظم بنائه وكثرة أوقافه وبها البساتين الحسان والمناظر النزهة والآدار المظلة على البحر وعلى الخلجانات الممتده فيه أوقات مدها وبها القرافة تربة عظمى لمدفن أهلها وبها العمائر الضخمة وهى من أحسن البلاد أبان ربيعها للقدر الممتدة من مقطعات النيل بها ومايحفها من زرع أخرجت شطأها وفتقت أزهارها وبها من محاسن الاشياء ولطائف الصنائع ماتكفى شهرته ومن الاسلحة والقماش والزركش والمصوغ والكسفت وغير ذلك مالايكاد يعد تفردها به والرماح التى لايعمل في الدنيا أحسن منها انتهى كلام ابن فضل الله وقال الكندي في فضل مصر بمصر العجائب والبركات فجبلها المقدس ونيلها المبارك وبها الطور الذى كلم الله عليه موسى فان أهل العلم ذكروا ان الطور من المقطم وانه داخل فيما وقع عليه القدس قال كعب كلم الله موسى عليه السلام من الطور الى أطراف المقطم من القدس وبها الوادى المقدس وبها ألقى موسى عصاه وبها فلق البحر لموسي وبها ولد موسى وهرون وبها ولد عيسى وبها كان ملك يوسف وبها النخلة التى ولدت مريم عيسي تحتها بريف من كورة اهناس وبها اللبخة التي أرضعت عندها مريم عيسى باشمون فخرج من هذه اللبخة الزيت وبها مسجد ابراهيم ومسجد يعقوب ومسجد موسى ومسجد يوسف ومسجد مارية سرية رسول الله صلى الله عليه وسلم بحفن أوصت أن يبني بها مسجد فبني وبها مجمع البحرين وهو البرزخ الذى قال الله مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان وقال وهو الذى مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخا وقال غيره لاهل مصر القلم المعروف بقلم الطير وهو قلم البرابى وهو قلم عجيب الحرف قال ومصر عند الحكماء العالم الصغير سليل العالم الكبير لانه ليس في بلد غنيّ غريب الا وفيها مثله وأغرب منه وتفضل على البلدان بكثرة عجائبها ومن عجائبها النمس وهو أقتل للثعابين بمصر من القنافد للافاعى بسجستان وبمصر جبل يكتب بحجارته كما يكتب بالمداد وجبل يؤخذ منه الحجر فيترك في الزيت فيقد كما يقد السراج ويقال انه ليس على وجه الارض نبت ولاحجر الا وفى مصر مثله وليس تطلب فى سائر الدنيا الاموال المدفونة الا بمصر ويقال ان بمصر بقلة من مسها بيده ثم مس السمك الرعاد لم ترعد يده وبها حجر الخل يطفؤ على الخل وبها حجر القيء اذا أمسكه الانسان بيديه تقيأ كما في بطنه وبها خرزة تجعلها المرأة على حقوها فلاتحبل وبها حجر يوضع على حرف التنور فيتساقط خبزه وكان يوجد بصعيدها حجارة رخوة تكسر فتقد كالمصابيح ومن عجايبها حوض كان بدلالات معدن من حجارة

السبب في كون أهل مصر أذلاء يحملون الضيم

قال محمد بن الربيع الجيزى سمعت يحيي بن عثمان بن صالح يقول قدم سعد بن أبى

وقاص فى خلافة عثمان رسولا من قبل عثمان الى أهل مصر أيام ابن أبي حذيفة فلقوه خارجا من الفسطاط ومنعوه من دخولها فقال لهم فلتسمعوا ماأقول لكم فامتنعوا عليه فدعا عليهم ان يضربهم الله بالذل هذا أو معناه قلت وسعد ممن عرف باجابة الدعوة لان النبي صلي الله عليه وسلم دعا له اللهم استجب له اذا دعاك في تذكرة الصلاح الصفدي كان الشيخ تاج الدين الفزارى يقول ان الحكماء وأهل التجارب ذكروا ان من أقام ببغداد سنة وجد في عامه زيادة ومن أقام بالموصل سنة وجد في عقله زيادة ومن أقام بحلب سنة وجد في نفسه شحاً ومن أقام بدمشق سنة وجد في طباعه غلظة وفظاظة ومن أقام بمصر سنة وجد في أخلاقه رقة وحسناً في مباهج الفكر يروي عن كعب قال لما خلق الله الاشياء قال القتل أنا لاحق بالشام قالت الفتنة وأنا معك وقال الخصب أنا لاحق بمصر فقال الذل وأنا معك وقال الشقاء أنا لاحق بالبادية فقالت الصحة وأنا معك وقال محمد بن حبيب لما خلق الله الخلق خلق معهم عشرة أخلاق الايمان والحياة والنجدة والفتنة والكبر والنفاق والغناء والفقر والذل والشقاء فقال الايمان أنا لاحق باليمن فقال الحياء وأنا معك وقالت النجدة أنا لاحقة بالشام فقالت الفتنة وأنا معك وقال الكبر أنا لاحق بالعراق فقال النفاق وأنا معك وقال الغناء أنا لاحق بمصر فقال الذل وأنا معك وقال الفقر أنا لاحق بالبادية فقال الشقاء وأنا معك وقال غيره ان الله جعل البركة عشرة أجزاء فتسعة منها في قريش وواحد في سائر الناس وجعل الكرم عشرة أجزاء فتسعة منها في العرب وواحد في سائر الناس وجعل الغيرة عشرة أجزاء فتسعة منها في الاكراد وواحد في سائر الناس وجعل المكر عشرة أجزاء فتسعة منها في القبط وواحد فى سائر الناس وجعل الحفاء عشرة أجزاء فتسعة منها في البربر وواحد في سائر الناس وجعل النجابة عشرة أجزاء فتسعة منها في الروم وواحد في سائر الناس وجعل الصناعة عشرة أجزاء فتسعة منها في الصين وواحد في سائر الناس وجعل الشهوة عشرة أجزاء فتسعة منها في النساء وواحد في سائر الناس وجعل العمل عشرة أجزاء فتسعة منها في الانبياء وواحد فى سائر الناس وجعل الحسد عشرة أجزاء فتسعة منها في اليهود وواحد في سائر الناس ويحكي ان الحجاج سأل ابن القرية عن طبائع أهل الارض فقال أهل الحجاز أسرع الناس الى الفتنة وأعجزهم عنها رجالها حفاة ونساؤها عراة وأهل اليمن أهل سمع وطاعة ولزوم الجماعة وأهل عمان عرب استنبطوا وأهل البحرين قبط استعربوا وأهل اليمامة أهل جفاء واختلاف أراء وأهل فارس أهل بأس شديد وعز عتيد وأهل العراق أبحث الناس عن صغيرة وأضيعهم لكبيرة وأهل الجزيرة أشجع فرسان وأقتل للاقران وأهل الشام أطوعهم لمخلوق وأعصاهم لخالق وأهل مصر عبيد لمن غلب أكيس الناس

صغاراً وأجهلهم كباراً وعن ابن القرية قال الهند بحرها در وجبلها ياقوت وشجرها عود وورقها عطر وكرمان ماؤها رشل وثمرها دقل ولصها بطل وخراسان ماؤها جامد وعدوها جاهد وعمان حرها شديد وصيدها عتيد والبحرين كناسة بين المصريين والبصرة ماؤها ملح وحربها صلح مأوى كل تاجر وطريق كل عابر والكوفة ارتفعت عن حر البحرين وسفلت عن برد الشام وواسط جنة بين كماة وكنة والشام عروس بين نساء جلوس ومصر هواها راكد وحرها متزائد تطول الاعمار وتسود الابشار وقال بعضهم يقال في خصائص البلاد في الجواهر فيروزج نيسابور وياقوت سرنديب ولؤلؤ عمان وزبرجد مصر وعقيق اليمن وجزع أظفار وكارى بلخ ومرجان أفريقية وفى ذوات السموم أفاعي سجستان وحيات أصبهان وثعابين مصر وعقارب شهر زور وحوارات الاهواز وبراغيث أرمينية وفار اردن ونمل ميافارقين وذباب تل بابان وأوزاغ بلد وفي الملابس برود اليمن ووشى صنعا وربط الشام وقصب مصر وديباج الروم وقز لسوس وحرير الصين وأكسية فارس وحلى البحرين وسقلاطون بغداد وعمام الايله والري وملحم مرو وشكك أرمينية ومناديل الدامغان وجوارب قذوين وفي المراكيب عتاق البادية ونجائب الحجاز وبراذين طخارستان وحمير مصر وبغال برزعه وفي الامراض طواعين الشام وطحال البحرين ودماميل الجزيرة وحمى خيبر وجنون حمص وعرق اليمن ووباء مصر وبرسام العراق والنار الفارسية وقروح بلخ وقال الجاحظ فى كتاب الامصار الصناعية بالبصرة والفصاحة بالكوفة والتخنيث ببغداد والطرمذة بسمرقند والعى بالري والجفا بنيسابور والحسن بهراة والمروءة ببلخ والبلح بمرو والعجائب بمصر وقال غيره قراطيس سمرقند لاهل المشرق كقراطيس مصر لاهل المغرب وقال القاضى الفاضل أهل مصر على كثرة عددهم وما ينسب من وفور المال الى بلدهم مساكين يعملون في البحر ومجاهيد يدأبون في البر ومن العجائب شجرة العباس في دندار من صعيد مصر وهى شجرة متوسطة وأوراقها قصيرة منبسطة فاذا قال الانسان ياشجرة العباس جال الناس تجتمع أوراقها وتحترق لوقتها

ذكر النيل

قال التيفاشى في كتاب سجع الهذيل لم يسم نهر من الانهار في القرآن سوى النيل في قوله تعالى وأوحينا الى أم موسى أن ارضعيه فاذا خفت عليه فألقيه في اليم قال أجمع المفسرون على ان المراد باليم هنا نيل مصر أخرج أحمد ومسلم عن أبى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال النيل وسيحان وجيحان والفرات من أنهار الجنة قال ابن عبد الحكم حدثنا عبد الله بن صالح حدثنا الليث عن يزيد بن أبي حبيب عن أبي الخير عن

كعب الاحبار انه كان يقول أربعة أنهار من الجنة وضعها الله في الدنيا فالنيل نهر العسل في الجنة والفرات نهر الخمر في الجنة وسيحان نهر الماء في الجنة وجيحان نهر اللبن في الجنة أخرجه الحارث فى مسنده والخطيب في تاريخه وقال حدثنا عثمان ابن صالح حدثنا ابن لهيعة عن واهب بن عبد الله المغافري عن عبد الله بن عمرو ابن العاصى انه قال نيل مصر سسيد الانهار سخر الله له كل نهر بالمشرق والمغرب فاذا أراد الله أن يجرى نيل مصر أمر كل نهر ان يمده فأمدته الانهار بمائها وفجر الله له الارض عيونا فاذا انتهت جريته الى ماأراد الله أوحى الله الى كل ماء ان يرجع الى عنصره أخرجه ابن أبى حاتم في تفسيره وقال حدثنا عثمان بن صالح حدثنا ابن لهيعة عن يزيد بن أبي حبيب ان معاوية بن أبي سفيان سأل كعب الاحبار هل تجد لهذا النيل في كتاب الله خبرا قال أي والذي فلق البحر لموسى اني لاجده فى كتاب الله يوحي اليه في كل عام مرتين يوحى اليه عند جريه ان الله يأمرك ان تجري فيجري ما كتب الله ثم يوحى اليه بعد ذلك يانيل عد حميدا وأخرج الخطيب في تاريخه وابن مردويه فى تفسيره والضياء المقدسى في صفة الجنة عن ابن عباس مرفوعا أنزل الله تعالى من الجنة الى الارض خمسة أنهار سيحون وجيحون ودجلة والفرات والنيل أنزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحى جبريل واستودعها الجبال واجراها فى الارض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكناه في الارض فاذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله جبريل فرفع من الارض القرآن والعلم والحجر من البيت ومقام ابراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الانهار الخمسة فيرفع كل ذلك الى السماء فذلك قوله وانا على ذهاب به لقادرون فاذا رفعت هذه الاشياء من الارض عدم أهلها خيرها وأخرج الحارث بن أبي اسامة في مسنده وابن عبد الحكم في تاريخ مصر والخطيب فى تاريخ بغداد والبيهقي في البعث عن كعب الاحبار قال نهر النيل نهر العسل في الجنة ونهر دجلة نهر اللبن في الجنة ونهر الفرات نهر الخمر في الجنة ونهر سيحان نهر الماء في الجنة وأخرج البيهقى في شعب الايمان عن عبد الله بن عمرو بن العاصى قال غار النيل على عهد فرعون فأتاه أهل مملكته فقالوا أيها الملك أجر لنا النيل قال اني لم أرض عنكم فذهبوا ثم أتوه فقالوا أيها الملك أجر لنا النيل قال انى لم أرض عنكم فذهبوا ثم أتوه فقالوا أيها الملك ماتت البهائم وهلكت الابكار لئن لم تجر لنا النيل لنتخذن الها غيرك قال اخرجوا الى الصعيد فخرجوا فتنحى عنهم حيث لايرونه ولا يسمعون كلامه فألصق خده بالارض وأشار بالسبابة لله ثم قال اللهم انى خرجت اليك مخرج العبد الذليل الى سيده واني أعلم انه لايقدر على اجرائه أحد غيرك فاجره قال فجري النيل جريا لم يجر

قبله مثله فأتاهم فقال انى قد اجريت لكم النيل فخروا له سجدا وعرض له جبريل فقال أيها الملك أعدنى على عبدي قال وماقصته قال عبد لى ملكته على عبيدي وخولته مفاتيحي فعاداني فأحب من عاديت وعادى من أحببت قال بئس العبد عبدك لو كان لى عليه سبيل لغرقته في بحر القلزم فقال ياأيها الملك اكتب لى كتابا فدعا بكتاب ودواة ماجزاء العبد الذى خالف سيده فأحب من عادى وعادى من أحب الا أن يغرق في بحر القلزم قال ياأيها الملك اختمه لي فختمه ثم دفعه اليه فلما كان يوم البحر أتاه جبريل بالكتاب فقال خذ هذا ماحكمت به على نفسك

أثر متصل الاسناد فى أمر النيل

أخبرنى ابو الطيب الانصاري اجازة على الحافظ أبي الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي عن ابي الفتح محمد بن محمد الميدوى اخبرتنا امة الحق شامية بنت الحافظ صدر الدين الحسن محمد بن محمد سماعا أخبرنا أبو حفص عمر بن طبرزد سماعا أخبرنا أبوالقاسم اسمعيل بن أحمد السمرقندي وغيره سماعا قالوا اخبرنا أبو الحسين أحمد بن محمد بن النقور سماعا أخبرنا أبو طاهر محمد بن عبد الرحيم المخلص سماعا أخبرنا عبيد الله بن عبد الرحمن بن عيسي السكري حدثنا أبو اسمعيل محمد بن اسمعيل الترمذي وأبو بكر محمد بن صالح بن عبد الرحمن الحافظ الانماطي قالا حدثنا أبو صالح عبدالله بن صالح بن محمد كاتب الليث قال حدثنى الليث بن سعد قال بلغنى انه كان رجل من بني العيص يقال له حائد بن أبى شالوم بن العيص بن اسحق ابن ابراهيم عليه السلام خرج هاربا من ملك من ملوكهم حتي دخل أرض مصر فأقام بها سنين فلما رأي أعاجيب نيلها وما يأتى به جعل لله تعالى عليه ان لايفارق ساحلها حتى يبلغ منتهاه من حيث يخرج او يموت قبل ذلك فسار عليه قال بعضهم ثلاثين سنة في الناس وثلاثين في غير الناس وقال بعضهم خمسة عشر كذا وخمسة عشر كذا حتي انتهى الى بحر أخضر فنظر الى النيل ينشق مقبلا فصعد على البحر فاذا رجر قائم يصلى تحت شجره من تفاح فلما رآه استأنس به وسلم عليه فسأله الرجل صاحب الشجرة فقال له من أنت قال أنا حائد بن أبى شالوم بن العيص بن اسحق بن ابراهيم عليه السلام فمن أنت قال أنا عمران بن فلان بن العيص بن اسحق بن ابراهيم قال فما الذى جاء بك الى هنا ياعمران قال جاء بي الذى جاء بك حتى انتهيت الى هذا الموضع فأوحي الله الىّ ان أقف في هذا الموضع حتي يأتينى أمره قال له حائد أخبرني ياعمران ماانتهى اليك من أمر هذا النيل وهل بلغك في الكتب ان أحدا من بني آدم يبلغه قال له عمران نعم بلغني ان رجلا من بني العيص يبلغه ولا أظنه غيرك ياحائد قال له حائد ياعمران أخبرني كيف الطريق اليه قال له عمران لست أخبرك بشئ الا ان تجعل لي ماأسألك قال وما ذاك ياعمران قال اذا

رجعت اليّ وأنا حي أقمت عندي حتى يوحي الله تعالى اليّ بأمره أو يتوفاني فتدفنني فان وجدتني ميتاً دفنتني وذهبت قال ذلك لك عليّ قال له سر كما أنت على هـذا البحر فانك تأتي دابة ترى آخرها ولا ترى أولها فلا يهولنك أمرها اركبها فانها دابة معادية للشمس اذا طلعت أهوت اليها لتلتقمها حـتى يحول بينها وبينها حجبتها واذا غربت أهوت اليها لتلتقمها فتذهب بك الى جانب البحر فمر عليها راجماً حتي تنتهي الى النيل فمر عليـه فانك ستبلغ أرضاً من حديد جبالها وأشجارها وسهولها من حديد فان أنت جزتها وقعت في أرض من نحاس جبالها وأشجارها وسهولها من نحاس فان أنت جزتها وقعت في أرض من فضة جبالها وأشجارها وسهولها من فضة فان أنت جزتها وقعت في أرض من ذهب جبالها وأشجارها وسهولها من ذهب فيها ينتهي اليك علم النيل فسار حتي انتهى الى أرض الذهب فسار فيها حتي انتهى الى سور من ذهب وشرفه من ذهب وقبـة من ذهب لها أربعة أبواب فنظر الى مايخدر من فوق ذلك السور حتي يستقر في القبة ثم ينصرف فى الابواب الاربعة فاما ثلاثة فتغيض في الارض وأما واحد فيسير على وجـه الارض وهو النيل فشرب منه واستراح وأهوى الى السور ليصعد فأتاه ملك فقال له ياحائد قف مكانك فقد انتهي اليك علم هذا النيل وهذه الجنة وانمـا ينزل من الجنة فقال أريد أن أنظر الى الجنة فقال انك لن تستطيع دخولها اليوم ياحائد قال فأى شيء هذا الذى أرى قال هذا الفلك الذي تدور فيه الشمس والقمر وهو شبه الرحا قال اني أريد ان اركبه فأدور فيه فقال بعض العلماء انه قد ركبه حتى دار الدنيا وقال بعضهم لم يركبـه فقال له ياحائد انه سيأتيك من الجنة رزق فلا تؤثر عليه شيئاً من الدنيا فانه لاينبغي لشيء من الجنة ان يؤثر عليه شيء من الدنيا ان لم تؤثر عليه شيئاً من الدنيا بقي مابقيت قال فبينا هو كذلك واقف اذ نزل عليه عنقود من عنب فيه ثلاثة أصناف لون كالزبرجد الاخضر ولون كالياقوت الاحمر ولون كاللؤلؤ الابيض ثم قال له ياحائد أما ان هذا من حصرم الجنـة وليس من طيب عنبها فارجع ياحائد فقد انتهي اليك علم النيل فقال هذه الثلاثة التي تغيض في الارض ماهي قال أحدها الفرات والآخر دجلة والآخر جيحان فارجع فرجع حـتي انتهي الى الدابة التي ركبها فركبها فلما أهوت الشمس لتغرب قذفت به من جانب البحر فأقبل حتى انتهى الى عمران فوجده ميتاً فدفنه وأقام على قبره ثلاثا فأقبل شيخ متشبه بالناس أغر من السجود ثم أقبل الى حائد فسلم عليه ثم قال له ياحائد ماانتهى اليك من علم هذا النيل فأخبره فلما أخبره قال له هكذا نجده في الكتب ثم طري ذلك التفاح في عينيه وقال ألا تأكل منه قال مي رزقي قد أعطيته من الجنة ونهيت ان أؤثر عليـه شيئاً من الدنيا قال صدقت ياحائد هل ينبغي لشيء من الجنة ان يؤثر بشيء من الدنيا وهل رأيت في الدنيا

مثل هذا التفاح انما أنبتت له في الارض ليس من الدنيا وانما هذه الشجرة من الجنة أخرجها الله لعمران يأكل منها وما تركها الا لك ولو قد وليت عنها رفعت فلم يزل يطريها في عينيه حتى أخذ منها تفاحة فعضها فلما عضها عض يده ثم قال أتعرفه هو الذى أخرج أباك من الجنة أما انك لو سلمت بهذا الذي كان معك لا كل منه أهل الدنيا قبل ان ينفذ وهو مجهودك ان تبلغه فكان مجهوده أن بلغه وأقبل حائد حتى دخل أرض مصر فاخبرهم بهذا فمات حائد بارض مصر وبهذا الاسناد الى عبد الله بن صالح حدثني ابن لهيعة عن وهب ابن عبد الله المغافرى عن عبد الله بن عمرو في قوله تعالى فأخرجناهم من جنات وعيون وكنوز ومقام كريم قال كانت الجنان بحافتي هذا النيل من أوله الى آخره في الشقين جميعا من اسوان الى رشيد وكان له سبعة خلج خليج الاسكندرية وخليج دمياط وخليج سردوس وخليج منف وخليج الفيوم وخليج المنهي متصلة لاينقطع منها شئ عن شئ ويزرع مابين الجبلين كله من أول مصر الى آخر مايبلغه الماء وكانت جميع مصر كلها يومئذ تروى من ستة عشر ذراعا وبهذا الاسناد الى ابن لهيعة وعن يزيد بن أبي حبيب انه كان على نيل مصر فرضة لحفر خليجها واقامة جسورها وبناء قناطرها وقطع جزائرها مائة الف وعشرون الف فاعل معهم الطور والمساحى والاداة يعتقبون ذلك لايدعون ذلك شتاء ولا صيفا وذكر بعض الاخباريين ان حائدا هذا لم يتنبأ وانه أوتي الحكمة وانه سأل الله أن يريه منتهى النيل فأعطي قوة على ذلك فوصل الى جبل القمر وقصد أن يطلع الى أعلاه فلم يقدر فسأل الله فيسره عليه فصعد فرأى خلفه البحر الزفتي وهو بحر اسود منتن الريح مظلم فراى النيل يجرى في وسطه كانه السبيكة الفضة وقال صاحب مباهج الفكر ذكر ابو الفرج قدامة ان مجموع مافي المعمور من الانهار مائتان وثمانية وعشرون نهراً منها مايجري من المشرق الى المغرب ومنها مايجرى من الشمال الى الجنوب ومنها ماجريانه كنهر النيل من الجنوب الى الشمال ومنها هو مركب من هذه الجهات كالفرات وجيحون فاما النيل فذكر قدامة ان انبعاثه من جبل القمر وراء خط الاستواء من عين تجري منها عشرة أنهار كل خمسة منها يصب الى بطيحة كبيرة في الاقليم الاول ومن هذه البطيحة يخرج نهر النيل وذكر صاحب كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ان هذه البحيرة تسمى بحيرة كورى منسوبة لطائفة من السودان يسكنون حولها متوحشين يأكلون من وقع اليهم من الناس فاذا خرج النيل منها يشق بلاد كورى ثم بلاد نبة طائفة من السودان بين كاتم والنوبة فاذا بلغ دنقلة مدينة النوبة عطف من غربيها الى المغرب وانحدر الى الاقليم الثانى فيكون على شطئه عمارة النوبة وفيه هناك جزائر متسعة عامرة بالمدن والقرى ثم يشرف الى الجنادل واليها

تنتهى مراكب النوبة انحدارا ومراكب الصعيد الاعلى صعودا وهناك أحجار مضرسة لامرور للمراكب عليها الا في أيان زيادة النيل ثم يأخذ الي الشمال فيكون على شرقيه مدينة اسوان من الصعيد الاعلى ثم يمر بين جبلين مكتنفين لاعمال مصر شرقي وغربي الى الفسطاط فاذا تجاوزها مسافة يوم انقسم الي قسمين أحدهما يمر حتى يصب في بحر الروم عند رشيد ويسمي بحر الغرب ومسافة النيل من منبعه الى أن ينصب في رشيد سبعمائة فرسخ وثمانية وأربعون فرسخاً وقيل انه يجري في الخراب أربعة أشهر وفي بلاد السودان شهرين وفى بلاد الاسلام شهرا وليس في الارض نهر يزيد حين تنقص الانهار غيره وذلك أن زيادته تكون في القيظ الشديد في شمس السرطان والاسد والسنبلة وروى ان الانهار تمده بمائها وقال قوم ان زيادته من ثلوج يذيبها الصيف وعلى حسب مدوها تكون كثرته وقلته وذهب آخرون الى أن زيادته بسبب أمطار كثيرة تكون ببلاد الحبشة وذهب آخرون الى أن زيادته عن اختلاف الريح وذلك ان الشمال اذا هبت عاصفة يهيج البحر الرومى فيدفع اليه مافيه منه فيفيض على وجه الارض فاذا هبت الجنوب سكن هيجان البحر فيسترجع منه مادب اليه فينقص وزعم آخرون أن زيادته من عيون على شاطئه يراها من سافر ولحق بأعاليه وقال آخرون ان مجراه من جبال الثلج وهي بجبل قاف وانه يخرق البحر الاخضر ويمر على معادن الذهب والياقوت والزمرد والمرجان فيسير ماشاء الله الى أن يأتي الى بحيرة الزنج قالوا ولولا دخوله في البحر الملح وما يختلط به منه لم يستطع شربه لشدة حلاوته وزيادته بتدريج وترتيب في زمان مخصوص ومدة معلومة وكذا نقصه ومنتهى زيادته التي يحصل بها الرى لارض مصر ستة عشر ذراعا والذراع أربعة وعشرون اصبعاً فان زاد على الستة عشر ذراعا اصبعاً واحدا ازداد في الخراج مائة الف دينار لما يروي من الاراضى العالية والغاية القصوى في الزيادة ثمانية عشر ذراعا هذا فى مقياس مصر فاذا انتهى فيه الي ذلك كان في الصعيد الاعلى اثنين وعشرين ذراعا لارتفاع البقاع التي يمر عليها ويسوق الري اليها فاذا انتهت زيادته فتحت خلجانات وترع فيخرج الماء فيها يميناً وشمالا الى الارض البعيدة عن مجرى النيل حكمة دبرت بالعقول السليمة وقدرت ومنافع مهدت فى الزمن القديم وقررت وللنيل ثمان خلجانات خليج الاسكندرية وخليج دمياط وخليج منف وخليج المنهى حفره يوسف عليه السلام وخليج اشموم طناح وخليج مردوس حفره هامان لفرعون وخليج سخا وخليج حفره عمرو بن العاصى زمن عمر بن الخطاب ويحصل لاهل مصر يوم وفائه الستة عشر ذراعا التي هي قانون الرى سرور شديد بحيث يركب الملك في خواص دولته الحراريق المزينة الى المقياس ويمد فيه سماطاً ويخلق العمود الذى يقاس فيه ويخلع على القياس ويعطيه صلة

مقررة له وقد ذكر بعض المفسرين انه يوم الزينة الذى وعد فرعون موسى بالاجتماع فيه هذا كله كلام مباهج الفكر وقد اختلف في ضبط جبل القمر فقيل انه بفتح القاف والميم بلفظ أحد النيرين قال التيفاشي وانما سمي بذلك لان العين تقمر منه اذا نظرت اليه لشدة بياضه قال ولذلك أيضاً سمي القمر قمرا قال وهذا الجبل مستطيل من المشرق الى المغرب نهايته فى ناحية المغرب الى حد الخراب ونهايته فى المشرق الى مثل ذلك وهو نفسه بجملته في الخراب من ناحية الجنوب وله اعراق فى الهواء منها طوال ومنها دونها قال في مختصر المسالك وذكر بعضهم ان اناساً انتهوا الى هذا الجبل وصعدوه فرأوا وراءه بحرا عجاجا ماؤه أسود كالليل يشقه نهر ابيض كالنهار يدخل الجبل من جنوبه ويخرج من شماله ويتشعب على قبة هرمس المبنية هناك وزعموا ان هرمس الهرامسة وهو ادريس عليه السلام فيما يقال بلغ ذلك الموضع وبنى فيه قبة وذكر بعضهم ان أناساً صعدوا الجبل فصار الواحد منهم يضحك ويصفق بيديه والقى نفسه الى ماوراء الجبل فخاف البقية ان يصيبهم مثل ذلك فرجعوا وقيل ان أولئك انما رأوا حجر الباهت وهى أحجار براقة كالفضة البيضاء تتلألأ كل من نظرها ضحك والتصق بها حتى يموت وتسمى مغناطيس الناس وذكر بعضهم أن ملكا من ملوك مصر الاول جهز أناساً للوقوف على أول النيل فانتهوا الى جبال من نحاس فلما طلعت عليها الشمس انعكست عليهم الاشعة الواقعة عليها فاحرقتهم وقيل انهم انتهوا الى جبال براقة لماعة كالبلور فلما انعكست عليهم أشعة الشمس الواقعة عليهم أحرقتهم وقال صاحب مرآة الزمان ذكر أحمد بن نجتيار ان العين التى هي أصل النيل هى أول العيون من جبل القمر ثم نبعت منها عشرة أنهار نيل مصر أحدها قال والنيل يقطع الاقليم الاول ثم يجاوزه الى الثاني ومن ابتدائه من جبل القمر الى انتهائه الى البحر الرومى ثلاثة آلاف فرسخ ويبتدى بالزيادة في نصف حزيران وينتهى الى ايلول قال واختلفوا في سبب زيادته فقال قوم لايعلم ذلك الا الله وقال آخرون سببه زيادة عيونه وقال آخرون وهو الظاهر سببه كثرة المطر والسيول ببلاد الحبش والنوبة وانما يتأخر وصوله الى الصيف لبعد المسافة ورد ذلك قوم بان عيونه التي تحت جبل القمر تتكدر فى أيام زيادته فدل على انه فعل الله من غير زيادة بالمطر قال وجميع الانهار تجري الى القبلة سواه فانه يجرى الي ناحية الشمال وكان القاضى بحماه قال ومتى بلغ ستة عشر ذراعا استحق السلطان الخراج واذا بلغ ثمانية عشر ذراعا قالوا يحدث بمصر وباء عظيم واذا بلغ عشرين ذراعا مات ملك مصر وقال ابن المتوج من عجائب مصر النيل الذي يأتي من غامض علم الله في زمن القيظ فيعم البلاد سهلا ووعرا يبعث الله في أيام مدده الريح الشمال فيصد له البحر المالح ويصير له كالجسر ويزيد واذا بلغ الحد الذي هو تمام الرى وأوان الزراعة

بعث الله بالريح الجنوب فكنسته وأخرجته الى البحر الملح وانتفع الناس بالزراعة ومن عجائب هذا النيل سمكة تسمي الرعاد من مسها بيده أو بعود متصل بيده أو جذب شبكة هي فيها أو قصبة أو سنارة وقعت فيها رعدت يده مادامت فيها وبمصر بقلة من مسها بيده ثم مس الرعاد لم ترعد وفي النيل خيل تظهر في بلد النوبة ويصيدونها وفي سن من أسنانها شفاء من وجع المعدة وقال التيفاشي سبب زيادة النيل هبوب ريح يسمى المثن وذلك لسببين أحدهما انها تحمل السحاب المماطر خلف خط الاستواء فتمطر ببلاد السودان والحبشة والنوبة والآخر أنها تأتي في وجه البحر الملح فيقف ماؤه في وجه النيل فيتراجع حتى يروى البلاد وفي ذلك يقول الشاعر

اشفع فللشافع أعلا يد * عندي وأسني من يد المحسن
والنيل ذو فضل ولكنه * الشكر في ذلك للمثن

وقال صاحب سجع الهدير ذكر جماعة من المنجمين وأرباب الهيئة ان النيل يجيء من خلف خط الاستواء باحدى عشر درجة ونصف ويأخذ نحو الجنوب الى ان ينتهى الى دمياط والاسكندرية وغيرهما عند عرض ثلاثين في الشمال قالوا فمن بدايته الى نهايته اثنان وأربعون ومائة درجة كل درجة ستون ميلا وثلث بالتقريب فيكون طوله من الموضع الذى يبتدئ منه الى الموضع الذى منه الى البحر الملح ثمانية ألف ميل وستمائة وأربعة عشر ميلا وثلثا ميل على القصد والاستواء وله تعريجات شرقا وغربا يطول بها ويزيد على ماذكرناه ونقلت من خط الشيخ عز الدين بن جماعة من كتاب له في الطب قال منبع النيل من جبل القمر وراء خط الاستواء باحدى عشرة درجة ونصف وامتداد هذا الجبل خمس عشرة درجة وعشرين دقيقة يخرج منه عشرة أنهار من أعين فيه ترمى كل خمسة الي بحيرة عظيمة مدورة بعد مركزها عن أول العمارة بالمغرب سبع وخمسون درجة والبعد عن خط الاستواء في الجنوب سبع درج واحدى وثلاثين دقيقة وهاتان البحيرتان متساويتان وقطر كل واحدة خمس درج ويخرج من كل واحدة أربعة أنهار ترمى الى بحيرة صغيرة مدورة في الاقليم الاول بعد مركزها عن أول العمارة بالمغرب ثلاثة وخمسون درجة وثلاثون دقيقة وعن خط الاستواء من الشمال درجتان من الاقليم الاول وقطرها درجتان ومصب كل واحد من الانهار الثمانية في هذه البحيرة غير مصب الآخر ثم يخرج من هذه البحيرة نهر واحد وهو نيل مصر ويمر ببلاد النوبة ويصب اليه نهر آخر ابتداؤه من غير مركزها على خط الاستواء فى بحيرة كبيرة مستديرة قطرها ثلاثة درج وبعد مركزها عن أول العمارة بالمغرب احدى وسبعون درجة فاذا تعدى النيل مدينة مصر الي مدينة يقال لها شطنوف تفرق هناك الى نهرين يرميان الى البحر المالح أحدهما

يعرف بحر رشيد والآخر بحر دمياط وهذا البحر اذا وصل الى المنصورة تفرع منه نهر يعرف بحر اشمون يرمى الى بحيرة هناك وباقيه يرمى الى البحر المالح عند دمياط وهذه صورة ذلك

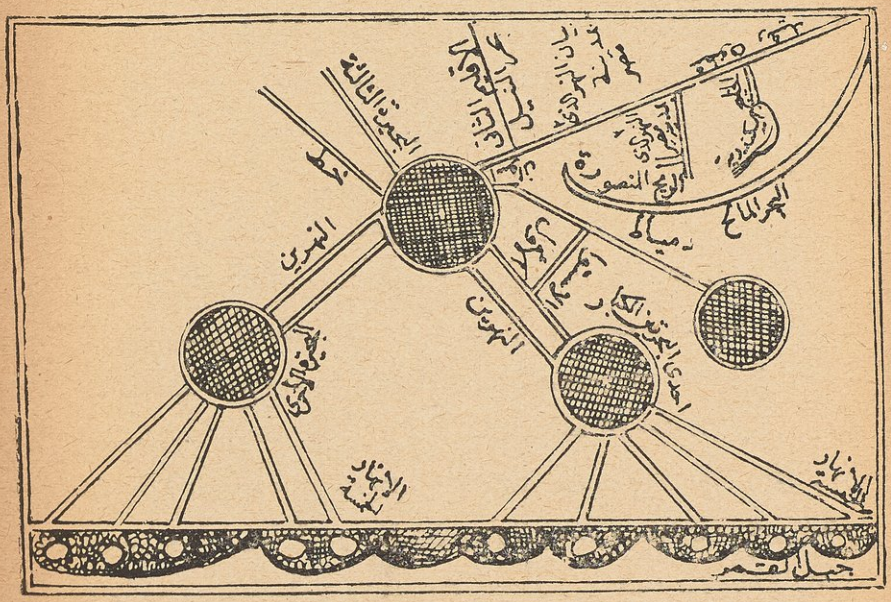

وذكر الجاحظ فى كتاب الامصار ان مخرج نهر السند والنيل من موضع واحد واستدل على ذلك باتفاق زيادتهما وكون التمساح فيهما وان سبيل زراعتهم في البلدين واحد وقال المسبحي فى تاريخ مصر في بلاد تكنة أمة من السودان أرضهم تنبت الذهب يفترق النيل فيصير نهرين أحدهما أبيض وهو نيل مصر والآخر أخضر يأخذ الى المشرق فيقطع البحر الملح الى بلاد السند وهو نهر ميران قال ابن عبد الحكم حدثنا عثمان بن صالح عن ابن لهيعة عن قيس بن الحجاج عمن حدثه قال لما فتح عمرو بن العاصى مصر أتى أهلها اليه حين دخل بؤنة من أشهر العجم فقالوا له أيها الاميران لنيلنا هذا سنة لايجرى الا بها فقال لهم وما ذاك قالوا اذا كان لثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا الى جارية بكر بين أبويها فارضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل مايكون ثم ألقيناها في هذا النيل فقال لهم عمرو ان هذا لايكون في الاسلام وان الاسلام يهدم ماقبله فأقاموا بؤنة وأبيب ومسرى لايجرى قليلا ولا كثيرا حتى هموا بالجلاء فلما رأى ذلك عمرو كتب الى عمر بن الخطاب بذلك فكتب اليه عمر قد أصبت ان الاسلام يهدم ماكان قبله وقد بعثت اليك بطاقة فالقها فى داخل النيل اذا أتاك كتابي فلما قدم الكتاب على عمرو فتح البطاقة فاذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين الى نيل مصر

(أما بعد) فان كنت تجرى من قبلك فلا تجر وان كان الواحد القهار يجريك فنسأل الله الواحد القهار أن يجريك فالقى عمرو البطاقة فى النيل قبل يوم الصليب بيوم وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها لانه لايقوم بمصلحتهم فيها الا النيل فأصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله ستة عشر ذراعا وقد زالت تلك السنة السوء عن أهل مصر حدثنا عثمان ابن صالح حدثنا ابن لهيعة عن يزيد ابن أبي حبيب ان موسى عليه السلام دعا على آل فرعون فحبس الله عنهم النيل حتى أرادوا الجلاء حتي طلبوا الي موسى ان يدعو الله رجاء أن يؤمنوا فدعا الله فأصبحوا وقد أجراه الله في تلك الليلة ستة عشر ذراعا فاستجاب الله بتطوله لعمر بن الخطاب كما استجاب لنبيه موسى عليه السلام

ذكر مزايا النيل

قال التيفاشي اتفق العلماء على ان النيل أشرف الانهار في الارض لاسباب منها عموم نفعه فانه لايعلم نهر من الانهار في جميع الارض المعمورة يسقى مايسقيه النيل ومنها الاكتفاء بسقيه فانه يزرع عليه بعد نضوبه ثم لايسعى الزرع حتى يبلغ منتهاه ولا يعلم ذلك في نهر سواه ومنها ان ماءه اصح المياه واعدلها واعذبها وأفضلها ومنها مخالفته لجميع انهار الارض في خصال هى منافع فيه ومضار في غيره ومنها انه يزيد عند نقص سائر المياه وينقص عند زيادتها وذلك اوان الحاجة اليه ومنها انه يأتي أرض مصر فى اوان اشتداد القيظ والحر ويبس الهواء وجفاف الارض فيبل الارض ويرطب الهواء ويعدل الفصل تعديلا زائداً ومنها أن كل نهر من الانهار العظام وان كان فيه منافع فلا بد أن يتبعها مضار في أوان طغيانه بافساد مايليه ونقص مايجاوره والنيل موزون على ديار مصر بوزن معلوم وتقدير مرسوم لايزيد عليه ولا يخرج عن حده ذلك تقدير العزيز العليم ومنها أن المعهود في سائر الانهار ان يأتى من جهة المشرق الى المغرب وهو يأتي من جهة المغرب الى الشمال فيكون فعل الشمس فيه دائماً وأثرها في اصلاحه متصلا ملازما وفي ذلك يقول الشاعر

مصر ومصر ماؤها عجيب * ونهرها يجرى به الجنوب

ومنها أن كل الانهار يوقف على منبعه وأصله والنيل لايوقف له على أصل منبع وليس في الدنيا نهر يصب في بحر الصين والروم غيره وليس في الدنيا نهر يزيد ثم يقف ثم ينقص ثم ينضب على الترتيب والتدريج غيره وليس في الدنيا نهر يزرع عليه مايزرع على النيل ولا يجيء من خراج غلة زرعه مايجيء من خراج غلة زرع النيل وقال صاحب مباهج الفكر النيل أخف المياه وأحلاها وأرواها وأمراها وأعمها نفعاً وأكثرها خراجا ويحكى أنه جبي في أيام كنعاوس أحد ملوك القبط الاول مائة الف الف وثلاثون الف دينار

وجباه عزيز مصر مائة الف الف دينار وجباه عمرو بن العاص اثني عشر الف الف دينار وجباه عبدالله بن أبي سرح أربعة عشر الف الف دينار ثم رذل الى أن جبي أيام جوهر القائد ثلاثة آلاف الف ومائتي الف دينار وسبب تقهقره أن الملوك لم تسمح نفوسهم بما كان ينفق في الرجال الموكلين لحفر خلجه واصلاح جسوره ورم قناطره وسد ترعه وقطع القضب وازالة الحلفاء وكانوا مائة الف وعشرين الف رجل مرتبين على كور مصر سبعين الفاً للصعيد وخمسين الفاً لاسفل الارض ويحكى أنها مسحت أيام هشام بن عبدالملك فكان ما ركبه الماء مائة الف الف فدان والفدان أربعمائة قصبة والقصبة عشرة أذرع وأما أحمد بن المدبر عانه اعتبر مايصلح للزرع بمصر في وقت ولايته فوجده أربعة وعشرين الف الف فداناً والباقي قد استبحر وتلف واعتبر مدة الحرث فوجدها ستين يوما والحراث الواحد يحرث خمسين فداناً فكانت محتاجة الى أربعمائة ألف وأربعين الف حراثاً وقال صاحب مرآة الزمان ذكر أحمد بن نجتيار أن في النيل عجائب منها التمساح ولا يوجد الا فيه ويسمى في مصر التمساح وفي بلاد النوبة الورل ووراء النوبة الشوشار قال والتمساح لادبر له وما يأكله يتكون في بطنه دودا فاذا آذاه خرج الى البرية فينقض عليه طائر فيأكل مابين أسنانه وما يظهر من الدود وربما يطبق عليه التمساح فيبلعه وذكر بن حوقل أن بنيل مصر أماكن لايضر التمساح فيها كعدوة بوصير والفسطاط قال وفي النيل السقنقور ويكون عند أسوان وفي حدودها وقيل انه من نسل التمساح اذا وضعه خارج الماء فما قصد الماء صار تمساحا وما قصد البر صار سقنقورا وله قضيبان كالضب وفيه السمك الرعاد اذا وقع في شبكة الصياد لايزال ترتعد يداه ورجلاه حتى يلقيها أو يموت وهي نحو الذراع وفيه سمكة على صورة الفرس والمكان الذي يكون فيه لايقربه التمساح وفيه شيخ البحر سمكة على صورة آدمي وله لحية طويلة ويكون بناحية دمياط وهو مشؤم فاذا رأى في مكان دل على القحط والموت والفتن ويقال ان دمياط ماتنكب حتى يظهر عندها

ذكر ماقيل في النيل من الاشعار

قال التيفاشي قد ذكرت العرب النيل في أشعارها وضربت به الامثال قال قيس بن معدى كرب فيما أورده الجاحظ في كتاب الامصار

ما النيل أصبح زاخراً بمدوده * وجرت له ريح الصبا فجرى بها

قال بعضهم

واهاً لهذا النيل أي عجيبة * بكر بمثل حديثها لايسمع
يلقى الثري في العام وهو مسلم * حتى اذا مامل عاد بودع

بتنقل مثل الهلال فدهره * أبداً يزيد كما يريد ويرجع

ظافر الحداد

والنيل مثل غمامة * شرب محشاه بأخضر

والجسر فيها كالطر * از وموجه رقم مصور

تفكريكه مادرجت * ه له الرياح من التسكر

وقال يصف افتراقه عند رأس الروضة

لله يوم أناله النيل * لحسنه جملة وتفصيل

في منظر مشرف على خضر * كأنه في الظلام قنديل

يبدى لنا جانبا جزيرته * أشياءها للعين تأميل

ورقه جسره وتفريكه المو * ج وفي نكتة الخليج تجميل

ابن الساعاتي

ولما توسطنا على النيل غدوة * طننت وقلت اليوم بالله ملآن

عشارية أنشا لها الماء مقلة * وليس لها الا المجازيف أجفان

محيي الدين بن عبد الظاهر

نيل مصر لمن تأمل مرأى * حسنه معجز وبالحسن معجب

كم به شاب فودها وعجيب * كيف شابت بالنيل والنيل يخضب

وقال

كم قطع الطرق نيل مصر * حتي لقد خافه السبيل

بالسيف والرمح من غدير * ومن قناة لها نصول

ابن نباته

زادت أصابع نيلنا * وطفت وطافت في البلاد

وأتت بكل مسرة * ماذى أصابع ذى أيادى

النصير الحمامى

ان عجل النيروز قبل الوفا * عجل للعالم صفع القفا

فقد كفى من دمعهم ماجرى * وما جرى من نيلهم ما كفى

ناصر الدين حسن بن النقيب

كأن النيل ذو فهم ولب * لما يبدو لعين الناس منه

فيأتى عند حاجتهم اليه * ويمضى حين يستغنون عنه

آخر

النيـل قال وقوله * اذ قال ملء مسامعي
في غيظ من طلب العلا * عم البـلاد منـافعي
وعيونهم بعد الوفا * قلعتها بأصـابعي

شمس الدين بن دانيال الحكيم

كأنما النيـل الخضم اذ بدا * يروى حديثا وهو ذو تسلسل
لما رأى الارض بهـا شقيقه * ضمخها بمائه المصـندل

آخر

يانيل اجر على حسن العوائد فى * أرجاء مصر واجبر كل مرتزق
واعلم بانك مصرى فلست ترى * خـلو الفكاهة مالم تأت بالملق

خليل بن الكفتي

مولاى ان البحـر لما زرته * حياك وهو أخوا لوفا بالاصبع
فانظر لبسطته فرؤيتـك التي * هي مشتهاه وروضـة المتمتع
أرخى عليـه السـتر لما جئته * خجلا ومـد تضرعا بالاذرع

آخر

سد الخليج بكسره جبر الورى * طرا فكل قد غـدا مسرورا
المـاء سلطان فكيف تواترت * عنـه البشائر اذ غدا مكسورا

شمس الدين سبط الملك الحافظ

لله در الخليج ان له * تفضلا لانزال نشكره
حسبك منه بأن عادته * يجبر من لايزال يكسره

الصلاح الصفدى

رأيت في أرض مصر مذ حللت بها * عجائباً مارآها الناس في جيـل
تسود فى عيـنى الدنيـا فلم أرها * تبيض الااذا ما كنت في النيل

وقال

ركبت في النيل يوما مع أخي أدب * فقال دعني من قال ومن قيل
شرحت يابحر صدرى اليوم قلت له * لاتنكر الشرح يانحوي للنيـل

وقال

قالوا علا نيل مصر في زيادته * حتي لقد بلغ الاهرام حين طما
فقلت هـذا عجيب في بـلادكم * ان ابن ستة عشر يبلغ الهرما

وقال

قد زاد هذا النيل في عامنا * فأغرق الارض بانعامه
وكاد أن يعطف من مائه * عرى على أزرار أهرامه

تميم بن المعز العبيدى

يوم لنا بالنيل مختصر * ولكل يوم لذاذة قصر
والسفن تجرى كالخيول بنا * صعداً وجيش الماء منحدر
فكأنما أمواجه عكن * وكأنما داراته سرر

آخر

مد نيل الفسطاط فالبر بحر * زاخر فيه كل سفن تعوم
فكأن الارضين منه سماء * وكان الضياع فيها نجوم

ظافر

ولله مجرى النيل فيها اذا الصبا * أرتنا به في سيرها عسكرا مجرى
فشط يهز السمهرية ذبلا * ونهر يهز البيض هندية بترا
اذا مد حاكي الورد غضاوان صفا * حكى ماؤه لونا ولم يعده بسرا

ايدمر التركى

كيماء النيل خالصة * قد أتتنا منه بالعجب
كان من ذوب اللجين فقد * عاد بالتدبير من ذهب
راقص بالحسن مبتهج * فهو في عجب وفى طرب
ومغاني مصر تسمعه * نغمة الشادى بلا صخب
ونسيم الريح لاعبة * في خلال الروض بالقضب

ابراهيم بن عبدون الكاتب

والنيل بين الجانبين كأنما * صبت بصفحته صفيحة صيقل
يأتيك من كدر الزواجر مده * بمسك من مائه ومصندل
فكأن ضوء البدر في تمويجه * برق يموج فى سحاب مسبل
وكأن نور السرج من جنباته * زهر الكواكب تحت ليل أليل
مثل الرياض مصنفاً أنوارها * يبدو لعين مشبه وممثل

آخر

أرى أبداً كثيرا من قليل * وبدرا في الحقيقة من هلال
فلا تعجب فكل خليج ماء * بمصر مشبه بخليج مال
زيادة أصبع في كل مد * زيادة أذرع في كل حال

الامير تميم بن المعز

أنظر الى النيل في مده * بموج يزيد ولا ينقص
كأن معاطف أمواجه * معاطف جارية ترقص

ايدمر التركى

انظر الى النيل السعيد المقبل * والماء في أنهاره كالسلسل
أضحي يريك الحسن بين مورد * من لونه حيناً وبين مصندل
ويمر في قيد الرياح مسلسلا * ياحسنه من مطلق ومسلسل
وتري زوارقه على امواجه * منسوبة للناظر المتأمل
مثل العقارب فوق حيات غدت * يسعى بها في عدوها مايأتلى
وكأنما أسماكه من فضة * من جمد ذائب مائه من أول

بعضهم

أتطلب من زمانك ذا وفاء * وتأمل ذاك جهلا من بنيه
لقد عدم الوفاء به وانى * لأعجب من وفاء النيل فيه

ومن كلام القاضى الفاضل في وصف النيل المصرى الذى يكسو الفضاء ثوبا فضياً ويدلى من الارض ماؤه سراجا من النور مضيأ ويتدافع بياره واقفاً في صدر الجذب بيد الحصب ويرضع أمهات خلجه المزراع فيأتى أبناؤها بالعصف والاب وقال فيه أيضاً وأما النيل فقد امتدت أصابعه وتكسرت بالموج أضالعه ولا يعرف الآن قاطع طريق سواه ولا من يرجى ويخاف الا إياه وقال أيضاً وأما النيل المبارك فقد ملأ البقاع وانتقل من الاصبع الى الذراع فكأنما غار على الارض فغطاها وأغار عليها فاستقعد وما تخطاها ومن كتاب السجع الجليل فيما جرى من النيل وأما البحر الذي بني عليه عنوان هذه العبودية فلا تسأل عما جري منه وما نقلت الرواة من العجائب عنه وذلك انه عم في أول قدومه بالنفع البلاد وساوى بين بطون الاودية وظهورها الوهاد وقدم المفرد مبشرا بوفائه في جمع لا نظير له فى الآحاد واحرت على من طلب الغلاء عيونه وتكفل للمعسر بأن يوفي بعد وفائه ديونه ونزل السعر حين أخذ منه طالع الارتفاع وأحدق بالقري فاصبح كانه سماوات كواكبها الضياع فلم يكن بعد ذلك الا كلمح البصر أو هو أقرب حتي عسل في شوارع مصر كما عسل الطريق الثعلب وجاس خلال ديارها فأصبح على ذرائعها المبثوثة بسطه وأحاط بالمقياس احاطة الدائره بالنقطة ثم علت امواجه واشتد اضطرابه وكاد يمتزج بنهر المجرة الذى الغمام زبده والنجوم حبابه

وشرق حتي ليس للمشرق مشرق * وغرب حتى ليس للغرب مغرب

الى أن قال امادير الطين فقد لبس سقوف حيطانه واقتلع اشجار غيطانه وأتي على مافيه من حاصل وغلة وتركه ملقة فكان كما قيل زاد الطين بله واما الجيزة فقد طغى الماء على قناطرها وتجسر ووقع بها القصب من قامته حين علا عليه الماء وتكسر فأصبح بعد اخضرار بزته شاحب الاهاب ناصل الخضاب غارقا في قعر بحر لجى يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب وقطع زاويتها على من بها من المنقطعين والفقراء وترك الطالح كالصالح يمشى على الماء فتنادوا مصبحين ألا يدخلنها اليوم عليكم مسكين وأدركهم الغرق فأيسوا من الخلاص وغشيهم من اليم ماغشيهم فنادوا ولات حين مناص وخر عليهم السقف من فوقهم فانهدت قواهم واستغاثوا من كثرة الماء بالذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم وأما الروضة فقد أحاط بها احاطة الكمام بزهرة والكاس بحباب خمره

فكأنها فيه بساط أخضر * وكأنه فيها طراز مذهب

فكم بها من متهم ومنجد ومسافر مما حصل له من المقيم المقعد وحائك اصبح حول نوله ينير وجعل من غزله بل من غيظه على اجيره يحمل ويسير ومنجم وصل الماء من منزله الى العتبة الخارجة فأصبح في أنحس تقويم ودخل الى بيت أمراضه فنظر نظرة فى النجوم فقال اني سقيم فأصبح في الطريق وعليه كآبة وصفره ودموعه في المحاجر كالحصي لها اجتماع وحمره وشاعر أوقمه في الضرورة بحر من المديد واشتغل بهدم داره عن بيت القصيد وعروضي ضاقت عليه الدائره فقال هذه الفاصله وقلع من عروض بيته وتدا أزعج بقلعه مفاصله ونحوي اشتغل عن زيد وعمرو ببل كتبه وذهل حين استوى الماء والخشبة عن المفعول معه والمفعول به وطار عقله لاسيما عن تصانيف ابن عصفور واخبر أن البحر وأناث بيته جار ومجرور وأما الجزيرة الوسطى فقد افسد جل ثمارها وأتي على مقاثيها فلم يدع شيئاً من رديها وخيارها وألحق موجودها بالمعدوم وتلا على التكروري سنسمه على الخرطوم وأخلق ديباج روضها الانف وترك قلقاسها بمده وجزره علي شفاجرف واما المنشاة فقد اصبحت للهجر مقره بعد ان كانت للعيون قره وقيل لمنشيها انى يحيي هذه الله بعد موتها فقال يحيها الذي انشأها اول مرة ومال على مافيها من شون الغلات كل الميل وتركها تتلو بفمها الذي شقتاه مصراعى الباب ياأبانا منع منا الكيل وأما بولاق فقد أصبحت صعيد ازلقا من الملق وقامت قيامة المار بها حين التفت الساق بالساق من الزلق فكم اقتلع بها شجرة لبث رؤسها وترك ساقية تنوح علي اختها التي أصبحت خاوية على عروشها وأما الخليج الحاكمى فقد خرج عسكر موجه بعد الكسر على حميه ومرق من قسى قناطره كالسهم من الرميه وتواضع حين قبل بحارة زويلة

اعتاب غرفها العاليه وترك السقايين في حالة العجز عن وصفها صرعي الدلاء وحماد الراويه فأصبحوا من الكساد وقد سئموا الاقامة قائلين فى شوارع مصر يا الله السلامة

﴿ ذكر البشارة بوفاء النيل ﴾

جرت العادة كل سنة اذا أوفي النيل ان يرسل السلطان بشيرا بذلك الى البلاد لتطمئن قلوب العباد وهذه عادة قديمة ولم يزل كتاب الانشاء ينشئون في ذلك الوسائل البليغة فمن انشاء القاضى الفاضل في وفاءِ النيل عن السلطان صلاح الدين بن أيوب نعم الله سبحانه وتعالى من أضوائها بزوغا وأخفاها سبوغا وأصفاها ينبوعا وأسناها منفوعا وأمدها بحر مواهب وأحتمها حسن عواقب النعمة بالنيل المصرى الذى يبسط الآمال ويقبضها مده وجزره ويرمى النبات حجره ويحيي مطلعه الحيوان ويجني ثمرات الارض صنوان وغير صنوان وينشر مطوي حريرها وينشر موتها * ويوضح معنى قوله تعالى وبارك فيها وقدر فيها أقواتها * وكان وفاء النيل المبارك تاريخ كذا فأسفر وجه الارض وان كان تنقب وأمن يوم بشراه من كان خائفاً يترقب . ورأينا الابانة عن لطائف الله التى خفقت الظنون . ووفت بالرزق المضمون . ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون . وقد أعلمناك لتستوفي حقه من الاذاعه . وتبعده من الاضاعة وتتصرف على مانصرفك من الطاعه . وتشهر ماأورده البشير من البشرى بابانته . وتمده بايصال رسمه مهنا على عادته (وكتب القاضي محيي الدين) عبد الله بن عبد الظاهر عن السلطان الى نائب السلطنة بحلب بشارة بوفاء النيل (أعز الله) أنصار المقر وسره بكل مبهجه وهناه بكل مقدمة سرور تفد ولاخصب والبركة منتجه . وبكل نعمي لاتصبح لمنة السحاب محوجه وبكل رحمى لايستعد لايامها البارده . ولا لياليها المثلجه . هذه المكاتبة تفهمه ان نعم الله وان كانت متعدده . ومنحه وان غدت بالبركات مترددة . ومنته وان أصبحت الى القلوب متوددة . فان أشملها وأكملها وأجلها وأفضلها وأجزلها وأنهلها وأتمها وأعمها وأضمها والمها نعمة أجزأت المن والمنح . وأنزلت في أبرك سفح المقطم أغزر سفح وأتت بما يعجب الزراع ويعجل الهراع ويعجز البرق اللماع ويغل القطاع ويغل الأقطاع . وتنبعث أفواهه وأفواجه . ويمد خطاها أمواهه وأمواجه . ويسبق وفد الريح من حيث ينبري . ويغبط مريخه الاحمر القمر لان بيته السرطان كما يغبط الحوت لانه بيت المشترى ويأتي عجبه في الغد بأكثر من اليوم وفي اليوم بأكثر من الامس * ويركب الطريق مجداً فان ظهر بوجهه حمرة فهي مايعرض للمسافر من حر الشمس . ولو لم تكن شفته طويلة لما قيست بالذراع . ولولا أن مقياسه أشرف البقاع . لما اعتبر ماتأخر من ماءحوله الماضى بقاع . بيناً يكون في الباب اذا هو فى الطاق . وبيناً يكون في الاحتراق اذا هو

في الاختراق للاغراق ـ وبيناً يكون في المجاري . اذا هو في السواري . وبيناً يكون في الحباب اذا هو في الحبال . وبيناً يقال لزيادته هذه الامواه اذ يقال لغلاته هذه الاموال . وبيناً يكون ماء اذ أصبح حبراً . وبيناً هو يكسب تجارة قد أكسب بحراً . وبيناً يفسد عراه قد أتى بعرار جسور على الجسور جيشه الكرار . وكم أمست التراع منه تراع والبحار منه تحار . كم حسنت مقطعاته على مر الجديدين . وكم أعانت مرار مقياسه على الغرو من بلاد سيس على العمودين . أتم الله لطفه في الاتيان به على التدريج . وأجراه بالرحمة الى نقص العيون بالتفرج والقلب بالتفريج . فأقبل جيشه بمواكبه . وجاء يطاعن الجذب بالصواري من مراكبه . ويصافف لجاجة الجسور في بيداء لجبه . ويثاقف القحط بالتراس من بركه والسيوف من خلجه . ولما تكامل ايابه وصح في ديوان الفلاح والفلاحة حسابه . وأظهر ماعنده من ذخائر التيسير وودائعه . ولغط عموده حمل ذلك على أصابعه . وكانت الستة عشر ذراعا تسمى ماء السلطان نزلنا وحضرنا مجلس الوفاء المعقود . واستوفينا شكر الله تعالى بفيض ماهو من زيادته محسوب ومن صدقاتنا مخرع ومن القحط مردود . ووقع تياره بين أيدينا سطورا يفوق . وعلمت يدنا الشريفة بالخلوق . وحمدنا السير كما حمد لنا السرى . وصرفناه في القرى للقري . ولم نحضره في العام الماضى فعملنا له من الشكر شكراناً وعمل هو ماجرى . وحضرنا الى الخليج واذا به أمم قد تلقونا بالدعاء المجاب . وقرظونا فأمرنا ماءه أن يحثو من سده في وجوه المداحين التراب . ومر يبدي المساد ويعيدها . ويزور منازل القاهرة ويعودها . واذا سئل عن أرض الطبالة قال جئنا بليلى وعن خلجها قال وهي جنت بغيرنا وعن بركة الفيل قال وأخرى بنا مجنونة لايزيدها . وما برح حتي تعوض عن القيعان البقيعه . من المراكب بالسرر المرفوعه . ومن الاراضى المحروثه . من جوانب الادر بالزرابي المبثوثه . وانقضى هذا اليوم عن سرور لمثله فليحمد الحامدون وأصبحت مصر جنة فيها ماتشتهى الانفس وتلذ الاعين وأهلها في ظل الأمن خالدون . فليأخذ حظه من هذه البشرى التي ماكتبنا بها حتي كتبت بها الرياح الى نهر المجرة الى البحر المحيط . ونطقت بها رحمة الله تعالى الى مجاوري بيته من لابسى التقوى ونازعى المخيط . وبشرت بها مطايا المسير الذي يسير من قوص غير منقوص . ويتشارك بها الابتهاج في العالم فلا مصردون مصر بها مخصوص والله تعالى يجعل الاولياء في دولتنا يتهجون بكل أمر جليل . وجيران الفرات يفرحون بجريان النيل (وكتب الصلاح الصفدى) بشارة الى بعض النواب في بعض الاعوام ضاعف الله نعمة الجناب وسر نفسه بانفس بشرى . وأسمعه من الهناء كل آية أكبر من الاخرى . وأقدم عليه من المسار مايحرز ناقله ويحرى . وساق اليه كل طليعة اذا تنفس صبحها

تفرق الليل وتفرى . وأورد لديه من أبناء الخصب مايتبرم به محل المحل ويتبرى . هذه المكاتبة الى الجناب العالى نخصه بسلام يرى كالماء انسجاما . ويروق كالزهر ابتساما * ونحفه بثناء جعل المسك له ختاما * وضرب له على الرياض الناضحة خياما * ونقص عليه من أنباء النيل الذي خص الله البلاد المصرية بوفادة وفائه * وأغنى به قطرها عن القطر فلم تحتج الى مدكافه وفائه * ونزهه عن منة الغمام الذى ان جاد فلا بد من شهقة رعده ودمعة بكائه * فهى الارض التي لايذم للامطار في جوها مطار ولابذم للقطار في نفعها قطار * ولا ترمد الانواء فيها عيون النوار * ولا تشيب بالثلوج مفارق الطرق ورؤس الجبال * ولا تفقد فيها حلى النجوم لاندراج الليلة تحت السحب بين اليوم وأمس * ولا يتمسك في سمائها المساكين كما قيل بحبال الشمس * وأين أرض يخدعجاجها بالبحر العجاج * ويزدحم في ساحاتها افواج الامواج * من أرض لاتنال السقيا الا بحرب لان القطر سهام والضباب عجاج قد انعقد * ولا يعم الغيث بقاعها لان السحب لاتراها الابسراج البرق اذا اتقد فلو خاصم النيل مياه الارض لقال عندى قبالة كل عين اصبع * ولو فاخرها لقال أنت بالجبال أثقل وأنا بالملق أطبع * والنيل له الآيات الكبر * وفيه العجائب والعبر * منها وجود الوفا عند عدم الصفا . وبلوغ الهرم . اذا احتدوا ضطرم وأمن كل فريق . اذا قطع الطريق . وفرح قطان الاوطان * اذا كسر وهو كما يقال سلطان . وهو أكرم . وأعذب محتبى وأعظم مجتدى . الى غير ذلك من خصائصه . وبراءته مع الزيادة من نقائصه . وهو انه في هذا العام المبارك جذب البلاد من الجدب وخلصها بذراعه . وعصمها بخنادقه التي لاتراع من تراعه . وحضها بسوارى الصوارى تحت قلوعه وما هي الاعمد قلاعه . وراعى الادب بين أيدينا الشريفة بمطالعتنا في كل يوم بحر قاعه في رقاعه . حتى اذا أكمل الستة عشر ذراعا وأقبلت سوابق الخيل سراعا . وفتح أبواب الرحمة بتغليقه . وجد في طلب تخليقه . تضرع بمد ذراعه الينا * وسلم عند الوفاء بأصابعه علينا . ونشر علم ستره . وطلب لكرم طباعه جبر العالم بكسره . فرسمنا بأن يخلق . ويعلم تاريخ هنائه ويعلق . فكسر الخليج وقد كاد يعلوه فوق موجه . ويهيل كثيب سده هول هيجه . ودخل يدوس زرابى الدور المبثوثه . ويجوس خلال الحنايا كأن له فيها خبايا موروثه . ومرق كالسهم من قسى قناطره المنكوسه وعلاه زبد حركته ولولاه ظهرت في باطنه من يدور انائه أشعتها المعكوسه وبشر بركة الفيل ببركة الفال . وجعل المجنونة من تياره المنحدر في السلاسل والاغلال . وملأ كف الرجا بأموال الامواه . وازدحمت في عبادة شكر أفواج الافواه . وأعلم الاقلام بعجزها عما يدخل من خراج البلاد . وهنأت طلائعه بالطوالع التي نزلت بركاتها من الله على العباد . وهذه عوائد الالطاف الالهية بنالم نزل نجلس على موائدها

• ونأخذ منها مانهبه لرعايانا من فوائدها ونخص بالشكر قوادمها • فهي تدب حولنا وتدرج • ونخص قوادمها بالثناء والمدح والحمد فهي تدخل الينا وتخرج • فليأخذ الجناب العالي حظه من هذه البشرى التي جاءت بالمن والمنح • وانهلت أياديها المغدقة بالسبح والسفح وليتلقاها بشكر يضيء به في الدجى اديم الافق • ويتخذها عقد تحيط منه بالعنق الى النطق • وليتقدم الجناب العالي بأن لايحرك الميزان في هـذى البشرى بالجباية لسانه • وليعط كل عامل في بلادنا بذلك أمانه • وليعمل بمقتضى هـذا الموسوم حتى لايرى في اسقاط الجباية خيانه والله يديم الجناب العالي لنقص الانباء الحسنة عليه • ويمتعه بجلاء عرائس التهاني والافراح لديه (وكتب الاديب) تقي الدين أبو بكر بن حجة بشارة عن الملك المؤيد شيخ سنة تسع عشرة وثمانمائة ونبدي لعلمه الكريم ظهور آية النيل الذي عاملنا الله فيه بالحسنى وزياده • وأجراه الله تعالي طرق الوفاء على أجمل عاده • وخلق أصابعه ليزول الايهام فاعلن المسلمون بالشهاده • كسرى بمسرى فأمسى كل قلب بهـذا الكسر مجبورا • واتبعته بنور وز وما برح هذا الاسم بالسـعد المؤيدى مكسورا • دق قفا السودان فالراية البيضاء من كل قلع عليه • وقبل ثغور الاسلام فأرشفها ريقه الحلو فمالت اعطاف غصونها اليه • وشبب خريره في الصعيد بالقصب • ومد سبائكه الذهبية الى جزيرة الذهب • فضرب الناصرية واتصل بأم دينار • وقلنا لولاأنه صبغ بقوة لما جاء وعليه ذلك الاحمرار • وأطال الله عمر زيادته فتردد الى الآثار وعمت البركة فأجرى سواقى مكة الى ان غدت جنة تجري من تحتها الانهار وحصن منتهى الروضة فى صدره وحنا عليها حنو المرضعات على الفطيم وأرشفه على ظماء زلالا ألذ من المدامة للنديم • وراق مديد بحره لما انتظمت عليه تلك الابيات • وسقى الارض سلافته الخمرية فخدمته بحلو النبات • وأدخله الى جنات النخيل والاعناب فألقى النوي والحب • فأرضع جنين النبت وأحيي له أمهات العصف والاب • وصافحتـه كفوف الموز فختمها بخواتمه العقيقيه ولبس الورد تشريفه وقال أرجو أن تكون شوكتي فى ايامه قويه ونسى الزهر بحلاوة لقائه مرارة النوى • وهامت به مخدرات الاشجار فأرخت ضفائر فروعها عليه من شدة الهوى * واستوفى النبات ماكان له في ذمة الزي من الديون • ومازج الحوامض بحلاوته فهام الناس بالسكر والليمون • وانجذب اليه الكباد وامتد • ولكن قوى قوسه لما حظى منه بسهم لايرد • ولبس شربوش الاترج وترفع الى ان لبس بعـده التاج • وفتح منثور الارض لعلامته بسعة الرزق وقد نفذ امره وراج • فتناول مقالم الشنبر وعـلم باقلامها ورسم لكل سد بالافراج • وسرح بطائق السفن فخفقت اجنحتها بمخلق بشائره • واشار باصابعه الى قتل المحل فبادر الخصب الى امتثال اوامره • وحظى بالمعشوق وبلغ من كل

منية مناه فلاسكن على البحر الا تحرك ساكنه بعد ماتفقه واتقن باب المياه . ومد شفاه امواجه الى تقبيل فم الخور . وزاد بسرعة فاستحلى المصريون زائده على الفور ونزل في بركة الحبش فدخل التكرور في طاعته . وحمل على الجهات البحرية فكسر المنصورة وعلا على الطويلة بشهامته وأظهر في مسجد الخضر عين الحياة فأقر الله عينه * وصار أهل دمياط في برزخ بين المالح وبينه * وطلب المالح رده بالصدر وطعن في حلاوة شمائله * فما شعر الا وقد ركب عليه ونزل في ساحله * وأمست دارات دوائره على وجنات الدهر عاطفة * وثقلت ارداف أمواجه على حضور الجوارى واضطربت كالخائفة * ومال شبق النخيل اليه فلثم ثغر طلعه وقبل سالفه وأمست سود الجوارى كالحسنات على حمرة وجناته وكلما زاد زاد الله في حسناته * فلا فقير سد الا حصل له من فيض نعماه فتوح ولا ميت خليج الاعاش به ودبت فيه الروح * ولكنه احمرت عينه على الناس بزيادة وترفع * فقال له المقياس عندى قبالة كل عين أصبع * ونشر أعلام قلوعه وحمل وله على ذى الجزيرة زمجرة * ورام أن يهجم على غير بلاده فبادر اليه عزمنا المؤيدى وكسره * وقد آثرنا المقر بهذه البشرى التي سرى فضلها براً وبحراً وحدثناه عن البحر ولا حرج وشرحنا له حالا وصدرا * ليأخذ حظه من هذه البشارة البحرية بالزيادة الوافرة . وينشق من طيبها نشرا فقد حملت له من طيبات ذلك النسيم أنفاسا عاطرة . والله تعالى يوصل بشائرنا الشريفة لسمعه الكريم ليصير بها في كل وقت مشنفا . ولا برح من نيلها المبارك وانعامنا الشريف على كلا الحالين في وفا

ذكر المقياس

قال ابن عبد الحكم كان أول من قاس النيل بمصر يوسف عليه السلام ووضع مقياسا بمنف ثم وضعت العجوز دلوكة ابنة زبا مقياسا بأنصنا وهو صغير الذرع ومقياسا بأخميم ووضع عبد العزيز بن مروان مقياسا بحلوان وهو صغير ووضع اسامة بن زيد التنوخى في خلافة الوليد مقياسا بالجزيرة وهى المسماة الآن بالروضة وهو أكبرها حدثنا يحيى بن بكير قال أدركت القياس يقيس في مقياس منف ويدخل بزيادته الى الفسطاط هذا ماذكره ابن عبد الحكم قال التيفاشى ثم هدم المأمون مقياس الجزيرة وأسسه ولم يتمه فأتمه المتوكل بناءه وهو الموجود الآن وقال صاحب مباهج الفكر المقياس الذى بأنصنا ينسب لاشمون ابن قفطيم بن مصر ويقال انه من بناء دلوكة وبناءه كالطيلسان وعليه أعمدة بعدد أيام السنة من الصوان الاحمر ورأيت في بعض المجاميع مانصه قال ابن حبيب وجدت في رسالة منسوبة الى الحسن بن محمد بن عبد المنعم قال لما فتحت مصر عرف عمر بن الخطاب مايلقى أهلها من الغلاء عن وقوف النيل عن مدة في مقياس لهم فضلا عن تقاصره وان

فرط الاستشعار يدعوهم الى الاحتكار ويدعو الاحتكار الى تصاعد الاسعار بغير قحط فكتب عمر بن الخطاب الى عمرو بن العاصى يسأله عن شرح الحال فأجاب فقال عمر اني وجدت ماتروى به مصر حتى لايقحط أهلها أربعة عشر ذراعا والحد الذى يروى منه سائرها حتى يفضل عن حاجتهم ويبقى عندهم قوت سنة اخرى ستة عشر ذراعا والنهايتين المخوفتين في الزيادة والنقصان وهو الظمأ والاستبحار اثنتا عشر ذراعا في النقصان وثمان عشرة ذراعا في الزيادة هذا والبلد في ذلك محفور الانهار معقود الجسور عند ماتسلموه من القبط وخمير العمارة فيه فاستشار عمر بن الخطاب علي بن أبى طالب في ذلك فأمره أن يكتب اليه بأن يبني مقياسا وان يفض ذراعين على اثنتى عشر ذراعا وأن يقر مابعدها على الاصل وان ينقص من ذراع بعد الستة عشر ذراعا اصبعين ففعل ذلك وبناه بحلوان فاجتمع له ما أراد من حال الارجاف وزاول مامنه كان يخاف بأن يجعل الاثنتى عشرة ذراعا أربع عشرة ذراعا لان كل ذراع اربعة وعشرون اصبعا فجعلها ثمانية وعشرين من أولها الى الاثنتى عشرة ذراعا تكون مبلغ الزيادة على الاثنتى عشرة ثمانية وأربعون أصبعا وهي الذراعان وجعل الاربع عشرة ست عشرة والستة عشرة ثماني عشرة والثمانى عشرة عشرين ذراعا وهى المستقرة الآن وقال بعضهم كتب الخليفة جعفر المتوكل الى مصر يأمر ببناء المقياس الجديد الهاشمي في الجزيرة سنة سبع واربعين ومائتين وكان الذي يتولى امر المقياس النصارى فورد كتاب امير المؤمنين المتوكل في هذه السنة على بكار بن قتيبة قاضى مصر بأن لايتولي ذلك الا مسلم يختاره فاختار القاضى بكار لذلك ابا الرداد عبد الله بن عبد السلام المؤدب وكان محدثا فأقامه القاضى بكار لمراعاة المقياس وأجرى عليه الرزق وبقى ذلك في ولده الى اليوم وقال صاحب المرآة المقياس الظاهر الآن بناه المأمون وقيل انما بناه أسامة بن زيد التنوخي فى خلافة سليمان بن عبد الملك ودثر فجدده المأمون وبني أحمد بن طولون مقياسين أحدهما بقوص وهو قائم اليوم والآخر بالجزيرة وقد انهدم قال القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر في العود الذي يطلع به المقسى قياس النيل في كل يوم بزيادة النيل

قد قلت لما أتي المقسي وفي يده * عود به النيل قد عودي وقد نودى
أيام سلطاننا سعد السعود وقد * صح القياس بجرى الماء في العود

ذكر جزيرة مصر وهي المسماة الآن بالروضة

قال المقريزى اعلم أن الروضة تطلق في زماننا على الجزيرة التى بين مدينة مصر وبين مدينة الجيزة وعرفت في أول الاسلام بالجزيرة وجزيرة مصر ثم قيل لها جزيرة الحصن وعرفت الروضة من زمن الافضل بن أمير الجيوش الى اليوم انتهي والجزيرة كل بقعة

فى وسط البحر لايعلوها البحر سميت بذلك لانها جزرت أى قطعت وفصلت من تخوم الارض فصارت منقطعة وفي الصحاح الجزيرة واحدة جزائر البحر سميت بذلك لانقطاعها عن معظم الارض وقال ابن المتوج في كتابه ايقاظ المتغفل واتعاظ المتأمل انما سميت جزيرة مصر بالروضة لانه لم يكن بالديار المصرية مثلها وبحر النيل حائز لها ودائر عليها وكانت حصينة وفيها من البساتين والثمار مالم يكن فى غيرها ولما فتح عمرو ابن العاصى مصر تحصن الروم بها مدة فلما طال حصارها وهرب الروم منها خرب عمرو ابن العاصى بعض أبراجها وأسوارها وكانت مستديرة عليها واستمرت الى أن عمر حصنها أحمد بن طولون في سنة ثلاث وستين ولم يزل هذا الحصن حتى خربه النيل وقال المقريزى اعلم أن الجزائر التى هى الآن في بحر النيل كلها حادثة في الاسلام ماعدا الجزيرة التي تعرف اليوم بالروضة تجاه مدينة مصر فان العرب لما دخلوا مع عمرو بن العاصى الى أرض مصر وحاصروا الحصن الذى يعرف اليوم بقصر الشمع فى مصر حتي فتحه الله عنوة على المسلمين كانت هذه الجزيرة حينئذ تجاه القصر لم يبلغنى الى الآن متي حدثت وأما غيرها من الجزائر كلها قد تجددت بعد فتح مصر والى هذه الجزيرة التجأ المقوقس لما فتح الله على المسلمين القصر وصار بها هو ومن معه من جموع الروم والقبط (وقال ابن عبدالحكم) كان بالجزيرة في أيام عبد الملك ابن مروان أمير مصر خمسمائة فاعل عدة لحريق ان كان فى البلاد أوهدم (وقال الكندى) بنيت بالجزيرة الصناعة في سنة أربع وخمسين والصناعة اسم لمكان قد أعد لانشاء المراكب البحرية وأول صناعة عملت بأرض مصر التي بنيت بالروضة في سنة أربع وخمسين من الهجرة فاستمرت الى أيام الاخشيد فأنشأ صناعة بساحل فسطاط مصر وجعل موضع الصناعة التي بالروضة بستاناً سماه المختار (وقال القضاعي) حصن الجزيرة بناه أحمد بن طولون في سنة ثلاث وستين ومائتين ليحرز فيه حريمه وماله وكان سبب ذلك مسير موسى بن بغي من العراق والياً على مصر وجميع أعمال ابن طولون وذلك في خلافة المعتمد على الله فلما بلغ أحمد ابن طولون مسيره تأمل مدينة فسطاط مصر فوجدها لاتأخذ الامن جهة النيل فبني الحصن بالجزيرة التي بين الفسطاط والجيزة ليكون معقلا لحريمه وذخائره واتخذ مائة مركب حربية سوي مايضاف اليها من العشاريات وغيرها فلما بلغ موسى بن بغي بالرقة تثاقل عن المسير لعظم شأن ابن طولون وقوته ثم لم يلبث موسى ان مات وكفى ابن طولون أمره وقال محمد بن داوود لاحمد بن طولون

لما توفي ابن بغي بالرقتين ملا * ساقيه درقا الى الكعبين والعقب
بني الجزيرة حصنا يستجن به * بالعسف والضرب والصناع في تعب

ووائب الجيزة القصوى تخندقها * وكاد يصعق من خوف ومن رعب
له مراكب فوق النيل راكدة * لما سوى القار للنظار والخشب
ترى عليها لباس الذل مذ بنيت * بالشط ممنوعة من عزة الطلب
فما بناها لغزو الروم محتسباً * لكن بناها غداة الروع للهرب

وقال سعيد القاضي من ابيات

وان جئت رأس الجسر فانظر تأملا * الي الحصن أو فاعبر اليه على الجسر
ترى اثراً لم يبق من يستطيعه * من الناس في بدو البلاد ولا حضر

وما زال حصن الجزيرة هذا عامراً أيام بنى طولون حتي أخذه النيل شيئاً فشيئاً وقد بقيت منه بقايا متقطعة الى الآن وكان نقل الصناعة من الجزيرة الى ساحل مصر في شعبان سنة خمس وعشرين وثلثمائة وبني مكانها البستان المختار وصرف على بنائه خمسة آلاف دينار فاتخذه الاخشيد منتزهاً به وصار يفاخر به أهل العراق ولم يزل منتزهاً الى أن زالت الدولة الاخشيدية والكافورية وقدمت الدولة العبيدية فكان يتنزه فيه المعز والعزيز وصارت الجزيره مدينة عامرة بالناس بها وال وقاض وكان يقال القاهرة ومصر والجزيرة فلما استولى الافضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الدين أنشأ في بحرى الجزيرة بستاناً نزها سماه الروضة وتردد اليه ترددات كثيرة ومن حينئذ صارت الجزيرة كلها تعرف بالروضة قال ابن ميسر في تاريخ مصر انشاء الافضل الروضة بحرى الجزيرة وكان يمضى كل يوم اليها في العشاريات المركبة وكان قتل الافضل في سنة خمس عشرة وخمسمائة قال وفي سنة ست عشرة وخمسمائة نقل المأمون البطائحى الوزير عمارة المراكب الحربية من الصناعة التي بجزيرة مصر الى الصناعة القديمة بساحل مصر وبنى عليها منظرة كانت باقية الى آخر أيام الدولة العلويه فلما استبد الخليفة الآمر بالامر أنشأ بجوار البستان المختار من جزيرة الروضة مكانا لمحبوبته البدوية عرف بالهودج وذلك لما صعب عليها السكني في القصور ومفارقة ماعتادته من الفضاء وكان الهودج على شاطىء النيل في شكل غريب ولم يزل الآمر يتردد اليه للنزهة فيه الى أن ركب يوما فلما كان برأس الجسر وثب عليه قوم كانوا كمنوا له بالروضة فضربوه بالسكاكين حتى أثخنوه وذلك يوم الاربعاء رابع ذى القعده سنة أربع وعشرين وخمسمائة ونهب سوق الجزيرة ذلك اليوم

(قال ابن المتوج) اشترى الملك المظفر تقى الدين عمر بن شاهنشاه بن أيوب جزيرة مصر المشهورة بالروضة من بيت المال المعمور في شعبان سنة ست وعشرين وخمسمائة وبقيت علي ملكه الى أن سير السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب ولده الملك العزيز عثمان الي مصر ومعه عمه الملك العادل وكتب الي الملك المظفر أن يسلم لهما البلاد ويقدم عليه

الى الشام فلما ورد عليه الكتاب ووصل ابن عمه الملك العزيز وعمه الملك العادل شق عليه خروجه من الديار المصرية وتحقق انه لاعود له اليها أبدا فوقف مدرسته التي تعرف فى مصر بالمدرسة التقوية وكانت قديماً تعرف بمنازل العز على الفقهاء الشافعية ووقف عليها جزيرة الروضة بكمالها ووقف أيضاً مدرسة بالفيوم وسافر الى عمه صلاح الدين الى دمشق فملكه حماه ولم يزل الحال كذلك الى أن ولى الملك الصالح نجم الدين أيوب فاستأجر الجزيرة من القاضى فخر الدين أبي محمد عبد العزيز ابن قاضى القضاة عماد الدين أبى القاسم عبد الرحمن بن محمد المعروف بابن السكرى مدرس المدرسة المذكورة لمدة ستين سنة في دفعتين كل دفعة قطعة فالقطعة الاولى من جامع عين الى المناظر طولا وعرضاً من البحر الي البحر واستأجر القطعه الثانيه وهى باقي أرض الجزيرة الدائر عليها بحر النيل حين ذاك واستولى علي ما كان بالجزيرة من النخل والجميز والغروس فكأنه لما عمر الملك الصالح مناظر قلعة الجزيره قطعت النخل ودخلت في العمائر وأما الجميز فانه كان بشاطىء بحر النيل صف جميز يزيد علي أربعين شجرة وكان أهل مصر فرجهم تحتها في زمن النيل والربيع قطعت جميعها في الدولة الظاهريه وعمر بها شواني عوض الشواني التي كان سيرها الي جزائر قبرص وتكسرت هناك واستمر تدريس المدرسة التقوية بيد القاضى فخر الدين الى حين وفاته ثم وليها بعده ولده القاضى عماد الدين ابو الحسن على وفى أيامه تسلم له القطعه المستأجرة من الجزيره أولا وبقى بيد السلطنه القطعه الثانيه الى الآن وكان الافراج عنها في شهور سنة ثمان وتسعين وستمائة فى الدولة الناصريه ولم يزل القاضى عماد الدين مدرسها الى حين وفاته فوليها ولده وهو مدرسها الآن في شعبان سنة أربع عشرة وسبعمائة هذا كله كلام ابن المتوج ولم تزل الروضة منتزهاً ملوكياً ومسكناً للناس الى أن تسلطن الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الكامل محمد فانشأ بالروضة قلعة واتخذها سرير ملك فعرفت بقلعة المقياس وبقلعة الروضة وبقلعه الجزيره وبالقلعة الصالحية وكان الشروع في حفر أساسها يوم الاربعاء خامس شعبان سنة ثمان وثلاثين وستمائه ووقع الهدم في الدور والقصور والمساجد التي كانت بجزيرة الروضة وتحول الناس من مساكنهم التي كانت بها وهدم كنيسة كانت للبعاقبة بجانب المقياس وأدخلها في القلعة وأنفق في عمارتها أموالا جمة وبني فيها الدور والقصور وعمل لها ستين برجا وبني بها جامعاً وغرس بها جميع الاشجار ونقل اليها من البرابي العمد الصوان والعمد الرخام وشحنها بالاسلحة وآلات الحرب وما يحتاج اليها من الغلال والاقوات خشية من محاصرة الفرنج فانهم كانوا حينئذ على عزم قصد بلاد مصر وبالغ في اتقانها مبالغة عظيمة حتي قيل انه استقام كل حجر فيها بدينار وكل طوبة بدرهم وكان الملك

الصالح يقف بنفسه ويرتب مايعمل فصارت تدهش من كثرة زخرفها ويحير الناظر اليها حسن سقوفها المقرنصة وبديع رخامها ويقال انه قطع من الموضع الذى أنشأ فيه هذه القلعه ألف نخلة مثمرة كان رطبها يهدى الى ملوك مصر لحسن منظره وطيب طعمه وخرب البستان المختار والهودج وهدم ثلاثه وثلاثين مسجدا كانت بالروضه وأدخلت في القلعه واتفق له في بعض هذه المساجد خبر عجيب قال الحافظ جمال الدين يوسف بن أحمد اليغمورى سمعت الامير جمال الدين موسى ابن يغمور بن جلدك يقول من عجيب ماشاهدته من الملك الصالح أنه أمرني أن أهدم مسجدا بجزيرة مصر فأخرت ذلك وكرهت أن يكون هدمه على يدى فأعاد الامر وأنا كاسر عنه فكأنه فهم عنى ذلك فاستدعي بعض خدمه وأنا غائب وأمره أن يهدم ذلك المسجد وأن يبني في مكانه قاعه وقدر له في صفتها فهدم ذلك المسجد وعمر تلك القاعه مكانه وكملت وقدم الفرنج على الديار المصريه وخرج الملك الصالح مع عساكره اليهم ولم يدخل تلك القاعه التى بنيت في مكان المسجد فتوفي السلطان بالمنصورة وجعل في مركب وأتى به الى الروضه فجعل في تلك القاعه التى بنيت مكان المسجد مدة الى أن بنيت له التربة التى في جنب مدرسته بالقاهره وكان النيل في القديم محيطاً بالروضه طول السنه وكان فيما بين ساحل مصر والروضه جسر من خشب وكذلك فيما بين الروضه والجيزه جسر من خشب يمر عليها الناس والدواب من مصر الى الروضه ومن الروضه الى الجيزه وكان هذان الجسران من مراكب مصطفه بعضها بحذاء ابعض وهى موثقه ومن فوق المراكب أخشاب ممتده فوقها تراب وكان عرض الجسر ثلاث قصبات ولم يزل هذا الجسر قائما الى أن قدم المأمون مصر فأحدث جسرا جديدا فاستمر الناس يمرون عليه وكان عبور العساكر التي قدمت من المعز مع جوهر القائد على هذين الجسرين وكان الجسر المتصل بالروضه كرسيه حيث المدرسه الخروبيه قبلى دار النحاس وكان النيل عند ماعزم الملك الصالح على عماره قلعة الروضه قد انطرد عن بر مصر ولا يحيط بالروضة الا فى أيام الزيادة فلم يزل يغرق السفن في ناحية الجيزة ويحفر فيما بين الروضة ومصر ماكان هناك من الرمال حتي عاد ماء النيل الى بر مصر واستمر هناك فانشأ جسرا عظيما ممتدا من بر مصر الى الروضة وجعل عرضه ثلاث قصبات وكان كرسيه حيث المدرسة الخروبية قبلى دار النحاس وصار أكثر مرور الناس بأنفسهم ودوابهم في المراكب لان الجسرين قد اجترما بحصولهما فى حيز قلعة السلطان وكان الامراء اذا ركبوا من منازلهم يريدون الخدمة الى السلطان بقلعة الروضه يترجلون عن خيولهم عند البر ويمشون في طول الجسر الى القلعة ولا يمكن أحد من العبور عليه راكباً سوى السلطان فقط ولما كملت تحول اليها بأهله وحريمه واتخذها دار ملك وأسكن

معه فيها مماليكه البحرية وكانت عدتهم نحو الالف وما برح الجسر قائماً الى أن خرب المعز أيبك قلعه الروضه بعد سنة ثمان وأربعين وستمائة فاهمل ثم عمره الظاهر بيبرس على المراكب وعمله من ساحل مصر الى الروضه ومن الروضه الى الجيزه لاجل عبور العسكر عليه لما بلغه حركة الفرنج وقال علي بن سعيد في كتاب المغرب وقد ذكر الروضه هي أمام الفسطاط فيما بينها وبين مناظر الجيزة وبها مقياس النيل وكانت منتزها لاهل مصر فاختارها الصالح بن الكامل سرير السلطنه وبني فيها قلعه مسورة بسور ساطع اللون محكم البناء عالي السمك لم ترعيني أحسن منه وفي هذه الجزيرة كان الهودج الذى بناه الآمر الخليفه لزوجته البدويه التي هام فى حبها والمختار بستان الاخشيد وقصره وله ذكر في شعر تميم بن المعز وغيره ولشعراء مصر فى هذه الجزيرة أشعار منها قول أبي الفتح ابن قادوس الدمياطى

أري سرح الجزيرة من بعيد * كأحداق تغازل في المغازل
كأن مجرة الجوزاء خطت * وأثبتت المنازل في المنازل

وكنت أبيت بعض الليالي في الفسطاط على ساحلها فيزدهيني ضحك البدر في وجه النيل أما سور هذه الجزيرة الدرى اللون فلم ينفصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة وفي داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت اليه همة بانيها هو من أعظم السلاطين همة في البناء وأبصرت في هذه الجزيرة ايوانا لجلوسه لم ترعيني مثاله ولا يقدر ما أنفق عليه وفيه من الكتابة بصفايح الذهب والرخام الابنوسي والكافورى والمجزع مايذهل الافكار ويستوقف الابصار ويفصل عما احاط به السور ارض طويلة في بعضها حاظر حظر على اصناف الوحوش التي يتفرج فيها السلطان وبعدها بروج يتقطع فيها مياه النيل فينظر فيها احسن منظر وقد تفرجت كثيراً في طرق هذه الجزيرة مما يلى بر القاهرة فقطعت بها عيشات مذهبات لاتزال لاحزان الغربة مذهبات واذا زاد النيل فصل مابينها وبين الفسطاط بالكلية وفي أيام احتراق النيل يتصل برها ببر السلطان من جهة خليج القاهرة ويبقى موضع الجسر يكون فيه المراكب وركبت مرة في هذا النيل ايام الزيادة مع الصاحب المحسن محيي الدين بندار وزير الجزيرة وصعدنا الى جهة الصعيد ثم انحدرنا واستقبلنا هذه الجزيرة وأبراجها تتلألأ والنيل قد انقسم عنها فقلت

تأمل لحسن الصالحية اذ بدت * مناظرها مثل النجوم تلالا
وللقلعة الغراء كالبدر طالعاً * يفرج صدر الماء عنه هلالا
ووافى اليها الماء من بعد غيبة * كما زار مشغوفا يروم وصالا
وعانقها من فرط شوق وحسنها * فمد يمينا نحوها وشمالا

ولم تزل هذه القلعة عامرة حتي زالت دولة بنى ايوب فلما ملك السلطان الملك المعز عز الدين أيبك التركمانى أول الملوك الترك بمصر أمر بهدمها وعمر منها مدرسته المعروفة بالمعزية في رحبة الحنا بمدينة مصر وطمع في القلعة من له جاه فأخذ جماعة منها عدة سقوف وشبابيك وغير ذلك وبيع من اخشابها ورخامها اشياء جليلة فلما صارت مملكة مصر الى السلطان الملك الظاهر بيبرس البندقدارى اهتم بعمارة قلعة الروضة ورسم للامير جمال الدين موسي بن يغمور ان يتولى عمارتها كما كانت فاصلح بعض ماتهدم منها ورتب بها الجانداريه وأعادها الى ماكانت عليه من الحرمة وامر بابراجها ففرقت على الامراء واعطي برج الزاوية للامير سيف الدين قلاوون الالفى والبرج الذى يليه للامير عز الدين الحلى والبرج الثالث من برج الزاوية للامير عز الدين ادغان واعطى برج الزاوية الغربي للامير بدر الدين الشمسى وفرقت بقية الابراج على سائر الامراء ورسم ان يكون بيوت جميع الامراء واصطبلاتهم فيها وسلم المفاتيح لهم فلما تسلطن الملك المنصور قلاوون وشرع فى بناء المارستان والقبه والمدرسه المنصورية نقل من قلعة الروضه هذه مايحتاج اليه من العمد الصوان والعمد الرخام التى كانت قبل عمارة القلعه بالبرابي واخذ منها رخاما كثير واعتاباً جليلة مما كان بالبرابى وغير ذلك ثم أخذ منها السلطان الناصر محمد بن قلاوون مااحتاج اليه من العمد الصوان في بناء الايوان المعروف بدار العدل من قلعة الجبل وبالجامع الجديد الناصرى ظاهر مدينة مصر وأخذ غير ذلك حتى ذهبت كأن لم تكن قال المقريزي وتأخر عقد جليل تسميه العامة القوس كان مما يلى جانبها الغربى ادركناه باقياً الى نحو سنة عشرين وثمانمائه وبقى من ابراجها عدة قدانقلب كثير منها وبنى الناس فوقها دورهم المطلة على النيل وعادت الروضة بعد هدم القلعة منها منتزهاً تشتمل على دور كثيرة وبساتين عدة وجوامع تقام بها الجمعات والاعياد ومساجد وفي الروضة يقول الاسعد بن مماتى

جزيرة مصر لا عدتك مسرة * ولا زالت اللذات فيك اتصالها
فكم فيك من شمس على غصن بانة * يميت ويحيي هجرها ووصالها
مغانيك فوق النيل افحت هوادجا * ومختلفات الموج فيها جمالها
ومن أعجب الاشياء أنك جنة * ترف على أهل الضلال ظلالها

وقال ظافر الحداد

انظر الي الروضة الغراء والنيل * واسمع بدائع تشبيهى وتمثيلى
وانظر الى البحر مجموعا ومفترقا * هناك أشبه شئ بالسراويل
والريح تطويه أحيانا وتنشره * نسيمها بين تفريق وتعديل

الاسعد بن مماتي في الروضة وقد حلها السلطان الملك الكامل

جزيرة مصر أنت أشرف موضع * على الارض لما حل فيك محمد
وفيك علا البحر ان لكن كفذا * على الناس أندى بالعطاء وأجود
وأصبحت الاغصان من فرح به * تمايل والاطيار فيك تغرد
فرق نسيم حين سار وجدول * ويشدو وهزار حين يرقص املد

ذكر خليج مصر

قال المقريزى هذا الخليج بظاهر فسطاط مصر ويمر من غربى القاهرة وهو خليج قديم احتفره بعض قدماء ملوك مصر بسبب هاجرام اسماعيل حين اسكنها ابراهيم عليه السلام بمكة ثم تمادته الدهور والاعوام فجدد حفره ثانياً بعض من ملك مصر من ملوك الروم بعد الاسكندر فلما فتحت مصر على يد عمرو بن العاصى جدد حفره باشارة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب فحفر عام الرمادة وكان يصب فى بحر القلزم كما تقدم في أول الكتاب ولم يزل على ذلك الي ان قام محمد بن عبد الله بن حسن بن حسن بن على بن ابي طالب بالمدينه فكتب الخليفه المنصور الى عامله بمصر ان يطم هذا الخليج حتى لاتحمل الميرة من مصر الي المدينه فطم وانقطع من حينئذ اتصاله بحر القلزم وصار على ماهو عليه الآن وكان هذا الخليج يقال له اولا خليج امير المؤمنين يعنى عمر بن الخطاب لانه الذى اشار بتجديد حفره ثم صار يقال له خليج مصر فلما بنيت القاهرة بجانبه من شرقيه صار يعرف بخليج القاهرة والآن تسميه العامه بالخليج الحاكمى وتزعم ان الحاكم احتفره وليس بصحيح وكان اسم الذى حفره في زمن ابراهيم عليه السلام طوطيس وهو الجبار الذى أراد أخذ سارّة وجرى له معها ماجرى ووهب لها هاجر فلما سكنت هاجر مكة وجهت اليه تعرفه انها بمكان جدب فأمر بحفر نهر في شرق مصر بسفح الجبل حتي ينتهى الى مرقى السفن في البحر الملح فكان يحمل اليها الحنطة وأصناف الغلات فتنقل الى جدة ويحمل من هناك على المطايا فأحيا بلد الحجاز مدة وكان اسم الذى حفره ثانياً ادريان قيصر وكان عبد العزيز بن مروان بني عليه قنطرتين في سنة تسع وستين وكتب اسمه عليها ثم جددها تكين أمير مصر في سنة ثمان عشرة وثلاثمائة ثم جددها الاخشيد في سنة احدى وثلاثين وثلاثمائة ثم عمرت في أيام العزيز وكان موضع هذه القنطرة خلف خط السبع سقايات وهي التى كانت تفتح عند وفاء النيل في زمن الخلفاء وكان الخليفة يركب لفتح الخليج فلما انحسر النيل عن ساحل مصر وربي الجرف أهملت هذه القنطرة فدثرت وعملت قنطرة السد عند فم النيل وكان الذى أنشأه الملك الصالح أيوب في سنة بضع وأربعين وستمائة قال ابن عبد الظاهر وأول من رتب حفر خليج القاهرة على الناس المأمون بن البطائحى وجعل عليه والياً بمفرده ولأبي الحسن بن الساعاتي في كسر يوم الخليج

ان يوم الخليج يوم من الحسـ * ـن بديع المرئيّ والمسموع
كم لديه من ليث غائب صؤل * ومهاة مثل الغزال المروع
وعلى السـد عزة قبـل أن تملـكه ذلة المحب الخضـوع
كسروا جسره هناك فحاكي * كسر قلب يتلوه فيض دموع

ذكر الخليج الناصرى

حفره الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة خمس وعشرين وسبعمائة لما بني الخانقاه بسرياقوس فأراد اجراء الماء من النيل اليها ليرتب عليه السواقى والزراعات وفوض أمره الى أرغون النائب فحفر في مدة شهرين من أول جمادى الاولى الى سلخ جمادى الآخرة وبني فخر الدين ناظر الجيش عليه قنطرة وبني قديدار والي القاهرة قنطرة قديدار وقناطر الاوز وقناطر الاميرية

ذكر بركة الحبش

قال ابن المتوج هذه البركة مشهورة في مكانها وقد تصل وقفها على قاضى القضاة بدر الدين ابن جماعة على أنها وقف على الاشراف الاقارب والطالبيين نصفين بينهما بالسويه النصف على الاقارب والنصف على الطالبيين وثبت قبله عنـد قاضى القضاة بدر الدين يوسـف السنجارى أن النصف منها وقف على الاشراف الاقارب بالاستفاضة بتاريخ ثاني عشر ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة وثبت عند قاضي القضاة عز الدين عبـد العزيز ابن عبدالسلام بالاستفاضة أيضاً أنها وقف على الاشراف والطالبيين بتاريخ التاسع والعشرين من ربيع الآخر سنة أربعين وستمائة وفى سنة احدى وأربعين وسبعمائة أمر الناصر ابن قلاوون بحفر خليج من النيل حائط الرصد ببركة الحبش وحفر عشرة آبار كل بئر أربعون ذراعا يركب عليها السواقي ليجرى الماء منها الى القناطر التى تحمل الماء الى القلعة فشق الخليج من مجرى رباط الآثار وكان مهماً عظيما وأمر الناصر في هذه السنة بتجديد جامع راشدة وكان قد تهدم غالبه ظافر الحدادفي بركة الحبش

تأملت نهر النيل طولا وخلفه * من البركة الغناء شكل مقدر
فكان وقد لاحت بشطئيه خضرة * وكانت وفيها الماء باق موفر
غمـامة شرب في جوانبها خضرة * أضـيف اليها طيلسان مقوّر

أبو الصلت أمية بن عبدالعزيز الاندلسى

لله يوم ببركة الحبش * والأفق بين الضياء والغبش
والنيل بين الرياح مضطرب * كصارم في يمين مرتعش
ونحن في روضة مؤنقـة * ذيج بالنور عطفها ووشى

قد نسجتها يد الغمام لنا * فنحن من نسجها على فرش

ذكر ماقيل في الانهار والاشجار زمن الشتاء والربيع من الاشعار

شمس الدين بن التلمساني

ولما جلا فصل الربيع محاسناً * وصفق ماء النهر اذ غرّد القمرى
أتاه النسيم الرطب رقص دوحه * فنقط وجه الماء بالذهب المصرى

وقال

تغنت في ذرى الاوراق ورق * ففي الافنان من طرب فنون
وكم بسمت ثغور الزهر عجباً * وبالاكمام قد رقصت غصون

ابن اسحق ابراهيم بن محمد بن فتحون المخزومي يصف نارنجة في نهر

ولقد رميت مع العشى بنظرة * في منظر غض البشاشة يبهج
نهر صقيل كالحسام بشطئه * روض لنا تفاحه يتأرج
تثنى معاطفه الصبا في بردة * موشية بيد الغمامة تنسج
والماء فوق صفائحه نارنجة * تطغو به وعبابه يتموج
حمراء قانيه الاديم كأنها * وسط المجرة كوكب يتأجج

القاضي عياض

قوله وخاماته في المختار الخامة

كأنما الزرع وخاماته * وقد تبدت فيه أيدي الرياح
كتائب تجفل مهزومة * شقائق النعمان فيها جراح

الفضة الرطبة من النبات وفي الحديث مثل المؤمن مثل الخامة الخ اه

كتب القاضي شهاب الدين بن فضل الله الى الامير الجاى الدودار

بلد أنت ساكن في رباها * بلد تحسد الثريا ثراها
قد تعالت الى السماء بسكنا * ك فالقت على البطاح رداها
جمد الطل في الزهور فخلنا * انه عقد جوهر لرباها
وجرى الماء في الرياض فقلنا * كسرت فوقه المغاني حلاها
مثل ماأنت في معانيك فرد * هي فرد البلاد في معناها

يقبل الارض وينهى انه لما عبر على هذه الربا المعشبة والغدران التي كأنها صفايح فضة مذهبة ثم مر على قرية تعرف بوسيم • تغتر من شنب زهرها عن ثغر بسيم • استحسن مرآها ونظم في معناها مايعرضه عن الخاطر الكريم • ليوقف المملوك توقيف عليم أو يتجاوز عن تقصيره تجاوز حليم

لمصر فضل باهر * لعيشها الرغد النضر
في كل سفح يلتقى * ماء الحياة والخضر

قد نسجتها يد الغمام لنا * فنحن من نسجها على فرش

ذكر ماقيل في الانهار والاشجار زمن الشتاء والربيع من الاشعار

شمس الدين بن التلمساني

ولما جلا فصل الربيع محاسناً * وصفق ماء النهر اذ غرّد القمرى
أتاه النسيم الرطب رقص دوحه * فنقط وجه الماء بالذهب المصرى

وقال

تغنت في ذرى الاوراق ورق * ففي الافنان من طرب فنون
وكم بسمت ثغور الزهر عجباً * وبالاكمام قد رقصت غصون

ابن اسحق ابراهيم بن محمد بن فتحون المخزومي يصف نارنجة في نهر

ولقد رميت مع العشى بنظرة * في منظر غض البشاشة يبهج
نهر صقيل كالحسام بشطئه * روض لنا تفاحه يتأرج
تثنى معاطفه الصبا في بردة * موشية بيد الغمامة تنسج
والماء فوق صفائحه نارنجة * تطغو به وعبابه يتموج
حمراء قانيه الاديم كأنها * وسط المجرة كوكب يتأجج

القاضي عياض

قوله وخاماته في المختار الخامة

كأنما الزرع وخاماته * وقد تبدت فيه أيدي الرياح
كتائب تجفل مهزومة * شقائق النعمان فيها جراح

الفضة الرطبة من النبات وفي الحديث مثل المؤمن مثل الخامة الخ اه

كتب القاضي شهاب الدين بن فضل الله الى الامير الجاى الدودار

بلد أنت ساكن في رباها * بلد تحسد الثريا ثراها
قد تعالت الى السماء بسكنا * ك فالقت على البطاح رداها
جمد الطل في الزهور فخلنا * انه عقد جوهر لرباها
وجرى الماء في الرياض فقلنا * كسرت فوقه المغاني حلاها
مثل ماأنت في معانيك فرد * هي فرد البلاد في معناها

يقبل الارض وينهى انه لما عبر على هذه الربا المعشبة والغدران التي كأنها صفايح فضة مذهبة ثم مر على قرية تعرف بوسيم • تغتر من شنب زهرها عن ثغر بسيم • استحسن مرآها ونظم في معناها مايعرضه عن الخاطر الكريم • ليوقف المملوك توقيف عليم أو يتجاوز عن تقصيره تجاوز حليم

لمصر فضل باهر * لعيشها الرغد النضر
في كل سفح يلتقى * ماء الحياة والخضر

لما أبانت عن حسن منظرها * مالت عليه الغصون تقرؤها

الصلاح الصفدى

قال خلى بالله صف أرض مصر * وقت كتابها بوصف محقق
قلت أرض بالنيل يروى ثراها * فلهذا الكتابان نور أزرق

وقال

لم لا أهيم بمصر * وأرتضيها وأعشق
ولم تر العين أحلى * من مائها ان تملق

ابن الواسطي

كأنما السفن بارجائها * وهي على الماء جريات
عقارب في رفع أذنابها * تسرى على أبطن حيات

ابن الساعاتي

ولقد ركبت البحر وهو كحيلة * والموج تحسبه جيادا تركض
وكأنما سلت به أمواجه * بيضاء تذهب تارة وتفضض
كل يصح اذا تصح حياته * الا النسيم يصح ساعة يمرض

مجير الدين بن تميم

ياحسنه من جدول متدفق * يلهى برونق حسنه من أبصرا
ماذلت أنذره عيونا حوله * خوفا عليه أن يصاب فيعثرا
فأبي وزاد تماديا في جريه * حتى هوي من شاهق فتكسرا

وقال

وحديقة مالت بعا * طف دوحها من غير سكر
والنهر ساج قد غدا * بسعادة الاغصان يجرى

وقال

لم لا أهيم الى الرياض وحسنها * وأظل منها تحت ظل وافي
والروض حيائي بثغر باسم * والماء يلقانى بقلب صافي

وقال

ونهر خالف الاهواء حتي * غدت طوعا له في كل أمر
اذا سرقت حلى الاغصان ألقت * اليه بها فيأخذها ويجرى

وقال

تأمل الى الدولاب والنهر اذ جرى * ودمعهما بين الرياض غدير

كان نسيم الروض قد ضاع معهما * فأصبح ذا يجري وذاك يدور

ناصر الدين بن النقيب

وروضة توسوس الغصن منها * لما هدى فيها النسيم الشمال
قد جن في في ارجائها جدولها * فهو على وجه الثرى سلسال

آخر

وحديقة باكرتها مطلولة * والشمس ترشف ريق أزهار الربا
يتكسر الماء الزلال على الحصا * فاذا أتي نحو الرياض تشعبا

آخر

مياه بوجه الارض تجري كانها * صفائح تبر قد سبكن جداولا
كأن بها من شدة الجري جنة * وقد ألبستهن الرياح سلاسلا

ابن قزل

كانما النهر اذا مر النسيم به * والغيم يهمي وضوء البرق حين بدا
رشق السهام ولمع البيض يوم وغي * خاف الغدير سطاها فاكتسا زردا

آخر

ياحسن وجه النهر حين بدا * والسحب تهطل فوقه هطلا
فكانه درع وقد ملأت * أيدى الكماة عيونه نبلا

الغزى

فى روضة قرن النهار نجومها * بسنا ذكاء زادهن توقدا
وانجر فوق غديرها ذيل الصبا * سحرا فأصبحت الصفيحة مبردا

تاج الدين مظفر الذهبي

وجدول خط فيه * سطر بكف القبول
بدا عليه ارتعاش * كذاك خط القليل

الشهاب محمود

والسرو مثل عرائس * لفت عليهن الملأ
شمرن فضل الازر عن * سوق خلاخلهن ماء
والنهر كالمرآت تبـ * ـصر وجهها فيه السماء

قاضى القضاة محيى الدين بن العديم

كانها النهر وقد حفت به * أشجاره فصافحته الاغصن
مرآة غيد قد وقفن حولها * ينظرن فيها أيهن أحسن

آخر

شجرات الخريف تكثر من غير سؤال الى الرياح نشاطا
تتعرى من لبسها وهو تبر * ثم تلقيه للنديم بساطا

آخر

انظر الى الروض النضير فحسنه للعين قره
فكان خضرته السما * ء ونهره فيه المجره

ابن وكيع

غدير يجمد أمواهه * هبوب الرياح ومر الصبا
اذا الشمس من فوقه أشرقت * توهمته جوشنا مدهباً

سيف الدين على بن قزل

في يوم غيم من لذاذة جوه * غني الحمام وطابت الانداء
والروض بين تكبر وتواضع * شمخ القضيب به وخر الماء

آخر

أياحسنها من روضة ضاع نشرها * فنادت عليه فى الرياض طيور
ودولابها أضحى تعد ضلوعه * لكثرة ما يبكى بها ويدور

سعد الدين بن شيخ الصوفية محيي الدين بن عربي

شاهدت دولابا له أدمع * تكلفت للروض بالرى
فاعجب له من فلك دائر * مافيه برج غير مائي

آخر

وناعورة فارقت * بواكى من جنسها
تدور على قلبها * وتبكى على نفسها

وجيه الدين المناوى

فوّارة تحسب من حسنها * سبيكة من فضة خالصه
تلهيك بالحسن فقد أصبحت * جارية ملهية راقصه

الصلاح الصفدي

النهر مولي والنسيم خديمه * هذا كلام لست فيه أشكك
لولم يكن في خدمة النهر انبرى * ماكان يصقل ثوبه ويفرك

وقال

لمازها زهر الربيع بروضة * وغدا له الفضل المبين عليه
قام الحمام له خطيبا بالثنا * وجرى الغدير فخر بين يديه

مجير الدين بن تميم

تكسر الماء لما أن جرى فغدا الـــدولاب يندبه شجوا ويبكيه
وأصبح الغصن بالاوراق ملتطما * والورق فوق كراسي الدوح ترثيه

وقال

والنهر مذ علق الغصون محبة * أضحت تطيل صدوده وجفاه
فتراه يجري لاثما أقدامها * وخريره شكوي الذي يلقاه

وقال

بعث الربيع رسالة بقـدومه * للروض فهو بقـربه فرحان
ولطيب ما قرا الهزار بشدوة * مضمونها مالت له الاغصـان

شمس الدين بن التلمساني

كانما البرق خلال السما * من فوق غيم ليس بالكابي
طراز تبر في قبـا ازرق * من تحته فروة سنجاب

وقال

فصل الشتا منح النواظر نضرة * لما كسا الالوان وهي عوار
لم يلبس الغبراء لين مطارف * حتى كسـا الزرقاء بيض الزار

مجير الدين بن تميم

ودولاب روض كان من قبل اغصنا * تميس فلما فرقها يد الدهر
تذكر عهـدا بالرياض فكله * عيون على أيام عصر الصبا تجرى

آخر

وناعورة قد ضاعفت بنواحها * نواحي واجرن مقلتي دموعها
وقد ضعفت مما تئن وقد غدت * من الضعف والشكوى تعد ضلوعها

نور الدين على ابن سعد الاندلسي

لله دولاب يفيض بسلسل * في روضة قد أينعت أفناناً
قد طارحت فيه الحمام بشجوها * ونحيبها وترجع الالحانا
فكانه دنف يطوف بمعهد * يبكي ويسأل فيه عن من بانا
ضاقت مجاري طرفه عن دمعه * فتفتحت اضلاعه اجفاناً

ابن منير الطرابلسي في ناعورة

هي مثل الافلاك شكلا وفعلا * قسمت قسم جاهل بالحقوق
بين عال سام ينكسه الحـــظ ويعلو بساحل مرزوق

آخر

النهر مكسو غلالة فضه * فاذا جري سيل فثوب نضار
واذااستقام رأيت صفحة منصل * واذاستدار رأيت عطف سوار

ابراهيم بن خفاجه الاندلسى

النهر قد رقت غلالة خصره * وعليه من صبغ الاصيل طراز
تترقرق الامواج فيه كانها * عكن الحضور تهزها الاعجاز

بعضهم

ان هذا الربيع شيء عجيب * تضحك الارض من بكاء السماء
ذهب حيث ماذهبنا ودر * حيث درنا وفضة في الفضاء

ابن قلاقس

كانما الرعد والسحاب وقد * حل صوباً والبرق قد لاح
ثلاثة من عدوهم نفروا * وقد غدا نحوهم وقد راحا
فسل هذا سيفه وبكى * هذا وهذا من خيفة صاحا

ذكر الرياحين والازهار الموجودة في البلاد المصريه وما ورد فيها من الآثار النبوية والاشعار الادبيه والاشارات الصوفيه

ماورد فى الفاغيه (وهي نور الحناء) اخرج البيهقي في شعب الايمان عن بريد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الرياحين في الدنيا والآخرة الفاغيه واخرج البيهقي عن أنس قال كان أحب الرياحين الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الفاغية (ماورد في الورد) رويت فيه أحاديث كلها موضوعة منها حديث على مرفوعا لما أسرى بى الى السماء سقط الي الارض من عرقى فنبت منه الورد فمن أحب أن يشم رائحتى فليشم الورد أخرجه ابن عدى في كامله وحديث أنس مرفوعا الورد الابيض خلق من عرقي ليلة المعراج وخلق الورد الاحمر من عرق جبريل وخلق الورد الاصفر من عرق البراق أخرجه ابن فارس في كتاب الريحان والحديثان أوردهما ابن الجوزي في الموضوعات ونص على وضع الثاني أيضاً الحافظ الكبير أبو القاسم بن عساكر قال صاحب مباهج الفكر كان الخليفه المتوكل قد حمى الورد ومنعه من الناس كما حمى النعمان بن المنذر الشقيق واستبد به وقال لايصلح للعامة فكان لايرى الا في مجلسه وكان يقول أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين وكل منا أولى بصاحبه والي هذا أشار ابن سكرة بقوله

للورد عندى محل * لانه لايمـــل

كل الرياحين جند * وهو الامير الاجل
ان جاء عز واوتاهوا * حتى اذا غاب ذلوا

قال ابن البيطار في مفرداته الورد أصناف أحمر وأبيض وأصفر وأسود زاد غيره وأزرق وحكى صاحب كتاب نشوار المحاضرة أنه رأي ورداً أسود حالك السواد له رائحة ذكية وأنه رأى بالبصرة وردة نصفها أحمر قاني الحمرة ونصفها الآخر أبيض ناصع البياض والورقة التي وقع الخط فيها كأنها مقسومة بقلم قال صاحب مباهج الفكر رأينا بثغر الاسكندرية الورد الاصفر كثيرا وعددت ورق وردة فكانت ألف ورقة قال وحكى لي بعض الاصحاب أنه رأى بحلب ورقة لها وجهان أحدهما أحمر والآخر أصفر قال وحكى بعض الاصحاب انه رأى آبارا تجرى الى شجر الورد ماء مخلوطاً بالنيل فسأله فقال ان الورد يكون أزرق بهذا العمل قال صاحب المباهج والظاهر من الورد الاسود انه احتيل عليه كذلك وقال الحافظ الذهبي في الميزان روى قريش عن أنس عن كليب ابن وائل (وكليب نكرة لايعرف) أنه رأى بالهند وردا فى الوردة مكتوب محمد رسول الله وروى ابن العديم في تاريخه بسنده الى على بن عبدالله الهاشمى الرقي قال دخلت الهند فرأيت في بعض قراها وردة كبيرة طيبة الرائحة سوداء عليها مكتوب بخط أبيض لااله الا الله محمد رسول الله ابوبكر الصديق عمر الفاروق فشككت فى ذلك وقلت انه معمول فعمدت الى وردة لم تفتح فكان فيها مثل ذلك وفى البلد منه شئ كثير واهل تلك القرية يعبدون الحجارة لايعرفون الله عز وجل ويقال • ورد جور • ونرجس جرجان • ونيلوفر شروان • ومنثور بغداد • وزعفران قم • وشاهشفرم سمرقند • قال ابوالعلاء صاعد الاندلسي فى باكورة ورد

ودونك ياسيدى وردة * يذكرك المسك انفاسها
كعذراء ابصرها مبصر * فغطت بأكمامها رأسها

آخر

ورده يحكى امام الورد * طليعة سابقة للجند
قدضمها في الغصن قر البرد * ضم فم لقبلة من بعد

أبوعبادة البحترى

أتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا * من الحسن حتي كاد أن يتكلما
وقد نبه النوروز في غسق الدجى * أوائل وردكن بالامس نوما
يفتحه برد الندى فكأنما * يبث حديثاً بينهن مكتما

محمد بن عبدالله بن طاهر

أما ترى شجرات الورد مظهرة * لنا بدائع قد ركبن في قصب
كأنهن يواقيت يطيف بها * زبرجد وسطه شذر من الذهب

يقال انه نظم هذين البيتين من قول ازدشير بن بابك وقد وصف الورد هو در ابيض وياقوت احمر على كراسي زبرجد اخضر بوسطه شذر من ذهب اصفر الناشي

قصب الزبرجد قد حملن عقاقاً * أثمارهن قراضة العقيان
وكأن دمع القطر في اهدابه * دمع فرته فواتر الاجفان

محمد بن عبد الله بن طاهر

مداهن من يواقيت مركبة * على الزبرجد في أجوافها ذهب
كأنه حين يبدوا من مطالعه * صب يقبل حباً وهو يرتقب
خاف الملال اذا طالت اقامته * فظل يظهر احيانا ويحتجب

ابو طالب الرقي

ووردة من نبات معطار * حياتها في لطيف اسرار
كأنها وجنة الحبيب وقد * نقطها عاشق بدينار

العماد الاصبهاني

قلت للورد ما لشوكك يدمي * كلما قد اسعرت منه جراحي
قال لي هذه الرياحين جندي * أنا سلطانها وشوكي سلاحي

(في الورد الاصفر لبعضهم)

رعى الله ورداً غدا أصفر * بهياً نضيراً يحاكي النضار
وأسقى غصوناً به أثمرت * وحملن منه شموساً صغاراً

المؤيد الطغرائي

شجرات ورد أصفر اتخذت * في قلب كل متيم طربا
سبكت يد الغيم اللجين لها * فكسته صبغاً مؤنقاً عجباً
من ذار أى من قبله شجرا * سقى اللجين فأثمر الذهب

وقال

ألم تر أن جند الورد وافى * بصفر من مطارده وخضر
أتى مستلئما بالشوك فيه * نصال زمرد وتراس تبر

(في الورد الازرق من وصف بستان لبعضهم)

وبه وارد من الورد قد أينع في رقة الهواء اللطيف
شبهوه بدمعة العاشق الـ ـألف نالته جفوة من أليف

فهو يحكيه زرقة ومثال * قرص لونافي خد ظبي نزيف
ورق أزرق كزرق يواقيـ * ـت تطلعن من لجين مشوف

(في الورد الابيض للسرى الرفا)

وروض كساه الغيث اذاجاد دمعه * مجاسد وشى من بهار ومنثور
بدا ابيض الورد الجنيّ كانما * تبسم للناشيء بمسك وكافور
كأن اصفرارا منه تحت ابيضاضه * برادة تبر في مداهن بلور

(في الورد الاسود لابي أحمد الطرارى)

لله أسود ورد ظل يلحظنا * من الرياض باحداق اليعافير
كأنها وجنات الزنج نقطها * كف الامام بأصناف الدنانير

آخر

وورد اسود خلناه لما * تنشق نشره ملك الزمان
مداهن عنبر غض وفيها * بقايا من سحيق الزعفران

على بن الرومى يهجو الورد

يامادح الورد لاينفك من غلطه * ألست تنظره في كف ملتقطه
كانه سرم بغل حين يبرزه * عبد البرازو باقي الروث في وسطه

قال ابن المعتز يرد عليه

ياهاجي الورد لاحييت من رجل * غلطت والمرء قد يؤتى على غلطه
هل تنبت الارض شيئاً من أزاهرها * اذا تحلت بحلى الوشى من نمطه
أحلى وأشهر من ورد له ارج * كانما المسك مذرور على وسطه

على بن الرومى يفضل النرجس على الورد

أيها المحتج للور * د بزور ومحال
ذهب النرجس بالفضـ * ـل فأنصف في المقال
لاتقاس الاعين النجـ * ـل باسرام البغالى

أبو هلال العسكرى يرد عليه

أفضل الورد على النرجس * لااجعل الانجم كالاشمس
ليس الذى يقعد في مجلس * مثل الذى يمثل في مجلس

على بن سعيد المؤرخ

من فضل النرجس فهو الذى * يرضى بحكم الورد اذ يرأس
أما تري الورد غدا قاعدا * وقام في خدمته النرجس

والناس يشبهون عدم دوام الورد بقلة بقاء الود ولهذا كتب أبو دلف الى عبد الله ابن طاهر يعاتبه

أرى حبكم كالورد ليس بدائم * ولا خير في من لا يدوم له عهد
وودي لكم كالآس حسنا ونضرة * له زهرة تبقى اذا فني الورد

فأجابه عبد الله بن طاهر

وشبهت ودي الورد وهو شبيهه * وهل زهرة الا وسيدها الورد
وودك كالآس المرير مذاقه * وليس له في القلب قبل ولا بعد

واعتذر ديك الجن عن قلة لبث الورد فقال

للورد حسن واشراق اذا نظرت * اليه عين محب هاجه الطرب
خاف الملال اذا دامت اقامته * فصار يظهر حينا ثم يحتجب

(ماورد في النرجس) روى فيه حديث موضوع أخرجه الديلمي في مسند الفردوس وابن الجوزي في الموضوعات بسند مسلسل بالقضاة عن علي مرفوعا شموا النرجس ولو في اليوم مره ولو في الشهر مرة ولو في السنة مرة ولو في الدهر مرة فان في القلب حبة من الجنون والجذام والبرص لا يقطعها الا شم النرجس قال بقراط كل شئ يغذو الجسم والنرجس يغذو العقل وقال جالينوس من كان له رغيف فليجعل نصفه في النرجس فانه راع الدماغ والدماغ راعي العقل وقال الحسن ابن سهل من أدمن شم النرجس في الشتاء أمن البرسام في الصيف وقال بعض الادباء النرجس نزهة الطرف وطرف الظرف وغذاء الروح ومادة الروح وكان كسرى أنوشروان مغرما بالنرجس ويقول هو ياقوت أصفر بين درّ أبيض على ذمرد أخضر وقال اني لأستحي ان أباضع في مجلس فيه النرجس لانه أشبه شئ بالعيون الناظرة وقال الشاعر

فاذا قضيت لنا بعين مراقب * في الحب فليك من عيون النرجس

أبو نواس

لدى نرجس غض القطاف كأنه * اذا ما منحناه العيون عيون
مخالفة في شكلهن فصفرة * مكان سواد والبياض جفون

ابن المعتز

كأن عيون النرجس الغض بيننا * مداهن تبر حشوهن عقيق
اذا بلهن القطر خلت دموعها * بكاء جفون كحلهن خلوق

كشاجم

كأنما نرجسنا * قد تبدي من كتب

أنامل من فضة * يحملن كأسا من ذهب

الصنوبرى

أضعف قلبي النرجس المضعف * ولا عجب ان صبا مدنف
كأنه بين رياحينا * اعشار آى ضمها مصحف

ابن مكسبه

ونرجس الى حدا * ئق الربا محدق
اكأنما صفرته * على بياض يقق
عشار جزء اذهبت * في ورق من ورق

أبو بكر بن حازم

ونرجس ككؤس التبر لائحة * من الزبرجد قد قامت بها ساق
كانها من عيون هدبها ورق * لهن من خالص العقيان أحداق

آخر

وأحسن مافى الوجوه العيون * وأشبه شيء بها النرجس
يظل يلاحظ وجه النديم فردا وخيداً فيستأنس

الصنوبرى

وعندنا نرجس انيق * تحيي بأنفاسه النفوس
كان أجفانه بدور * كان احداقه شموس

وقال

أرأيت أحسن من عيون النرجس * أو من تلاحظهن وسط المجلس
در تشقق عن يواقيت على * قضب الزبرجد فوق بسط السندس

ابن الرومي

ونرجس كالثغور مبتسم * له دموع المحدق الشاكي
ابكاه قطر الندى وأضحكه * فهو مع القطر ضاحك باكي

وقال

انظر الى نرجس في روضة أنف * غناء قد جمعت شتى من الزهر
كان ياقوتة صفراء قد طبعت * في غصنها حولها ست من الدرر

آخر

أبصرت باقة نرجس * في كف من أهواه غضه
فكانها قضب الزبر * جد قمعت ذهباً وفضه

قوله فمن جاءني الخ هكذا في الاصل اه

ومن رسالة لضياء الدين الاثير يصف منتزها جاء فيه وصف النرجس فمن جاءني نرجس ويقول هذا صاحب القد المائس والذى عينه عين متيقظ وجيده جيد ناعس وهو بكر الربيع والبكر اكرم الاولاد على الوالد وقد جعل ذا لونين اثنين اذا لم يحظ غيره الا بلون واحد (ماورد في البنفسج) فيه أحاديث ذكرها ابن الجوزي في الموضوعات منها حديث أبي سعيد مرفوعا فضل دهن البنفسج على سائر الادهان كفضلي على سائر الخلق بارد فى الصيف حار في الشتاء أخرجه ابن حبان في تاريخ الضعفاء والحاكم في تاريخ نيسابور والديلمى فى مسند الفردوس وورد أيضاً بهذا اللفظ من حديث أبي هريرة وأنس أخرجهما الخطيب البغدادي ومن حديث عليّ أخرجه ابن الجوزى وقال في الاربعة انها موضوعة وأخرج أبو نعيم في الحلية من حديث الحسين بن على مرفوعا فضل دهن البنفسج على سائر الادهان كفضل ولد عبد المطلب على سائر قريش وفضل البنفسج كفضل الاسلام على سائر الاديان قال أبو نعيم هذا حديث غريب من حديث جعفر بن محمد لم نكتبه الا بهذا الاسناد عن هذا الشيخ أفادنا اياه الدار قطنى وأخرجه ابن الجوزى في الموضوعات أيضاً قال ابن وحشية البنفسج نوعان جبلى وبستاني والجبلى دقيق الورق أزرق اللون والبستاني عريض الورق حائك اللون ويوجد فيه الابيض على لون الشمع ولا يوجد الا بمصر ويسمى الكوفي ومن عجيب امره ان الانسان اذا تغوط في مجاري الماء اليه مات وذبل وكذا ان خرج منه ريح في مزرعته وانه اذادام عليه الضباب يوماً أو نحوه ضعف ومتى توالى نقصت زهرته وصغر ورقه وتغيرت رائحته ومن الاشياء المضادة له القصب فانه لايكاد يفلح بقربه ولا ينمى وان وقعت صاعقة على أربعمائة ذراع منه فاقل هلك سريعاً ويفسده أيضاً البرد والرعد الشديد المتتابع والسموم وريح الشمال الباردة والمطر الكثير وماء الآبار والدخان وتراب المقبرة ومن رساله لابي العلاء عطارد بن يعقوب الخوارزمى يصف بنفسجة سماوية اللباس مسكية الانفاس واضعة رأسها على ركبتها كعاشق مهجور تنطوي على قلب مسجور كبقايا النفس في بنان الكاعب أو النقس في أصابع الكاتب والكحل في الالحاظ الملاح المراض الصحاح الفاترات الفاتنات المجيبات القاتلات لازوردية أربت بزرقتها على زدق اليواقيت كأوائل النار فى أطراف كبريت أو أثر القرض في خدود العذارى أو عذار من خلعت فيه العذارا

أبو القاسم بن هزيل الاندلسى

بنفسج جمعت أوراقه فحكت * كحلا تشرب دمعاً يوم تشتيت
أولا زوردية قد أربت برقتها * وسط الرياض على زرق اليواقيت
كانه وضعاف القصب تحمله * أوائل النار في أطراف كبريت

آخر

بنفسج بذكي الريح مخصوص * مافي زمانك اذ وافاك تنغيص
كانما شعل الكبريت منظره * أوخدأغيدبالتحييش مقروص

آخر

ماس البنفسج في أغصانه فحكى * زرق الفصوص على بيض القراطيس
كأنه وهبوب الريح تعطفه * بين الحدائق اعراف الطواويس

آخر في البنفسج الابيض

كان البنفسج فيما حكي * لطائف اخلاقك المونقه
يلوح ومن تحت طاقاته * فصوص من الفضة المحرقه

الامير عبد الله الميكالى

يامهديا لي بنفسجا ارجا * يرتاح صدرى له وينشرح
بشرنى عاجلا مصحفه * بان ضيق الامر ينفسح

مجير الدين بن تميم الحموى

عاينت ورد الروض يلطم خده * ويقول وهو على البنفسج محنق
لا تقربوه وان تضوع نشره * مابينكم فهو العدو الازرق

آخر

بنفسج الروض تاه عجباً * وقال طيبي للحو ضمخ
فاقبل الزهر في احتفال * والبان من غيظه تنفخ

ماقيل في النيلوفر قال ابن التلميذ النيلوفر اسم فارسى معناه النيلي الاجنحة والنيلي الارياش وقال ابن وحشية الفرس تسميه نيلوفر والعرب نيلوفر والهند نيلوفك والنبط نيلوفريا قال ابن التلميذ ومن عاداته ان يحول وجهه الى الشمس اذا طلعت فيزيدانفتاحه بزيادة علو الشمس فاذا أخذت في الهبوط ابتدأ ينضم على ذلك الترتيب حتى ينضم انضماما كاملا عند الغروب ويبقى مضموما الليل كله فاذا طلعت أخذ فى انفتاح وهذا دأبه أبداً قال وهو نبات قمرى يزيد بزيادة القمر وينقص بنقصانه

أبو بكر الزبيدي الاندلسى

وبركة تزهو بنيلوفر * نسيمها يشبه ريح الحبيب
حتي اذا الليل دنا وقته * ومالت الشمس لوقت المغيب
أطبق جفنيه على جيه * وغاض في البركة خوف الرقيب

آخر وبركة أحيا بها ماؤها * من زهرها كل نبات عجيب

كأن نيلوفرها عاشق * نهاره يرقب وجه الحبيب
حتى اذا الليل بدى نجمه * وانصرف المحبوب خوف الرقيب
أطبق جفنيه عسى في الكرى * يبصر من فارقه عن قريب

آخر

ياحبذا بركة نيلوفر * قد جمعت من كل فن عجيب
أزرق فى احمر في ابيض * كقرصة في صحن خد الحبيب
كأنه يعشق شمس الضحى * فانظره فى الصبح وعند المغيب
اذا تجلت يتجلى لها * حتي اذا غاب سناها يغيب

آخر

كلنا باسط اليد * نحو نيلو فرندى
كدبابيس عسجد * قضبها من زبرجد

آخر

انظر الى بركة نيلوفر * محمرة الاوراق خضراء
كأنما ازهارها اخرجت * السنة النار من الماء

آخر

ونيلوفر صافحته الرياح * وعانقها الماء صفوا ورقاً
تحمل اوراقه فى الغدير * السنة النار حمرا وزرقا

آخر

صفر المدارى تضمها شرف * منتضح عند نشرها العطر
تحملها خيزرانة ذبلت * ذبول صب اذابه الهجر
كأنها اذ رأيت السنة * انطقها للمهيمن الشكر
خناجر من خناجر نزعت * فهي على الماء من دم حمر

الطغراي

ونيلوفر اعناقه ابداً صفر * كأن به سكرا وليس به سكر
اذا انفتحت اوراقه فكأنها * وقد ظهرت الوانها البيض والصفر
أنامل صباغ صبغن بنيلة * وراحتها بيضاء فى وسطها تبر

ابن الرومى

يرثاح للنيلوفر القلب الذى * لايستفيق من الغرام وجهده
والورد اصبح في الروايح عبده * والنرجس المسكى خادم عبده

ياحسنه في بركة قد اصبحت * محشوة مسكا يشاب بنده
مهجور حب ظل يرفع رأسه * كالمستجير بربه من صده
وكأنه اذ غاب عند مسائه * في الماء فاتحجبت نضارة قده
صب تهدده الحبيب بهجره * ظلما فغرق نفسه من وجده

الوحيه بن الذروى يهجو النيلوفر

ونيلوفر أبدى لنا باطناً له * مع الظاهر المخضر حمرة عندم
فشبهته لما قصدت هجاءه * بكاسات حجام بها لوثة الدم

البشنين قال في مباهج العبر واذا مر النيل بمصر ينبت في أماكن منخفضة قد وقف فيها الماء نباتاً يشبه النيلوفر ليست له رائحة ذكية يسمي البشنين يتخذ منه دهن وهى نوعان نوع يسمى الخريرى يشبه الرمان وتسميه أهل مصر الجلجان والآخر يسمونه الغزي وله أصل يسمى البيارون (ماورد في الآس) أخرج ابن السني وأبو نعيم كلاهما في الطب النبوى عن ابن عباس قال أهبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء بالآسة وهى سيدة ريحان الدنيا وبالسنبلة وهي سيدة طعام الدنيا وبالعجوة وهي سيدة ثمار الدنيا وأخرج ابن ابي حاتم في تفسيره وابن السني عن ابن عباس قال أول شئ غرس نوح حين خرج من السفينة الآس وأخرج ابن السكن عن عائشة قالت نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستاك بعود الآس وعود الرمان فانهما يحركان عرق الجذام وأخرج ابن السني عن لاوزاعي يرفع الحديث الى النبي صلى الله عليه وسلم أنه نهى عن التخلل بالآس وقال انه يسقى عرق الجذام قال في مباهج العبر اليونان تسمى الآس مرسينا وتسميه العامة المرسين وقال ابن وحشية الآس سيد الرياحين ويعظم حتى انه يشجر ويثمر ثمراً قدر الحمص وهو ثلاثة أنواع أخضر وهو المشهور وأصفر وهو مافسد من ورق الاول وأزرق ويسمى الخسرواني وهو أن يخلط في أصوله عند الزرع ورق النيل قال الاخيطل الاهوازى

للآس فضل بقائه ووفائه * ودوام منظره على الاوقات
قامت على أغصانه ورقاته * كنصول نبل جئن مؤتلفات

آخر

ومشمومة مخضرة اللون غضة * حوت منظرا للناظرين أنيقا
اذا شمها المعشوق خلت اخضرارها * ووجنته فيروزجا وعقيقا

ابن وكيع

خليلي ماللآس يعبق نشره * اذا هب أنفاس الرياح العواطر

حكى لونه أصداغ ريم معذر * وصورته آذان خيل نوافر

ماورد في الريحان وهو الحبق روي فيه أحاديث موضوعة منها حديث ابن عباس مرفوعا نعم الريحان ينبت تحت العرش وماؤه شفاء للعين أخرجه العقيلي وقال باطل لا أصل له وابن الجوزي في الموضوعات وورد نحوه من حديث أنس أخرجه الخطيب البغدادي وقال موضوع وابن الجوزي أيضاً وأخرج الخطيب في تالي التلخيص من حديث جابر بن عبدالله مرفوعا المرزنجوش مزروع حول العرش فاذا كان في دار لم يدخلها الشيطان قال الخطيب باطل قال ابن الجوزي وروى بسند مجهول من حديث أنس مرفوعا ان في الجنة بيتاً سقفه من مرزنجوش قال في مباهج العبر العرب تطلق اسم الريحان على كل نبت له ريح طيبة والحبق أنواع منه الريحان النبطي وهو عريض الورق ويسمى الباذروح وهو الحماحم المعروف عند الناس المتخذ في البساتين وحبق ترحاني وله رائحة كرائحة الآترج ويسمى البادرنجويه والباذرنبويه واسمه بالفارسية مرماخوز بالزاى المعجمة وهو دقيق الورق وحبق قرنفلي وله رائحة كرائحة القرنفل ويسمى الفرنحمشك بالفارسية وحبق صعتري له رائحة كرائحة الصعتر وحبق كرماني ويسمى بالفارسية الشاهشفوم ومعناه ملك الرياحين والعرب تسميه الضيمران والضومران وهو دقيق الورق جدا يكاد أن يكون دون السذاب وحبق الفيي وهو المرزنجوش والعرب تسميه العبقر ويقال انه الثمام وريحان الكافور ويسمى بالفارسية سوس شكله شكل المنثور وزهره وورقه يؤديان رائحة الكافور . قال السري الرفا يصف حوض ريحان .

وبساط ريحان كما زبرجد * عبثت به أيدى النسيم فارعدا
يشتاقها القوم الكرام فكلما * مرض النسيم سعوا اليه عودا

أبو الفضل الميكالي

أعددت محتفلا ليوم فراغي * روضاً غدا انسان عين الباغ
روض يروض هموم قلبي حسنه * فيه ليوم اللهو أى مساغ
واذا انثنت قضبان ريحان به * حيث بمثل سلاسل الاصداغ

أبو القاسم الصقلي

أنا بالريحان مفتون ولا مثل الحماحم
فتأمله تجد عذر الصب القلب هائم
غلمة الجند بخضر القمص في حمر العمائم

الطغرائي

مراضيع من الريحان تسقى * سقوط الطل أودر العباد

ملابسهن خضر مسبعات * بأشكال تميل الى السواد
اذا درت عليها المسك ريح * وجادت بفيضهن يد الغوادى
تخللها الرياح فسرحتها * وضيع المشط في اللمم الجعاد

ابن أفلح

وحماحم كأسنة * فى كل معترك قديم
أو أنجم بزغت لتحرق كل شيطان رجيم
أو مثل أعراف الديو * ك لدى مبارزة الخصوم
أو كالشقيق تحرشت * بفروعه أيدي النسيم
او ناكل صبغت ثيابا من دم الخد اللطيم

ابن وكيع

هذا الحماحم زهر * فيه حياة النفوس
كأنه حين يبدو * برادة الآبنوس

آخر

أما ترى الريحان أهدى لنا * حما حما منه فأحيانا
تحسبه فى طله والندى * زمردا يحمل مرجانا

ابن وكيع في الصعترى

صعترى أرق من أرجل النمل وأذكي من نفحة الزعفران
كسطور كسين نقطاً وشكلا * من يدي كاتب ظريف البنان

صاعد الاندلسى في الريحان الترنجي

لم أدر قبل ترنجان مررت به * ان الزمرد أغصان وأوراق
من طيبه سرق الاترج نكهته * ياقوم حتى من الاشجار سراق

آخر

ذكى العرف مشكور الايادى * كريم عرفه يسلى الحزينا
أغار عن الترنج وقد حكاه * وزاد على اسمه ألفاً ونونا

(ماقيل في المنثور وهو للخيرى) ابن وكيع

انظر الى المنثور في ميدانه * يدنو الى الناظر من حيث نظر
كجوهر مختلف لونه * أسلمه سلك نظام فانتثر

آخر

انظر الي الى المنثور مابيننا * وقد كساه الطل قصاناً

كأنما صاغته أيدى الحيا * من أحمر الياقوت مرجانا

ومن خواصه أنه لاتعبق له رائحة الا ليلا وفيه يقول الشاعر

ينم مع الاظلام طيب نسيمه * ويخفى مع الاصباح كالمتستر
كعاطرة ليلا لوعد محبها * وكاتمة صبحاً نسيم التعطر

ماقيل في الياسمين كتب ناصر الدين التنيسى الى النصير الحمامى ملغزا فيه

يامن يحل اللغز في ساعة * كلمحة من طرفة العين
ماسم اذا انقصت من عده * في الخط حرفا صار اسمين

فأجابه نصير

لعرض مولانا وأنقاسه * ألغزت لي حقاً بلامين
اسم سداسى لطيف به * نحافة تظهر للعين
لكنه يعدو سميناً اذا * أسقطت من أولاه حرفين

أبواسحق الحصرى يصف الياسمين قبل انفتاحه

خليلى هبا وانفضا عنكما الكري * وقوما الى روض ونشر عبيق
فقد راح رأس الياسمين منوّرا * كاقراط درقمت بعقيق
يميل على ضعفى الغصون كأنما * له حالتاى ذى غشية ونفيق
اذا الريح أدنته الى الارض خلته * نسيم جنوب ضمخت بخلوق

آخر

وروضة نورها يرف * مثل عروس اذا تزف
كأنما الياسمين فيها * أنامل مالها أكف

أبوبكر بن القوطية

وأبيض ناصع صافي الاديم * يطلع فوق مخضر بهيم
كان تواره المجني منه * سماء قد تحلت بالنجوم

آخر

كان الياسمين الغض لما * أدرت عليه وسط الروض عين
سماء للزبرجد قد تبدت * لنا فيها نجوم من لجين

المعتمد بن عباد

كأنما ياسمينا الغض * كواكب في السماء تبيض
والطرق الخمر في بواطنه * خد عذراء مسه عض

ابن عبد الظاهر

وياسمين قد بدت * أزهاره لمن يصف
كمثل ثوب أخضر * عليه قطن قد ندف

آخر

وياسمين عبق النشر * يزرى بريح العنبر الشحرى
يلوح من فوق غصون له * كمثل اقراط من الدر

ابن الحداد الاندلسى

بعثت بالياسمين الغض مبتسماً * وحسنة فاتن للنفس والعين
بعثته مثبناً عن صدق معتقدى * فانظر تجد لفظه ياسا من المين

وقال آخر

لا مرحبا بالياسمين وان غدا في الروض زينا
صحفته فوجدته * متقابلا ياسا ومينا

آخر

وياسمين ان تأملته * حقيقة أبصرته شيئاً
لانه ياس ومين ومن * أحب قط الياس والمينا

(ماقيل فى النسرين) قال ابن وحشية الياسمين والنسرين متقاربان حتي كأنهما اخوان وكل واحد منهما نوعان أبيض وأصفر ولهما شقيق آخر ورده أكبر من وردهما يسمى جلنسرين قال عبد الرزاق بن علي النحوي

زان حسن الحدائق النسرين * فالحجى في رياضه مفتون
قد جرى فوقه اللجين والا * فهو من ماء فضة مدهون
أشبهته طلى الحسان بناها * وحوته شبه القدود غصون

آخر

أكرم بنسرين بديع الصبا * من نشره مسكا وكافورا
ماان رأينا قط من قبله * زبرجدا يثمر بلورا

آخر

أنظر لنسرين يلو * ح على قضيب أملد
كدراهن من فضة فيها برادة عسجد
حيتك من أيدى الغصو * ن بها أكف زبرجد

(ماقال في الاقحوان) مجير الدين محمدا بن تميم

لاتمش في روض وفيه شقائق * أوافحوان غب كل غمام

ان اللواحظ والخدود أجلها * عن وطئها في الروض بالاقدام

آخر

كان نور الاقحوان * اذ لاح عب القطر
أنامل من لجين * أكفها من تبر

على بن عباد الاسكندراني

والاقحوانة تحكي وهي ضاحكة * عن واضح غير ذي ظلم ولا شنب
كانها شمسة من فضة حرست * خوف الوقوع بمسمار من الذهب

ظافر الحداد

والاقحوانة تحكي ثغر غانية * تبسمت فيه من عجب ومن عجب
في القد والنرد والريق الشهي وطيب الريح واللوز والتفليج والشنب
كشمسة من لجين زبرجدة * قد شرفت حول مسمار من الذهب

الجمال على بن ظافر المصرى

أنظر فقد أبدا الاقاح مباسما * ضحكت تهلل في قدود زبرجد
كفصوص در لطفت اجرامها * قد نظمت من حول شمسة عسجد

آخر

ظفرت يدى للاقحوان بزهرة * تاهت بها في الروضة الازهار
أبدت ذراع زبرجد وأنامـلا * من فضة في كفها دينار

(ماقيل فى البان) شمس الدين محمد بن التلمساني

تبسم زهر البان عن طيب نشره * وأقبل في حسن يجل عن الوصف
هلموا اليه بين قصف ولذة * فان غصون البان تصلح للقصف

الشهاب محمود على لسان البان

اذا دغدغتني أيدى النسيم * فملت وعندى بعض الكسل
فسل كيف حال قدود الملاح * وعن حال سمر القنا لا تسل

أبو حلنك الشاعر يهجوا القاضى شمس الدين بن خلكان

لله بستان حللنا دوحه * فى جنة قد فتحت أبوابها
والبان تحسبه سنا نيرأت * قاضى القضاة فنفشت أذنابها

تاج الدين بن شقير

قد أقبل الصيف وولى الشتا * وعن قريب نشتكي الحرا
أما ترى البان بأغصانه * قد اقلب الفروالى برا

(ما قيل في الشقيق) ابن الرومي

يصوغ لنا كف الربيع حدائقاً * كعقد عقيق بين سمط لآل
وفيهن نوار الشقائق قد حكى * حدود غوان نقطت بغوال

كشاجم

فرج القلب غاية التفريج * ابنهاجي مابين روض وريج
فكان الشقيق فيه أكاليـ * ـل عقيق على رؤس زنوج

أبو العلاء السروى

جام تكون من عقيق أحمر * مائت قرارته بمسك أذفر
خرط الربيع مثاله فأقامه * بين الرياض على قضيب أخضر

أبو بكر الصنوبرى

وكأن محمر الشقيق اذا تصوب أو تصعد * أعلام ياقوت نشرن على رماح من زبرجد

الخيار البلدى

أنظر الى مقل الشقيق تضمنت حدق السبج
من فوق اغصان حسن وما سمجن من العوج

آخر

شقيقة شق على الورد ماء * قد لبست من كثرة الصبغ
كانها في حسنها وجنة * يلوح فيها طرف الصدغ

(في زهر النارنج) للقاضي الفاضل

نديمي هبا قد قضى النجم نحبه * وهب نسيم ناعم يوقظ الفجرا
وقد أزهر النارنج أزرار فضة * تزر على الاشجار أوراقها الخضرا

(في الخشخاش) ابن وكيع

وخشخاش كانا منه نفرى * قميص زبرجد عن جسم در
كاقداح من البلور صينت * باغشية من الديباج خضر

(في نور الكتان) ابن وكيع

ذوائب كتان تمايل في الضحى * على خضر أغصان من الرى ممتد
كان اصفرار الزهر فوق اخضرارها * مداهن تبر ركبت في زبرجد

آخر

كانه حين يبدو * مداهن اللازورد
اذا السماء رأته * تقول هذا فرندى

ابن الرومى

وجيش من الكتان أخضر ناعم * سقى نبته داب الرباب مطير
اذا درجت فيه الشمال تتابعت * ذوائبه حتي تقول غدير

ذكر الفواكه

(ما ورد فى البطيخ) أخرج ابن عدي في السكامل عن عائشة قالت كان أحب الفاكهة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم الرطب والبطيخ وأخرج الطبراني والحاكم فى المستدرك عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يأخذ الرطب بيمينه والبطيخ بيساره فيأكل الرطب بالبطيخ وكان أحب الفاكهة اليه قال في مباهج الفكر البطيخ ثلاثة أصناف هندى ويسمى بمصر البطيخ الاخضر وبالحجاز الحبحب وصينى ويسمى بمصر الاصفر وفيه يقول الشاعر

ثلاث هن في البطيخ زين * وفي الانسان منقصة وذله
خشونة لمسه والثقل فيه * وصفرة لونه من غير علله

وخراساني ويسمى بمصر العبدلى منسوب لعبد الله بن طاهر فانه الذى دخل به مصر قال أبو طالب المأموني في البطيخ الهندى

ومبيضة فيها طرائق خضرة * كما اخضر مجرى السيل من صيب المزن
كحقة عاج ضيت بزبرجد * حوت قطع الياقوت في عصب القطن

آخر

أخ لى صادق أهدى الينا * كما يهدى الصديق الى الصديق
قلال زبرجد فيهن شهد * وحشو الشهد شئ كالعقيق

آخر

رأيتها في كف جلابها * وقد بدت في غاية الحسن
كسلة خضراء مختومة * على الفصوص الحمر في القطن

أبو طالب المأموني في البطيخ الاصفر

وبطيخة مسكية عسلية * لها ثوب ديباج وعرف مدام
محققة ملء الاكف كانها * من الجزع كسري لم ترض بنظام
لها حلة من جلنار وسوسن * مغمدة بالآس عب غمام
تمازج فيها لون حب وعاشق * كساه الهوى والبين ثوب سقام
اذا فصلت للاكل كانت أهله * وان لم تفصل فهي بدر تمام

وقال

تقطع بالسكين بطيخة ضحى * على طبق في مجلس لأصاحبه
كبدر يبرق في سماء أهله * على هالة في الافق بين كواكبه

آخر

أتانا الغلام بطيخة * وسكينة أشبعوها صقالا
فقطع بالبرق شمس الضحى * وناول كل هلال هلالا

آخر

ألا فانظروا البطيخ وهو مشقق * وقد حاز في التشقيق كل أنيق
صفاها كبلور بدت في زمرد * مركبة فيها فصوص عقيق

(ماورد في الرمان) أخرج عبد الله بن أحمد في زوائد المسند وابن السني بسند رجاله ثقات عن علي بن أبي طالب قال كلوا الرمان بشحمه فانه دباغ للمعدة وأخرج الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس انه كان يأخذ الحبة من الرمان فيأكلها فقيل له لم تفعل هذا قال بلغني انه ليس في الارض رمانة الا تلقح بحبة من حب الجنة فلعلها هذه قال بعضهم

رمانة صبغ الزمان أديمها * فتبسمت في ناضر الاغصان
فكانها في حقة من عسجد * قد أودعت خرزا من المرجان

آخر

رمانة مثل نهد الكاعب الريم * تزهى بشكل ولوف غير مذموم
كانها حقة من عسجد ملئت * من اليواقيت نثرا غير منظوم

آخر

ولاح رماننا فأبهجنا * بين صحيح وبين مفتوت
من كل مصفرة مزعفرة * تفوق في الحسن كل منعوت
كأنها حقة فان فتحت * فصرة من فصوص ياقوت

آخر

طعم الوصال يصونه طعم النوى * سبحان خالق ذا وذا من عود
فكانها والخضر من أوراقها * خضر الثياب على نهو الغيد

آخر

خذوا صفة الرمان عني فان لي * لسانا عن الاوصاف غير قصير
حقاق كامثال العقيق تضمنت * فصوص بلخش في غشاء حرير

في جلنارة أبو فراس الحمداني

وجلنار مشرف * على أعالي شجره

قراضة من ذهب * في خرق معصفره

عبد الله بن المعتز

وجلنار كاحمرار الخد * أومثل أعراف ديوك الهند

ابن وكيع

وجلنـار بهيّ * ضرامـه يتوقـد
بدا لنا في غصون * خضر من الرمي مبد
يحكي فصوص عقيق * في قبة من زبرجد

آخر

كأنه الجلنـار لمـا * أظهره العرض للعيون
انامل كلهـا خضيب * تزاهي احمرار على الغصون

(ماورد في الموز) أخرج الخطيب فيما رواه مالك عن مالك بن أنس قال ليس في الدنيا شيء يشبه مافي الجنة الا الموز لان الله تعالى يقول أكلها دائم وأنت ترى الموز في الشتاء والصيف دخل القاضي أبو بكر بن قريعة على عز الدولة بن بويه وبين يديه طبق فيـه موز فلم يدعه اليه فقال مابال الامير لايدعوني الى الفوز باكل الموز فقال له صفه حتى أطعمك منـه فقال ماأصف من جرب ديباجيـه فيها سبائك ذهبيه كانما حشيت زبدا وعسلا أو خبيصاً مرملا أطيب الثمر كانه مخ الشجر سهل المقشر لين المكسر عذب المطعم بين الطعوم سلسل في الحلقوم وقال النجم بن اسرائيل

انعته موزا شهي المنظر * مستحكم النضج لديذ المخبر
كأن تحت جلده المزعفر * لفـات زبد عجنت بسكر

ابن الرومي

للموز احسان بلا ذنوب ٥ ليس بمعدود ولا محسوب
يكاد من موقعه المحبوب * يسلمه البلع الى القلوب

البهاء زهير

ياحبذا الموز الذى أرسلته * لقـد أتانا طيب من طيب
في لونه وطعمه وريحـه * كالمسك أو كالتبر أو كالضرب
وافت به اطبـاقه منضدا * كانه مكاحل من ذهب

آخر

يحـكي اذا قشرته * أنيـاب أفيال صـغار
ذو باطن مثـل الاقا * ح وظاهر مثل البهار

(ماورد في النخل) أخرج الشيخان عن ابن عمر ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان في الشجر شجرة مثلها مثل المسلم أخبرونى ماهى فوقع الناس في شجر البوادى ووقع في قلبي انها النخلة فقال النبي صلى الله عليه وسلم هى النخلة وأخرج أبو يعلى في مسنده وابن السنى عن على قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اكرموا عمتكم النخلة فانها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم وليس من الشجر شئ يلقح غيرها قال في مباهج الفكر ويقال ان مما أكرم الله به الاسلام والنخل انه قدر جميع نخل الدنيا لاهل الاسلام فغلبوا على كل موضع «و فيه وقال الدينورى في المجالسة حدثنا محمد ابن عبد العزيز حدثنا أبي عن محمد ابن يزيد بن مطير قال قال محمد بن اسحق كل نخلة على وجه الارض فمنقولة من الحجاز نقلها النماردة الى المشرق ونقلها الكنعانيون الى الشام ونقلها الفراعنة الى باب أليون وأعمالها وحملها التبابعة في مسيرهم الى اليمن وعمان والشحر وغيرها الحداد

روض كمخضر العذار وجدول * نقشت عليه يد النسيم مواردا
والنخل كالهيف الحسان تزاينت * فلبسن من أثمارهن قلائداً

فى الطلع

كأنما الطلع يحكى * لناظرى حين أقبل
سلاسل من لجين * يضمها حق صندل

في الجمار

أهدى لنا جمارة * من لست أخشى من عذابه
فكأنما هي جسمه * لما تجرد من ثيابه

في البلح الاخضر

أما ترى النخل نثرت بلحاً * جاء بشيراً بدولة الرطب
مكاحل من زبرجد خرطت * مقمعات الرؤس بالذهب

في الاصفر

أما ترى البسر الذى * قد جاءنا بالعجب
مكاحلا من فضة * قد طليت بالذهب

في الاحمر

انظر الى البسر اذ تبدى * ولونه قد حكي الشقيقا
كأنما الخوخ في دوحه * زبرجد مثمر عقيقا

(ماورد في الاترج) أخرج الشيخان عن أبي موسى الاشعرى عن النبي صلى الله عليه

وسلم قال مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن مثل المؤمن الذى يقرأ القرآن مثل الاترجة طعمها طيب وريحها طيب وأخرج ابن السني عن أبى كبشة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه النظر الى الاترج والحمام الاحمر بعضهم

كان أترجنا النضير وقد * زان تحياتنا مصبعه
أيد من التبر أبصرت بدرا * من جوهر فائتت تجمعه

آخر

ياحبذا اترجة * تحدث للنفس طرب
كأنها كافورة * لها غشاء من ذهب

الاسعد بن مماتي

لله بل للحسن أترجة * تذكر الناس بأمر النعيم
كأنها قد جمعت نفسها * من هيبة الفاضل عبدالرحيم

ابن المعتز

أترجة قد أتتك براً * لاتقبلها وان سررتا
لاتهد اترجة فاني * رأيت مقلوبها هجرتا

(ماورد في القصب) أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق من طريق الربيع بن سليمان قال سمعت الشافعي يقول ثلاثة أشياء دواء للداء الذى لادواء له الذى أعيا الاطباء أن يداووه العنب ولبن اللقاح وقصب السكر ولولا قصب السكر ما أقمت بمصر بعضهم

تحكيه سمر القنا ولكن * تراه في جسمه طلاوه
وكلما زدته عذابا * زادك من ريقه حلاوه

في الكمثرى

حبي بكمثراية لونها * لون محب زائد الصفره
تشبه نهد البنت ان أقعدت * وهي لها ان قبلت سره

في الخوخ

كانما الخوخ فى دوحه * وقد بدا أحمره العندمى
بنادق من ذهب أصفر * قد خضبت انصافها بالدم

(ماورد في التين) أخرج ابن السني والديلمى في مسند الفردوس عن أبي ذر قال أهدي الى النبي صلي الله عليه وسلم طبق من تين فقال لاصحابه كلوا فلو قلت ان فاكهة نزلت من الجنة بلا عجم لقلت هى التين وانه يذهب بالبواسير وينفع من النقرس كشاجم

أهلا بتين جاءنا * منضداً على طبق
كسفرة مضمومة * قد جمعت بلا حلق

ابن المعتز

أنعم بتين طاب طعما واكتسى * حسنا وقارب منظرا من مخبر
في برد ثلج في قفا تبر وفي * ريح العبير وطيب طعم السكر
يحكي اذا ماصب فى اطباقه * خيما ضربن من الحرير الاخضر

فى اللوز الاخضر ابن المعتز

ثلاثة أثواب على جسد رطب * مخالفة الاشكال من صنعة الرب
تشير الردى فى ليله ونهاره * وان كان كالمسجون فيها بلا ذنب

آخر

أما ترى اللوز حين ترحله * من الافانين كف مقتطف
وقشره قد جلا القلوب لنا * كانه الدر داخل الصدف

ظافر الحداد

جاء بلوز أخضر * أصفره ملء اليد
كأنما زئبره * نبت عذار الامرد
كانما قلوبه * من تؤم ومفرد
جواهر لكنما الاصداف من زبرجد

البدر الذهبي

مانظرت مقلتي عجيباً * كاللوز لما بدا نواره
اشتعل الرأس منه شيباً * واخضر من بعد ذا عذاره

ماقيل في المشمش محيي الدين بن عبد الظاهر

جندا مشمش على الدوح أضحى * ذا شعاع يستوقف الابصارا
شجر أخضر لنا جعل الله تعالى منه كما قال نارا

وقال

وكان ضوء الشمس من أوراقها * في نقش اسوقة الغصون خلاخل
وكأن مشمشها بصوت هزارها * اذ حركته به النسيم جلاجل

آخر

ومشمش جاءنا من أعجب العجب * أشهى الى من اللذات والطرب
كأنه وهبوب الريح تنثره * بنادق خرطت من خالص الذهب

ماقيل في التبق ابن الجبلي

انظر الى التبق في الاغصان منظماً * والشمس قد أخذت تجلوه في القضب
كأن صفرته للناظرين غدت * تحكي جلاجل قد صيغت من الذهب

آخر

وسروة كل يوم * من حسنها في فنون
كأنما التبق فيها * وقد بدا للعيون
جلاجل من نضار * قد علقت في الغصون

ذكر الحبوب والخضراوات والبقول

في سنابل البر والشعير القاضي عياض

انظر الى الزرع وخاماته * تحكي وقد ماست امام الرياح
كتيبة تجفل مهزومة * شقائق النعمان فيها جراح

آخر

يا حبذا سنبلة * تبدو لعين المبصر
كأنها سلسلة * مظفوره من عنبر

ظافر الحداد

كان سنابل حب الحصيد * وقد شارفت وقت أبانها
كنائس مظفورة رفعت * وأرخى فاضل خيطانها

ابن رافع القيرواني

انظر الى سنبل الزروع وقد * مرت عليه الجنوب والشمال
كأنه البحر في تموجه * يعلو مرارا ومرة يسفل
والماء للسقى في جوانبه * مسك المناظرين أو ضندل

في الباقلا قال بعض الشعراء وهو ابن نيكل البصرى

فصوص زبرجد في غلف در * باقماع حكت تقليم ظفر
وقد حاك الربيع لها ثيابا * لها لونان من بيض وخضر

آخر

لي نحو ورد الباقلا * ادمان لهو ولهج
كأنما مبيضه * يلوح في ذاك الدعج
خواتم من فضة * فيها فصوص من سبج

ابن وكيع

ولاح ورد الباقلا ناظرا * عن مقلة تفتح جفناعن حور
كمثل الحافظ اليعافير اذا * روعها من ناقص فرط الحذر
كانها مداهن من فضة * مجلوة فيها من المسك أثر
كانها سوالف من حرد * قد زينت سوادهاسود الطرر

في القثاء عبد الرحيم بن رافع القيرواني

أحبب بقثاء أتانا * من فوق أطباق منضد
كمضارب قد حررت * اجرامهن من الزبرجد
نعم الدواء اذا الهوى * من الهوجر قد توقد

ابن المعتز

انظر اليه انابيبا منضدة * من الزبرجد خضرا ماالهاورق
اذا قلبت اسمه بانت حلاوته * وكان معكوسه انى بكم أثق

فى الخيار

خيار اذ يشبهه لبيب * كريحان السرور به اخضرار
كأن نسيمه انفاس حب * فليس لمغرم عنه اصطبار

في الفقوس

شبهت حين بدا الفقوس مبتهجاً * على الرياض بحب فيه ماسور
مخازن من لجين لف ظاهرها * بسندس حشوه حبات كافور

في القرع لعبد الرحيم بن نافع

وقرع تبدي للعيون كأنه * خراطيم أفيال الطخن بزنجار
مررنا فعايناه بين مزارع * فاعجب منها حسنه كل نظار

في الباذنجان لبعضهم

أهدت لنا الارض من عجائبها * ماسوف يزهى بمثله وقتى
اذا جاء الذي يشبهه * وأحكم الوصف منه في النعت
قال كرات الاديم قد حشيت * بسمسم وقت بكيمخت

آخر

ومستحسن عند الطعام مدحرج * غداء يمير الماء في كل بستان
تضلع من أقماعه فكأنه * قلوب نعاج في مخاليب عقبان

آخر

وكأنما الابذنج سود حمائم * أوكارها روض الربيع المسكر

لقطت منقارها الزبرجد سمسما * فاستودعته حواصلا من عنبر

آخر

وباذنجانة حشيت حشاها * صغار الدر باللبن الحليب
وغشيت البنفسج واستقلت * من الآس الرطيب على قضيب

في السلجم لابن رافع القيرواني

كأنما السلجم لما بدا * في حسنه الرائق من غير مين
قطائع الكافور ملمومه * لمبصريها أو كرات اللجين

في الفجل لبعضهم

لله فجل قد أتتنا به * جارية تخجل شمس النهار
كأنه في يدها اذ أتت * به لنا غصناً بصوب العطار
سبايك من فضة قد صفت * أومثل أنياب الفيول الصغار

آخر

أحبب بفجل قد أتانا به * طباخنا من بعد تقشير
منضداً في طبق خلته * من حسنه قضبان بلور

آخر

وبيضاء من حور الجنان ملكتها * ولمت عليها صاحبي ولي العذر
وما كسيت من سندس الخلد حلة * ولا معجر الكن ذوائبها خضر

فى الجزر لابن رافع القيرواني

أنظر في الجزر البديع كانه * في حسنه قضب من المرجان
أوراقه كزبرجد في لونها * وقلوبه صيغت من العقيان

آخر

أنظر الى الجزر الذى * يحكى لنا لهب الحريق
كمدية من سندس * فيها نصاب من عقيق

في الثوم لابن رافع القيرواني

ياحبذا ثومة فى كف جارية * بديعة الحسن تسبى كل من نظرا
أبصرتها وهي من عجب تقلبها * كصرة من ديبقي حوت دررا

آخر

الثوم مثل اللوزان قشرته * لولا رائحه وطعم مذاقه
كالندل غرك منظرا فاذا دعي * لفضيلة ينمى الى اعراقه

في النمام ابن رشيق

كم كره النمام أهل الهوى * أساء اخواني وما احسنوا
ان كان نماما فتنكيسه * من غير تكذيب لهم مأمن

آخر

لابارك الله في النمام ازله * اسما قبيحاً من الاسماء مهجورا
لولم ينم على العشاق سرهم * ما كان فيهم بهذا الاسم مشهورا

النعناع

وجاءت بنعناع كان غصونه * واوراقه مخلوقة من زبرجد
اذا مسه نفح الحرور رايته * كاصداغ زنج فلفلت من تجعد

في النارنج لبعضهم

تأملها كرات من عقيق * يروقك في ذرى دوح وريق
صوالج من غصون ناعمات * غذتها درة العيس الأنيق

آخر

انظر الى منظر يلهيك منظره * بمثله في البرايا يضرب المثل
تار تلوح على الاغصان في شجر * لا النار تطفي ولا الاغصان تشتعل

ابو الحسن الصقلي

ونارنجة بين الرياض نظرتها * على غصن رطب كقامة اغيد
اذا ميلتها الريح مالت كاكره * بدت ذهبا في صولجان زبرجد

وقال

تنعم بنار نجك المجتنى * فقد حضر السعد لما حضر
فيأمر حباً بقدود الغصو * ن ويأمر حباً بخدود الشجر
كان السماء همت بالنضا * رفصاغت لنا الارض منها اكر

ابن المعتز

كانما النارنج لما بدت * صفرته في حمرة كاللهب
وجنة معشوق رأى عاشقاً * فاصفر ثم احمر خوف الرهب

آخر

وشادن قلت له صف لنا * بستاننا هذا ونارنجنا
فقال لي بستانكم جنة * ومن جني النارنج نارا جني

في الليمون قال ابن وحشية الليمون والنارنج في الاصل شجر هندي السرى الرفا

ظللته شجرات * عطرها اطيب عطر
فلك انجمه الليـــــمون من بيض وصفر
اكر من فضة قد * شابها تلويح تبر

آخر

يارب ليمونة حيا بهـا قمر * حلو المقبل المى بارد الشنب
كانها اكرة من فضة خرطت * فاستودعوها غلافا صيغ من ذهب

آخر

تري الليمون لمـا بدا * يأخذ في اشراقه بالعيان
كانه بيض دجاج وقد * لطخها العابث بالزعفران

تم كتاب حسن المحاضره

يقول مصححه غفر الله ذنبه وستر بمنه عيبه

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد سيد الكائنات ، وعلى آله وأصحابه ذوي الهمم العاليات ، وبعـد فقد تم بحمد الله طبع حسن المحاضرة ، في أخبار مصر والقاهرة ، تأليف امام المحدثين والمؤرخين وشيخ النحاة والبيانيين امام المحققين وتاج العلماء المدققين جلال الملة والدين أبي سعيد سيدى عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي رضى الله عنه على ذمة ملتزمه حضرة المكرم مصطفى افندى فهمي وأخويه ووافق الفراغ من طبعه في العشر الاواخر من شهر شوال عام احدى وعشرين وثلاثمائة والف من هجرة سيد الارسال ، صلى الله عليه وعلى كل من أنتمى له من صحب وآل ،

(فهرست الجزء الاول من كتاب حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة)

صحيفة

٢ ذكر المواضع التي وقع فيها ذكر مصر
٤ ذكر الاحاديث التي ورد فيها ذكر مصر
٨ فصل في آثار موقوفة
٩ فصل في آثار أوردها المؤلفون في أخبار مصر
١٠ ذكر أقاليم مصر
١٣ ذكر من نزل مصر من أولاد آدم عليه الصلاة والسلام
١٤ ذكر من ملك مصر قبل الطوفان
١٥ ذكر من ملك مصر بعد الطوفان
٢٥ ذكر من دخل مصر من الانبياء عليهم الصلاة والسلام
٢٨ ذكر من كان بمصر من الصديقين
٢٨ ذكر السحرة الذين آمنوا بموسى عليه الصلاة والسلام
٢٩ ذكر من كان بمصر من الحكماء في الدهر الاول
٣٠ ذكر قتل عوج بمصر
٣١ ذكر عجائب مصر القديمة
٣٣ ذكر الاهرام
٣٨ ذكر ماقيل في الهرمين اللذين فى الجيزة من الاشعار
٤٠ ذكر بناء الاسكندرية
٤٣ ذكر منارة الاسكندرية وبقية عجائبها
٤٥ ذكر دخول عمرو بن العاص مصر في الجاهلية
٤٧ ذكر كتاب سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المقوقس
٥١ ذكر بعث أبي بكر الصديق رضى الله عنه حاطبا الى المقوقس
٥١ ذكر فتوح مصر في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه
٦٩ ذكر الخلاف بين العلماء في مصر هل فتحت صلحا أو عنوة
٧٠ فصل قد لخص القضاعي في كتابه الخطط قصة فتح مصر تلخيصا وجيزا
٦٥ ذكر بناء المسجد الجامع
٦٦ ذكر الدار التي بنيت لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فأمر بجعلها سوقا
٦٦ ذكر أول من بني بمصر غرفة

صحيفة

٦٦ ذكر حمام الفار بمدينة مصر
٦٦ ذكر اختطاط الجيزة
٦٧ ذكر المقطم
٦٨ فصل قدأفتى ابن الجميزى وغيره بهدم كل بناء بسفح المقطم
٦٩ ذكر جبل يشكر
٦٩ ذكر فتوح الفيوم
٧٠ ذكر فتح برقة والنوبة
٧٠ ذكر الجزية
٧٤ ذكر المكس على أهل الذمة
٧٤ ذكر القطائع
٧٤ ذكر مرتبع الجند
٧٥ ذكر نهى الجند عن الزرع
٧٦ ذكر حفر خليج امير المؤمنين
٧٧ ذكر انتقاض عهد الاسكندرية وسببه وذلك في خلافة عثمان رضي الله عنه
٧٩ ذكر رابطة الاسكندرية
٨٠ ذكر وسيم
٨٠ ذكر مايقع بمصر قرب الساعة
٨١ ذكر من دخل مصر من الصحابة رضى الله عنهم
٨١ در السحابة فيمن دخل مصر من الصحابة
٨٧ ذكر الحديث الذى رحل فيه جابر بن عبد الله الى مصر
١١٧ ذكر من كان بمصر من مشاهير التابعين الذين رووا الحديث ومن صغار التابعين
١٢٣ طبقة أخرى أصغر من التي قبلها
١٢٦ ذكر مشاهير اتباع التابعين الدين خرج لهم أصحاب الكتب الستة من أهل مصر
١٢٨ طبقة تلى هذه
١٣٠ طبقة تلى هذه
١٣٢ ذكر من كان بمصر من الائمة المجتهدين
١٥٥ ترجمة مؤلف هذا الكتاب
١٥٧ فن التفسير وتعلقاته والقرآات

صحيفه

١٥٨ فن الحديث وتعلقاته
١٥٩ فن الفقه وتعلقاته
١٥٩ الاجزاء المفردة فى مسائل مخصوصة على ترتيب الابواب
١٦٠ فن العربية وتعلقاته
١٦٠ فن الاصول والبيان والتصوف
١٦٠ فن التاريخ والآدب
١٦١ ذكر من كان بمصر من حفاظ الحديث ونقاده
١٧٢ ذكر من كان بمصر من المحدثين الذين لم يبلغوا درجة الحفاظ والمنفردين بعلو الاسناد
١٨٥ ذكر من كان بمصر من الفقهاء الشافعية
٢١٠ ذكر من كان بمصر من الفقهاء المالكية
٢١٨ ذكر من كان بمصر من الفقهاء الحنفية
٢٢٧ ذكر من كان بمصر من أئمة الفقهاء الحنابلة
٢٣٠ ذكر من كان بمصر من أئمة القرآت
٢٤٣ ذكر من كان بمصر من الصلحاء والزهاد الصوفية
٢٥٤ ذكر من كان بمصر من أئمة النحو واللغة
٢٥٨ ذكر من كان بمصر من أرباب المعقولات وعلوم الأوائل والحكماء والاطباء والمنجمين
٢٦٤ ذكر من كان بمصر من الوعاظ والقصاص
٢٦٥ ذكر من كان بمصر من المؤرخين
٢٦٧ ذكر من كان بمصر من الشعراء والادباء

(تمت فهرست الجزء الاول)

(فهرست الجزء الثاني من كتاب حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة)

صحيفة
٢ ذكر أمراء مصر من حين فتحت الى ان ملكها بنو عبيد
١٣ ذكر أمراء مصر من بني عبيد
١٩ ذكر أمراء مصر من حين ملكها بنو أيوب الى أن اتخذها الخلفاء العباسية دار الخلافة
٤٤ ذكر من قام بمصر من الخلفاء العباسية
٧٤ ذكر سلاطين مصر الذين فوض اليهم خلفاء مصر العباسيون فاستبدو بالامر دونهم
٩١ ذكر الفرق بين الخلافة والملك والسلطنة من حيث الشرع
٩٢ ذكر من يطلق عليه السلطنة من حيث المصطلح
٩٢ ذكر مايلقب به ملك مصر
٩٢ ذكر جلوس السلطان في دار العدل للمظالم
٩٣ ذكر عساكر مملكة مصر
٩٣ ذكر أرباب الوظائف في هذه المملكة
٩٥ ذكر قضاة مصر
١١٨ ذكر الدولة المصرية
١٢١ ذكر قضاة الحنفية
١٢٢ ذكر قضاة المالكية
١٢٤ ذكر قضاة الحنابلة
١٢٤ ذكر وزراء مصر
١٤٥ ذكر كتاب السر
١٤٨ ذكر جوامع مصر
١٤٩ جامع عمرو
١٥٢ جامع أحمد بن طولون
١٥٤ الجامع الازهر
١٥٥ جامع الحاكم
١٥٥ ذكر أمهات المدارس والخانقاة العظيمة بالديار المصرية
١٥٧ ذكر المدرسة الصلاحية
١٥٨ خانقاة سعيدة السعداء

صحيفه

١٥٩ المدرسة الكاملية
١٥٩ المدرسة الصالحيه
١٦٠ المدرسة الظاهرية القديمة
١٦٠ المدرسة المنصورية
١٦٠ المدرسة الناصرية
١٦٠ الخانقاة البيبرسية
١٦١ خانقاة قوصون بالقرافة
١٦١ خانقاة شيخو
١٦٢ مدرسة صرغتمش
١٦٢ مدرسة السلطان حسن
١٦٣ المدرسة الظاهرية
١٦٣ المدرسة المؤيدية
١٦٤ رباط الآثار
١٦٤ ذكر الحوادث الغريبة الكائنة بمصر في ملة الاسلام
١٨٤ ذكر الطريق المسلوك من مصر الى مكة شرفها الله تعالي
١٨٥ ذكر قدوم المبشر سابقاً يخبر بسلامة الحاج
١٨٦ ذكر حمائم الرسائل
١٩٠ ذكر عادة المملكة فى الخلع والزى
١٩١ ذكر عادة السلطان فى الكتابة على التقاليد
١٩١ ذكر معاملة مصر
١٩١ ذكر كوكب الذنب
١٩٢ ذكر بقية لطائف مصر
١٩٨ السبب فى كون أهل مصر أذلاء يحملون الضيم
٢٠٠ ذكر النيل
٢٠ أثر متصل الاسناد في أمر النيل
٢٠ ذكر مزايا النيل
٢ ذكر ماقيل في النيل من الاشعار
٢١ ذكر البشارة بوفاء النيل

صحيفة

٢٢٠ ذكر المقياس
٢٢١ ذكر جزيرة مصر وهي المسماة الآن بالروضة
٢٢٨ ذكر خليج مصر
٢٢٩ ذكر الخليج الناصرى
٢٢٩ ذكر بركة الحبش
٢٣٠ ذكر ماقيل في الانهار والاشجار زمن الشتاء والربيع من الاشعار
٢٣٦ ذكر الرياحين والازهار الموجودة في البلاد المصرية وما ورد فيها من الآثار والاشعار الادبية والاشارات الصوفية
٢٥٢ ذكر الفواكه
٢٥٨ ذكر الحبوب والخضروات والبقول

(تمت فهرست الجزء الثانى)

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU07841345